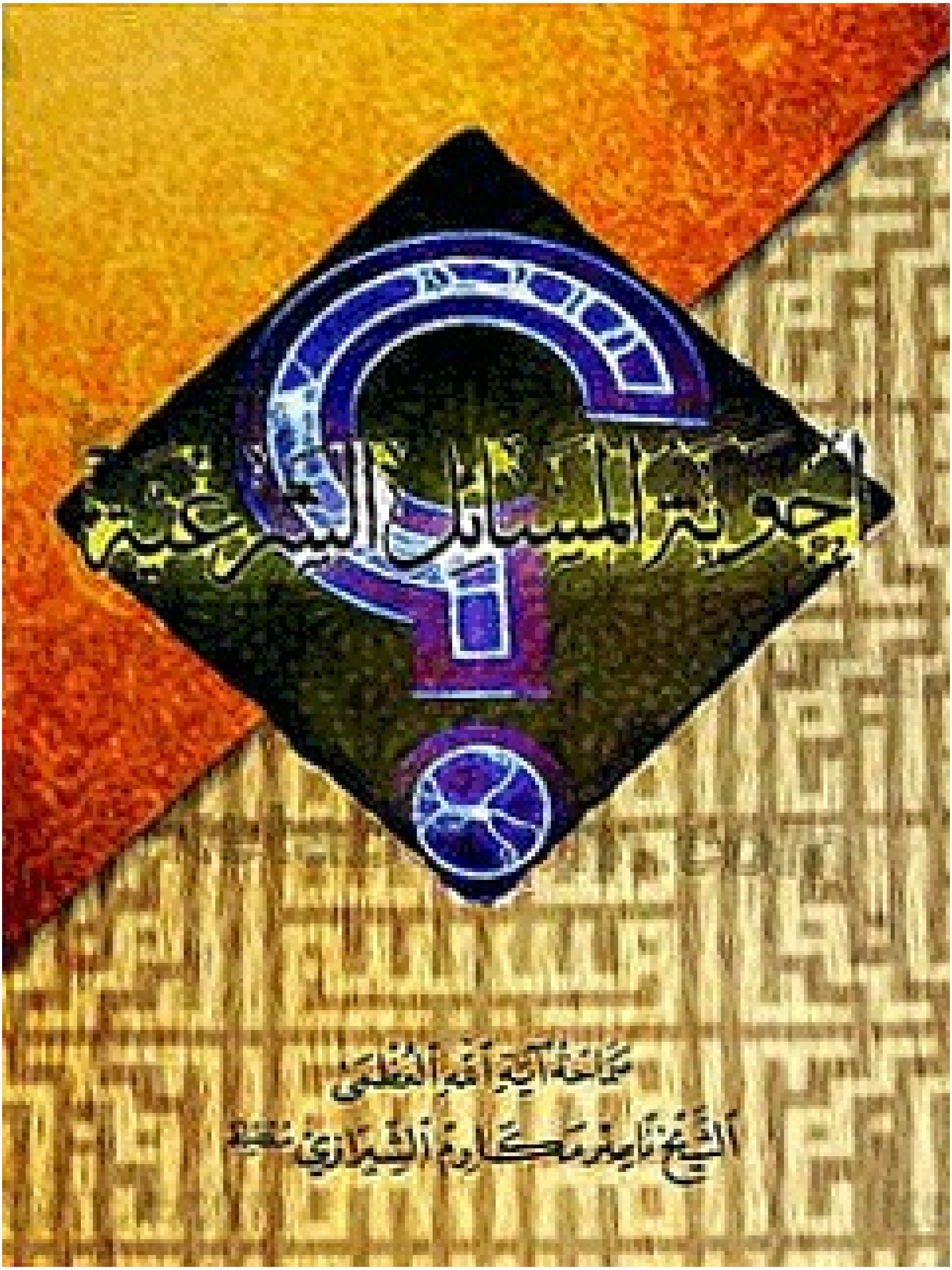

أجوبة المسائل الشرعية
سماحة آية الله العظمى
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله

بسم الله الرحمن الرحیم

اجوبة المسائل الشرعية

كاتب:

آيت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت في الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

اجوبة المسائل الشرعية

اشارة

نام‌کتاب:اجوبةُ المسائل الشـرعيّة نـام مؤلـف:آيـة اللّه العظمى الشـيخ ناصـر مكـارم شـيرازى مشـخصات نشـر : قـم مـدرسه‌الامام على‌بن‌ابى‌طالب (ع) ۱۳۷۴. موضوع:آثار فقهى و اصولى زبان:عربى تعداد جلد:۱

مقدمة: تاريخ و محتويات الكتاب

«السؤال» أنصع ظاهرة للروح الإنسانيـة المتعطشـة الباحثـة عن الحقيقـة والنافذة على التكامل. و «السؤال» أحد ملامح الجهود والمساعى المضـنية والمتواصلة للإنسان بغية الوقوف على أسرار العالم وتفاصيل المجاهيل؛ ومن هنا فإنّ أولئك الذين لا يعيشون هاجس السؤال عن بعض المطـالب هم أفراد قليلـو المعلومـات وممن يعـتريهم العى فى المسائـل العلميـة. وعلى هـذا الضوء فـإنّ الإسـلام بفضـله ديناً نهضويـاً وحضاريـاً منـح اتباعه حق السؤال فى مختلف القضايا، كما حث أئمّـة الـدين الآخرين على طرح الأسـئلة والاسـتفسارات التى تطارد مختلف الميادين العلمية؛ غاية الأمر أنّ أجوبة الأفراد عادة ما تتناسب مع مسـتوياتهم الفكرية واستعداداتهم العلمية، ولذلك فإنّ أعمق الاجوبـة التى ورثناهـا عنهم اليوم، تتمثـل فى تلـك التى ساقوها فى أطار ردهم على أسـئلة العلماء والحكماء من أصـحابهم. إنّ سيل الأسـئلة والاسـتفسارات الدينية أخذ ينهال ويتزايد شـيئاً فشـيئاً على مجلة «المدرسة الإسـلامية» الدينية والعلمية منذ انطلاقتها؛ ولما كان من المتعذر على المجلة اسـتعراض كل تلك الأسـئلة مع أجوبتها (سـيما أنّ بعض الأسـئلة تفتقر إلى البعد العام والشمولى أو أنّها ليست بتلك الأهميّـة المطلوبة) فإنّ جانباً كبيراً منها احيل على قسم اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۶ الردود على الأسئلة الخاصة والتى يرد عليها من خلال المكاتبات. بينما تكفّلت المجلة بتقديم الردود الشافية على تلك الأسـئلة ذات الطبيعة العامة والمفيدة للجميع. وقد قام مكتب جيل الشـباب للنشـر بتنظيم وطبع تلك المجموعة من الأسـئلة والردود فى أربعة كتيبات وإعادة طبعها أكثر من مرّة. ونظمت اليوم بهـذا المجلد بعد التنقيح وإعادة النظر فى بعض مطالبها. وهنا تجدر الإشارة إلى أنى سـطرت بقلمى بعض الأجوبة، بينما قام أخى سماحة الشـيخ سبحانى بالرد على البعض الآخر، وقد أخرجت بهذا الشكل بعد تصنيف الأسئلة المتشابهة. طبعاً نعترف أنّ أجوبة بعض الأسـئلة وردت موجزة، لكن لاـ ينبغى أن ننسـى أنّ الأـمر لو لم يكن كـذلك فلعـل بعض الأجوبـة تتطلب كتابـاً مستقلًا؛ الأـمر الـذى يتعارض وهـدفنا المنشود. وأخيراً نأمل أن يكون هـذا الكتاب قـد اسـدى خدمة لكل من يروم الوقوف بصورة اسـتدلالية على المسائل الشرعية. قم: الحوزة العلمية ناصر مكارم الشيرازى رجب المرجب عام ۱۴۱۸ ه

القسم الأول معرفة اللَّه و صفاته

۱ كيف يمكن للعدم أن يفيض الوجود؟

سؤال: يؤمن الموحـدون بـأنّ اللَّه خلق العـالم من العـدم، فكيف يكون العـدم مصـدراً للوجود؟ الجواب: السؤال المـذكور يمثـل أحد شبهات المدرسـة المادية. فزعماء هذه المدرسة يؤمنون بأنّ المادة قديمة وأزلية ويزعمون أنّها لم تسـبق العدم، وهكذا أنقذوا أنفسـهم من الشـبهة المـذكورة وأثاروهـا ضـدنا فقالوا: إن زعمتهم أنّ المادة لم تكن موجودة ثم وجـدت، فهـذا يعنى خلق الوجود من العـدم، فكيف يكون العـدم من الوجود؟ والجواب عن هـذا السؤال: إنّ الماديين لم يقفوا على مراد الموحّـدين من قولهم «خلق اللَّه العالم من العـدم» وتصوروا «من العـدم» من قبيل «من الخشب» أو «من الحديـد» فى الأمثلة التالية: مثلًا يقال هذا الباب والنافذة من الخشب، وهذه الماكنـة من الحديـد، وهـذا البيت من الحجر والطين، وبـالطبع فإنّ الخشب والحديـد والحجر علـة ماديـة، والعناصـر الثلاثـة هى المواد

المكونـة للباب والنافـذة والماكنـة، والأشـياء المـذكورة صـنعت منها، فهى المادة الحقيقية والأساسـية لها. والحال ليس مراد الفلاسـفة المسلمين من قولهم «خلق العالم من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰ العدم» بمعنى أنّ العدم منشأ الوجود وأساسه وأنّه المادة المكونة له. بـل مرادهم أنّ العـالم لم يكن ثم كـان، دون أن يكون للعـدم أدنى مدخليـة فى ظهوره وتكونه. وأوضـح من ذلـك: أنّ المـاديين الـذين يعتقـدون بأنّ ذرات العالم قديمة وأزلية وغير مسـبوقة بعدم، ويقابل ذلك الإعتقاد الإسـلامى الذى يرى حدوث جميع الذرات وسـبقها العدم، اطلقوا تلك العبارة فى أنّ العالم خلق من العدم، أى لو تصفحنا أوراق الوجود وعدنا إلىالوراء، فإننا سنبلغ نقطة تنتهى فيها أوراق الوجود وسوف لن يكون هنالك أى مظهر للوجود. والردّ على هذه الشبهة ما ذكرناه آنفا، ولو اغضضـنا الطرف عمّا ذكر، فإنّ هذه الشـبهة ترد على أصـحاب النزعة المادية، ذلك أنّ القديم عندهم المادة وذرات العالم، وأمّا الصور والأشـكال التى تظهر من تركب هـذه الـذرات فسـتكون حادثـة قطعاً ومسبوقة بعـدم، بمعنى أنّهـا تكونت من العـدم. فمليـارات الأحياء والنباتات مثلًا لها صور جوهرية وأشـكال معينة ظهرت من تركيب الذرات، والقديم والأزلى من وجهة نظر المادى بالنسـبة للإنسان والحيوان والنبات والنجوم إنّما يتمثل فى ذراتها، وأمّا الصورة الخاصة الإنسانية والشـكل الحيوانى والنباتى لكل فرد منها حادث؛ أى لم يكن ثم صار لاحقاً. مثال آخر: تأخـذ بيـدك قلمـا وترسم صورة على لوح. فالـذى كـان سابقاً مادة الصورة (القلم) لا نفس الصورة، والصورة شـيء لم يكن ثم كان فيما بعـد، وعليه فنحن نطرح هـذا السؤال على الماديين بشأن ظهور الصور فنقول: كيف ظهرت هـذه الصور الجوهريـة (كالإنسان الخارجى) والعرضـية (كالصورة التى ترسم على الورقـة) من العـدم، وكل ما يجيب عنه الماديون بشأن ظهور هـذه السلسـلة من الصور والأشكال، هو ذاته الذى نجيب عنه بشأن ظهور المادة.

۲ هل النظام الذى يسود العالم دليل على خلقه؟

سؤال: إنّ انصع دليل يسـتدلون به على إثبات الصانع هو دليل النظم، والنتيجة التى ينبغى استنباطها من هذا الدليل أنّ لهذا العالم منظماً ومدبّراً لتصـرفنا وتنظيمنا لأشـياء هذا العالم؛ ولكن لا يمكن استنتاج خالق وصانع لوجودات هذا العالم؟ الجواب: الواقع أنّ أفضل دليل على وجود اللّه كما ذكر هو برهان النظم، ذلك أنّ النظام والدقّة تطالعنا فى كل جزء من المخلوقات؛ وهـذا يدل على أنّ كل مخلوق إنّما صدر من مبدىء قدير وعليم. وأمّا هل مدبّر مخلوقات هذا العالم ومنظمها خلقها من العدم، فذلك مبحث آخر ثبت فى محلّه باب معرفـة اللّه من خلال عـدم أزليـة المادة؛ ذلك لأنّه حين ثبت عدم أزلية المادة، كان من الضـرورى أن يكون لها خالق ومدبّر أوجدها من العـدم. وخلاصـة القول إنّ برهان النظم يقتصـر على إثبات حاكميـة اللّه تعالى على عالم الخليقة؛ وأمّا إيجاد المخلوقات من العدم فإنّما يثبت بدليل عدم أزلية المادة. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۲ وقد أثبت الفلاسـفة حدوث المادة بواسطة الأدلة الفلسفية، حيث أصـبح حـدوث المادة من المسائل الواضـحة للعلوم الطبيعيـة بعـد اكتشاف القانون الثانى للترموداينمك والأنتروبيـة (اضـمحلال العالم وانخفاض الحرارة وأنّ جميع الأجسام تسير من الحرارة إلى البرودة). وإليك بحث مقتضب بهـذا الشأن: إنّ أول من اكتشف حـدوث المادة والطاقـة عن طريق العلوم الطبيعية وبرهن على حدوث عالم الخليقة هو «اسـحاق نيوتن». حيث اسـتنتج من مطالعاته ودراساته: أنّ العـالم يسير من النظم والـترتيب إلى العشوائيـة والانحلال، وسيأتى اليوم الـذى تتساوى فيه حرارة جميع الأجسـام، ومن هنـا توصـل إلىنتيجـة مؤداها أنّ لهـذا العالم بدايـة. ثم اعتقـد بعد مطالعته للحرارة أنّ مقداراً من الطاقة فى جميع التغييرات التى تطرأ على الحرارة يتحول إلى طاقـة ضائعـة دون أن تتحول هـذه الطاقـة الضائعـة إلى طاقة يمكن الاسـتفادة منها (القانون الثانى للترموداينمك). وأدرك «بولتزمن» العـالم الرياضـى المشـهور أنّ القـانون الثـانى للحرارة والحركـة حالـة خاصـة لقاعـدّة كليـة أنّ التحول فى الحرارة فى كـافّة الحركات يتضـمن تبـدل الطاقـة وتبعثر نظام الـذرات واضـمحلال الخليقة. توضـيح ذلك: وفقاً لقانون الترموداينمك الثانى؛ أى قانون الحرارة الـذى يصـطلح عليه بالأـنتروبى فـإنّ حرارة الأجسـام الحـارة تسـرى إلى الأجسـام البـاردة، ولاـ يمكن حـدوث العكس تلقائيا. والحقيقـة فإنّ الأنتروبى هو نسـبة القوّة غير القابلة للاسـتفادة إلى القابلة للاسـتفادة، ومن المسـلم به علمياً أنّ الأنتروبى آخذ بالأزدياد،

ولو كان العالم أزلياً وليس له بداية لتساوت حرارة جميع الأجسام قبل مدّة مديدة ولما بقيت قوّة قابلة للاستفادة وبالنتيجة لما حدث أى تفاعل كيميائى ولانعدمت الحياة على الأرض، لكننا نشاهد استمرار التفاعلات الكيميائية وتجدد مظاهر الحياة على الأرض. والخلاصة: أنّ العالم يتجه إلى حالة تبلغ فيها الأجسام جميعاً درجة متشابهة من التسافل وانعدام الطاقة الاستهلاكية واستمالة الحياة، ولو لم تكن للعالم بداية وكان موجوداً اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳ منذ الأزل، لإنطفأت جذوة المنظومة الشمسية منذ مدّة بعيدة، ولاضمحلت طاقة الشمس وجميع كائنات المنظومة الشمسية- بما فيها الأرض وسكانها- ولانعدم وجود أى عنصر مشع.

۳ كيف السبيل إلى الاعتقاد بنظم العالم اللامحدود بهذا العلم المحدود؟

سؤال: إنّكم تقولون فى الردّ على مزاعم الماديين بشأن عدم انتظام عالم الخلقة: «إنّما يسع الإنسان أن يحكم بعدم انتظام بعض حوادث العالم إن وقف على جميع أسرار الخلق، والحال أنّ معلومات البشرية واكتشافاتها بحكم الصفر إزاء المجهولات». ولعل الطرف المقابل يحتج عليكم بنفس الجواب بشأن إثبات نظام العالم بالاستناد إلى المعلومات الحاضرة فيقول: إنّكم إنّما تستطيعون إثبات نظام العالم حين تقفون على جميع أسرار الخلق؛ فكيف تحكمون بحكمة وانتظام هذا العالم اللامحدود بهذا العلم المحدود. الجواب: إننا لا ـ نزعم قط أنّ البشرية كشفت بهذا العلم المتطور أسرار العالم كافّة وسبرت أغوار جميع خفاياه، بل مازال العلماء يؤكدون أنّ معلومات الإنسان كلما إزدادت تضاعفت مجهولاته بنفس تلك الزيادة، وإننا نبغى إثبات: أنّ لهذا العالم (حسبما اكتشفه العلم وأماط عنه اللثام) نظاماً حكيماً ومذهلًا للعقول والألباب؛ غير أننا لا ننوى الخوض فيما ليس لنا به اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶ علم. وكل ما نقوله إنّ الدائرة التى أضاء جوانبها العلم مفعمة بالنظم والدقّة، وبالطبع رغم صغر حجم هذه الدائرة إزاء مجموع أسرار عالم الخلقة، إلّاأنّها غاية فى السعة بالنسبة لنا. وهذا يكفى فى إثبات وجود الخالق العليم والحكيم؛ ذلك لأنّه لايمكن نسب واحد بالمليار من النظم الذى كشف عنه العلم إلى الصدفة والطبيعة العمياء؛ بل يمكن اعتباره نموذجاً لدقّة عالم الوجود. ولتقريب المطلب دعنا نستعين بهذا المثال: أفرض إننا ظفرنا بكتاب ضخم للغاية يعود إلى الأزمنة الماضية، واستطعنا بعد جهد جهيد ومساعٍ متواصلة وبالاستفادة من مطالعة مئات الكتب أن ننجح فى إدراك بعض صفحاته، وقد اختزنت هذه الصفحات عالم من الأسرار والحقائق، بل كان كل سطر فيه يثير العديد من المطالب العميقة والقيمة يكشف عن عقلية مقتدرة وفذة، فرغم عدم وقوفنا على صحة أو سقم مطالب سائر صفحات الكتاب، إلّاأننا نستطيع أن نحكم من خلال هذه الصفحات على أنّ مؤلف هذا الكتاب نابغة وعبقرى فذ، بل نستطيع أن نفهم إجمالًا من هذه الصفحات أنّ ما تبقى منها تفيض بآلاف الأسرار والخفايا العلمية التى لم نؤهل لحد الآن لإدراكها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷

۴ هل يمكن إدراك الذات المطلقة؟

سؤال: هل ذات اللّه متناهية أم لا ـ؟ وبغض النظر عن ذلك هل عقلنا وفكرنا متناه فى وظائفه أم لا ـ؟ وهل يسع المتناهى إدراك اللامتناهى؟ الجواب: للاجابة عن هذا السؤال وأشباهه نلفت انتباه القراء الأعزاء إلى ما يلى: ثبت فى مباحث معرفة اللّه وصفاته أنّ اللّه وجود لا ـ متناهٍ من جميع الجهات؛ لا ـ متناهٍ من حيث الوجود ولا متناهٍ من حيث العلم والقدرة ولا متناهٍ من حيث الزمان والمكان، فلا يخلو منه مكان، ولا ينعدم فى زمان، وليس هنالك من شىء لا يعلمه اللّه ولا فعل يعجزه. وبناءً على هذا فاللّه وجود مطلق ولا متناهٍ من جميع الجهات وهذا أصل أساسى فى الأبحاث كافّة المتعلقة بصفات اللّه وبالاستناد إلى هذا الأصل يثبت العلماء صفات اللّه. وباستثناء الذات المقدّسة فإنّ كل شىء سواها محدود؛ محدود من حيث الزمان والمكان وسائر الجهات. ومن البديهى أنّ الوجود المحدود يعجز عن إدراك الوجود اللامحدود كما هو؛ ومن هنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸ نقول: يستحيل على البشرية إدراك الذات الإلهيّة المقدسة؛ وكل ما لدينا بشأن هذا الوجود معلومات إجمالية، نعلم بهذا الوجود، ونعلم أنّ له علماً وقدرة، وينطوى على صفات

الكمال كافّـة، لكننا نجهل خصائص وجوده وعلمه وقـدرته؛ أى كنه ذاته وصـفاته. وليس كنه ذاته وصـفاته مجهولًا لـدينا، بل مجهولة لـدينا حقيقـة أغلب موجودات هـذا العالم المحيطـة بنا، فالبشـرية لم تقف لحـد الآن على حقيقة «الحياة». وإننا لا نحسن معرفة الأشـياء إلّامن خلال آثارها فى حين نجهل هويتها الواقعيـة والحقيقيـة، ولعلنا لا نعيش حتى هاجس التعرف على حقيقـة الأشـياء كافّة بفعل ما نتمتع به من محدوديـة ووسائل وأدوات قاصـرة. فأفكارنا بمثابـة ملعقة إزاء الذات الإلهيّة المقدّسة التى تمثل محيطا متلاطماً، من حيث التصور أن يدرك الوجود الذى يحيط به من جميع الجهات. وهل يسع الجنين (لو كان له عقل) أن يرسم صورة صحيحة لأُمّه ويتصور شكلهـا وسـائر خصائصـها؟ قطعاً لا؛ وذلـك لأنّه محاط والأُم محيطـة به، رغم محـدوديتهما معاً؛ فما ظنك بالإنسان المحاط بالنسـبة لإدراك الذات المقدّسة اللامتناهية المحيطة به؟! اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹

۵ هل اللَّه قوّة؟

سؤال: هل صـحيح ما يقال: (إنّ اللَّه قوّة عظيمة حاضرة فى كل مكان وخالق لجميع الكائنات)؟ الجواب: لا يصح اطلاقاً التعبير عن اللَّه بالقوّة؛ لأنّ ذلك قـد يدعو إلى اللبس بشأن سائر قوى الطبيعة، فاللَّه وجود لا متناهٍ من جميع الجهات، وحاضـر فى كل مكان وليس له صفات كصـفات الوجودات الطبيعيـة وقـد شدد العلماء فى كتبهم «العقائدية والدينية» على وجوب التحفظ عن اسـتعمال أى لفظ تشـم منه رائحة التجسم والمادية بشأن اللَّه تنزيهاً له عن التشبه بأى من الأمور المادية، ومن هنا لابدّ من التحرز عن استعمال لفظ (القوّة) على اللَّه، وعليه لابدّ من القول: إنّ اللَّه ليس بقوّة، بل اللَّه اسمى من المادة والقوّة والطاقة فهو خالقها جميعاً.

۶ كيف يكون كمال توحيد اللَّه نفى الصفات عنه؟

سؤال: جاء فى الخطبـة الأولى من نهـج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السـلام أنّه قال: «وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه». فكيف يمكن أن يكون نفى الصفات عن اللَّه كمال توحيده؟! الجواب: يمكننا أن نقف على دليل هذا الموضوع فى كلاـم أمير المؤمنين عليه السـلام فى هـذه الخطبـة إذ قـال: «لشـهادة كـل صـفة أنّهـا غير الموصوف وشـهادة كل موصوف أنّه غير الصـفة». توضيـح ذلـك: ثبت فى الأبحاث الواردة فى صـفات اللَّه أنّ صـفاته عين ذاته وليست زائـدة عليها كما هو الحال فى صـفات البشـر، بمعنى أنّ الذات شـىء والصـفات شـىء آخر بالنسـبة للممكنات؛ فمثلًا علمنا غير ذاتنا وعارض عليها، إلّاأنّ صـفات اللَّه ليسـت كذلك؛ أى أنّ علمه عين ذاته، وبعبارة أخرى هى ذات كلّها علم وقدرة وحياة. وعليه فمراد الإمام عليه السـلام من قوله كمال توحيده نفى الصـفات عنه، يعنى نفى الصـفات الزائدة على الذات. فحين نقول: لدينا علم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲ فعلمنا شىء، ونحن شىء آخر، لم نكن عالمين ثم تعلمنا العلم تـدريجياً، ولو كانت لدينا معلومات منذ البداية، فعلمنا أيضاً غير وجودنا، أو أنّ ذلك العلم يشـكل زاويـة من وجودنا على وجه الدقّـة. وهكـذا قـدرتنا الكامنة فى عضـلاتنا وأعصابنا، إنّما تشـكل زاوية أخرى من وجودنا، وهذا العلم والقـدرة مختلفـان ويشـكلان زاويتين مختلفتين من وجودنـا، فبعقولنـا وأرواحنـا نـدرك ونفهم الحقائق، وبعضـلاتنا القويـة نرفع الأجسـام الثقيلـة من الأـرض. فصـفاتنا ليست عين ذاتنا ولا عين بعضـها بعضاً. والأمر ليس كـذلك بالنسـبة للَّه؛ فـذاته عين العلم وعين القـدرة وعين الحياة والإدراك؛ أى أنّ العلم لا يشـكل زاويـة من ذاته ولا تشـكل القـدرة زاوية أخرى منها، فجميع ذاته علم وجميعها قدرة. وعليه فقدرته أيضاً عين علمه. ولعل تصور هذا الموضوع يصـعب على الكثير، ويظنونه ضـرباً من الخيال، وبالطبع ربّما لهم بعض الحق؛ لأنّ صـفاتنا ليست كذلك، حيث ألفنا الصـفات التى يشـكل كل منها جانباً من وجودنا وتختلف بعضها عن البعض الأخر، ومن هنا يصـعب إدراك الصفات التى تمثل عين الذات، بل يبدو إدراكها مستحيلًا على بعض الأفراد. ونرى من الضرورة بمكان أن نستعين ببعض الأمثلة لتقريب الموضوع إلى الأذهان: لو تأملنا الضوء وشـعاعه، فكل شـىء يبدو واضـحاً من خلاله. وعليه فالكاشـفية والايضاح إحـدى صـفات الضوء، ولكن هل هـذه الخاصـية كامنـة فى زاوية من وجود الضوء أم لا؟ بل الضوء كله كاشـفية وايضاح. مثال آخر:

تقول أدلة التوحيد: إننا مخلوقات اللّه وهو خالقنا، كما صرحت الأبحاث السابقة بشأن علم اللّه: إننا معلومون للّه، أى أنّ اللّه عالم بوجودنا. واستناداً لما تقدم يرد هذا السؤال: هل مخلوقيتنا ومعلوميتنا للّهوالتى تعتبر من صفاتنا يشكل كل منها زاوية من وجودنا أم لا؟ والجواب على هذا السؤال واضح، فكل وجودنا مخلوق للّه، كما أنّ كل وجودنا معلوم لتلك الذات المقدّسة. وعليه فصفة المخلوقية والمعلومية غطت جميع وجودنا، وبعبارة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳ أخرى اتحدت مع كامل ذاتنا. طبعاً المراد من المثالين المذكورين الابتعاد عن المألوف لدينا من الصفات المتعارفة الزائدة على الذات، وإدراك الصفات التى تمثل عين الذات. «۱» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵

۷ من خلق اللّه؟

سؤال: قد يبدو هذا السؤال مثيراً للدهشة، لأنّ الفيلسوف الانكليزى المعروف «برتراند رسل» صرح فى أحد كتبه قائلًا: كنت فى شبابى أؤمن باللّه، وأرى برهان «علة العلل» أفضل دليل على وجوده، فلكل ما فى العالم علّة، ولو تابعنا سلسلة العلل لوصلنا إلى العلة الأولى التى نسميها «اللّه». لكنّى تراجعت لاحقاً عن هذه العقيدة، ذلك لأنّ السؤال الذى يتبادر إلى الأذهان على ضوء هذا الدليل: أنّ لكل مخلوق خالق وعلّة، فلا بد أن تكون للّهعلّة وخالق، فكيف السبيل إلى حل هذا الإشكال؟ الجواب: يعتبر هذا الإشكال من الإشكالات المشهورة وفى نفس الوقت الساذجة التى أثارها أصحاب النزعة المادية. فهؤلاء يقولون بكل بساطة: إن كان اللّه هو الذى خلق كل شىء، فمن خلق اللّه؟ ولكن ما الذى دعا الفيلسوف المذكور إلى التعرف على هذا الإشكال لاحقاً، على كل حال لابدّ من تسليط الضوء على هذا السؤال الذى يساور أذهان العديد من الشباب: ولعل الجواب عن هذا السؤال يتضح من خلال الإلتفات إلى عدّة أمور مهمّة بهذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶ الشأن: لو سلّمنا لأفكار الماديين واتفقنا مثلًا مع الفيلسوف «رسل»، فهل سنسلم لهذا الإشكال؟ قطعاً لا! ... لماذا؟ لأنّ أصحاب النزعة المادية يؤمنون بقانون العلية، فهم يعتقدون بأنّ كل شىء فى عالم الطبيعة معلول لآخر. وعليه يرد عليهم نفس الإشكال: إن كان كل شىء معلولًا للمادة فما معلول المادة؟ وعلى هذا الأساس (وبالنظر إلى استحالة امتداد سلسلة العلل والمعاليل إلى مالانهاية) فإنّ جميع الفلاسفة (ربّما فيهم الفلاسفة الماديون والإلهيون) يؤمنون بوجود أزلى (وجود كان موجوداً على الدوام)، غاية الأمر أنّ الماديين يزعمون أنّ هذا الوجود الأزلى هو «المادة» أو شىء مشترك بين المادة والطاقة، أمّا الموحّدون فيرون أن الوجود الأزلى هو اللّه، ويتضح من هذا أنّ «رسل» مضطر للإيمان بوجود أزلى (وإن كان المادة). فهل لهذا الوجود الأزلى من علة؟ طبعا لا .... لماذا؟ لأنّ الوجود الأزلى موجود دائماً، والوجود الدائمى لا يحتاج إلى علّة، والوجود الذى يحتاج إلى العلة ما كان معدوماً مدّة ثم اكتسب الوجود لاحقاً (تأمل). والنتيجة: أنّ وجود مبدأ أزلى ودائمى قول يعتقد به الجميع، والأدلة العقلية فى بطلان التسلسل (سلسلة علل ومعاليل لا متناهية) جعلت جميع الفلاسفة يقرون بوجود المبدأ الأزلى. وعليه فليس هنالك من خلاف بين الفلاسفة الإلهيين والماديين فى قبول أحدهما لعلة العلل وانكارها من قبل الآخر كما ظن «رسل»، بل يعتقد كلاهما بعلة العلل أو العلة الأولى. والسؤال المطروح: إذن ما الخلاف بينهما؟ والواقع أنّ اختلافهما يكمن فى أنّ الموحّدين يرون لتلك العلّة علماً وإرادة ويسمون تلك العلّة (اللّه)، أمّا الماديون فيرونها مسلوبة العلم والإرادة ويسمونها (المادة). أمّا لماذا جهل الفيلسوف «رسل» هذا الموضوع، فلا يسعنا سوى القول أنّه مختص بالعلوم الرياضية والطبيعية وعلم الاجتماع، لا فى المسائل الدينية والفلسفة الأولى (بمعنى معرفة الوجود وآثاره). ويستنتج ممّا سبق أنّ فلاسفة الدين لا يكتفون بدليل علة العلل لإثبات وجود اللّه؛ ذلك لأنّ هذا الدليل لا يرشدنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷ سوى إلى وجود «العلة الأولى» أو بعبارة أخرى إلى وجود أزلى يؤمن به حتى الفلاسفة الماديون. بل المسألة المهمّة لدى الفلاسفة إثبات ما بعد العلة الأولى والذى يتمثل فى علمها المطلق التام، وإثبات هذه المسألة يبدو سهلا عن طريق تأمل نظام الوجود والأسرار والعجائب والقوانين الدقيقة التى تحكم السماوات والأرضين وما تضمه من احياء متنوعة (تأمل). هذا أول الكلام فى الرد على الإشكال المذكور. الموضوع الآخر الذى تجدر الإشارة إليه أنّ أساس هذا الإشكال فى هذه

القضية (لابدّ من علّة وخالق لكل موجود). والحال هذا ليس قانوناً كلياً ولا يصح سوى على الوجودات المسبوقة بالعدم ثم ارتدت حلّة الوجود. توضيح ذلك: هنالك وجودات لم تكن موجودة سابقاً مثل المنظومة الشمسية ومن ثم الكائنات الحية- التى تشمل النبات والحيوان والإنسان- التى يشهد تاريخها على أنّها ليست أزلية الوجود، بل لم يكن لها وجود خارجى قبل ملايين السنين ثم اكتسبت الوجود لاحقاً. وممّا لا شك فيه أنّ ظهور هذه الوجودات يتطلب بعض العلل والعوامل، ومن المسلم به أنّ انفصال الكرة الأرضية عن الشمس (على ضوء نظرية لابلاس أو سائر النظريات) يعزى إلى عوامل خاصة، سواءً عرفناها أم لم نعرفها. كما أنّ ظهور الحياة الأولى فى النبات ثم الحيوان والإنسان إنّما يعزى إلى عوامل معينة، ومن هنا لا يكفّ العلماء عن بذل الجهود بغية التعرف على هذه العوامل، ولو لم تكن هنالك من علة لظهور هذه الموجودات، لما كان هنالك من سبب لظهورها فى مليون سنة أو بضعة مليارات من السنين، لماذا لم تظهر فى زمان يعادل ضعف هذا الزمان أو نصفه؟ لا ـ شك أنّ وجود زمان معين لظهورها يعدّ أفضل دليل على أنّ علّة وجودها إنّما تحققت فقط فى ذلك الزمان. أمّا إن كان الوجود أزلياً- سواء كان هذا الوجود الأزلى اللّه أو المادة- فإنّ مثل هذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸ الوجود ليس بحاجة قط إلى علّة، ليس بحاجة إلى خالق وإله، ذلك لعدم وجود تاريخ لظهوره بحيث تضمن العلة الموجودة، أو كانت العلة معدومة فى ذلك التاريخ. فما كان أزلياً كان وجوده يفيض من ذاته لا من خارج الذات ليكون محتاجاً إليه (لابدّ من التأمل). فأنا وأنت والأرض والسماء والمنظومة الشمسية و ... بحاجة إلى خالق، فوجودنا ليس أزلياً وليس من ذاتنا، وليست العلة الأولى وعلّة العلل ليكون وجودها من ذاتها. مثال واضح: يستعين الفلاسفة ببعض الأمثلة لتوضيح كلامهم الفلسفى بغية تقريب الموضوع إلى الأذهان؛ فيقولون مثلًا: حين ننظر إلى غرفتنا نراها مضيئة. فنسال أنفسنا: هل الإضاءة من نفس الغرفة؟ ونجيب على الفور: كلا، ذلك لأنّ الإضاءة إن كانت من نفس الغرفة، فلا ينبغى أن تكون مظلمة فى أى وقت من الأوقات، بينما تراها مضيئة أحياناً ومظلمة أحياناً أخرى إذن فالإضاءة من مكان آخر. وسرعان ما يقتدح فى أذهاننا أنّ الإضاءة فى الغرفة بفعل الذرات أو الأمواج الضوئية المشعة فى الغرفة. ونتساءل ثانية: ما مصدر اشعاعات الضوء وذراته؟ ونجيب بعد شىء من التأمل أنّ اشعاع ذرات الضوء من ذاتها، فهذه الذرات لم تكتسب ضوئها من شىء آخر، ليس باستطاعتنا الظفر بأى مكان فى العالم فيه ذرات ضوء مظلمة واكتسبت الضوء من موضع آخر. فذرات الضوء مضيئة أينما كانت، والضوء جزء من ذاتها. نعم يمكن أن تزول هذه الذرات، لكن لا يمكن أن تكون مظلمة وهى موجودة (تأمل). وعليه فإن قيل: إنّ إضاءة كل مكان فى العالم معلول للنور، فما علّة ضوء النور؟ نقول فوراً ضوء النور جزء من وجوده. وكذلك حين يقال وجود كل شىء من اللّه، فمن أين وجود اللّه؟ نجيب وجوده من ذاته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹

۸ كيف السبيل إلى الاعتقاد بعلم اللّه بالحوادث الاتية؟

سؤال: إنّكم تقولون فى مبحث «معرفة اللّه» بشأن علم اللّه: (إنّ اللّه عالم بكافة أحداث الماضى والحاضر والمستقبل على حد سواء)، ولا يشذ شىء عن علمه، وعلمه بكافّة الأمور (علم حضورى، أى أنّ جميع الأحداث حاضرة عند اللّه، وليس هنالك من حجاب بينه وبين الحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلية). ليس هنالك من نقاش فى الحوادث الماضية والحاضرة؛ إلّاأنّ القضية تبدو صعبة بالنسبة لحوادث المستقبل؛ فكيف يكون حاضراً عند اللّه ما لم يقع لحدّ الآن ولم يوجد؟ الجواب: تكفّلت الأبواب الواردة فى مباحث معرفة اللّه بالردّ على هذا السؤال وأمثاله. فالفكر البشرى المحدود هو الذى صنع بعض المفاهيم كالماضى والحاضر والمستقبل؛ فوجودنا محدود من حيث «الزمان» ومن حيث «المكان»، أى أننا نقع ضمن نقطة معينة من دائرة الزمان والمكان. ومحدوديتنا من حيث المكان خلقت لنا بعض المفاهيم كالقريب والبعيد، فلو كان وجودنا يسع جميع العالم فهل يبقى لدينا من معنى للقريب والبعيد؟! اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰ وهكذا فإنّ محدوديتنا من حيث الزمان ترسم فى أذهاننا صورة للماضى والحاضر والمستقبل. فالحاضر هو الزمان الذى نعيش فيه، والمستقبل هو الزمان الذى يأتى بعدنا، والماضى هو الزمان الذى كان قبلنا، أى أنّ المعيار فى كل

مكـان هو وجودنـا. وعليه فمـا كـان زماناً ماضـياً بالنسـبة لنا، كان زماناً حاضـراً لمن عاش قبلنا بقرن، كما كان مسـتقبلياً لمن عاش قبل قرنين، ونستشف ممّا سبق فقـدان هـذه المفاهيم لمعانيها بالنسبة للوجود اللامتناهى الحاضـر فى كل زمان ومكان؛ فهو يرى الماضـى والمسـتقبل كالحاضـر، وكلها حاضرة عنده على حد سواء. فمثلًا: الشخص الذى ينظر من نافذة فى غرفة إلى قافلة من الجمال إنّما يرى كل لحظة جملًا، فترتسم صورة فى ذهنه عن الماضـى والحاضـر والمستقبل لهذه القافلة (لأنّ البوابة التى ينظر من خلالها محدودة)، أمّا الشـخص الواقف خارج الغرفـة وينظر إلى القافلـة فهو يراها تتحرك جميعاً فى فترة واحدة! بعبارة أخرى: كافّة الأحداث حاضـرة لدى الوجود الـذى يفوق الزمـان والمكـان. وما نقوله من أنّ الحوادث المسـتقبلية ليست موجودة الآن صـحيح، لأنّ «الآن» إشارة إلى الزمان الحاضر الذى نعيشه، إلّاأنّ ذلك لا يعنى عدم وجود المستقبل فى ظروفه، بل كل وجود موجود فى ظرفه ولا يمكن أن تسلب كلياً من صفحـة الوجود، ويمكن القول إنّ حادثة الغد ليست واقعة اليوم، لكنّها ليست غير موجودة أصـلًا (تأمل). اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۳۱

۹ ماذا يعنى جمال اللَّه ولقائه يوم القيامة؟

سؤال: ثبـت فى مبحـث معرفـة اللَّه أنّ اللَّه ليس بجسم ولاـ يمكن رؤيته ولاـ يصـح اطلاـق أى لفـظ على اللَّه تشم منه رائحـة التجسـم وعوارض الجسم؛ مع ذلـك فقـد ورد فى بعض الروايـات: «إنّ اللَّه جميل يحبُّ الجمال» «۱» والذى يسـتفاد من هذه العبارة أنّ الرؤية ممكنة على اللَّه، لأنّ الجمال من الصفات التى تشاهد بالعين. كما جاء فى الخبر: «من طلب الدنيا استغناء عن الناس و تعطفا على الجار لقى اللَّه ...» «۲» . وعليه فالخبر يشـير إلى جسـمية اللَّه. الجواب: أحياناً ترد بعض العبارات فى الآيات القرآنية وكلمات أئمّة الدين التى تصور للوهلة الأولى منافاتها مع هذه الحقيقة المسلمة فى نزاهة اللَّه عن التجسيم والرؤية، من قبيل «يَدُ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «۱» و «... وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» «۲» و «أنَّ اللَّهَ يرى أعمالَكُم». إلى جانب ذلك هنالك الفرقة التى يصـطلح عليها ب «المجسمة» وكما يبدو من اسمها فإنّها تقول بتجسم اللَّه، والسبب الذى يقف وراء هذا الإعتقاد لا يتجاوز النظرة السطحية لبعض الآيات والروايـات. ولكن بالإسـتناد إلى طائفـة كبيرة من الآيات والروايات التى تنفى صـراحة أيـة عوارض للجسم عن اللَّه وتتحـدث عن ذاته المطلقـة التى يسـتحيل إدراك كنههـا، يتضـح أنّ مراد تلـك الآيات والروايات ليس ما يبـدو للوهلـة الأولى، بل المراد نوع من التشبيه والمجاز. توضـيح ذلك: نعلم أنّ الألفاظ والكلمات وضـعت لقضاء الحاجات اليوميـة وتدور حول محور الموضوعات المتعلقة بالحياة اليوميـة؛ ولا بـد من الإسـتعانة بهـذه الألفاظ لبيان الحقائق المتعلقة بالمبدأ والمعاد واللَّه وصـفاته، وعليه فلا مناص من اللجوء إلى هذه الألفاظ المتعلقـة بعالم المادة واسـتعمالها مع بعض التشبيهات فى معانٍ جديـدة لعالم ما وراء الطبيعـة، فمثلًا حين نريـد أن نقول إنّ اللَّه عالم بجميع الحوارات والمحادثات، ليس أمامنا سوى القول إنّ اللَّه سـميع لكل شـىء، والمراد هنا من السـميع ليس السـمع بالأذن، بل العلم بجميع الأحاديث، وهكـذا بالنسـبة للرؤيـة وأمثال ذلك. وعليه فإن قيل إنّ اللَّه (جميل) فليس المراد الجمال الجسـمى، بل المراد الكمـال الواقعى؛ ذلـك لأنّ اللَّه وجود جـامع للكمالاـت كافّة التى تساور أذهاننا والتى لا تساورها، وبالطبع فإنّ هكـذا وجود جميل. وكذلك لقاء اللَّه فى عالم الآخرة لا يعنى رؤية اللَّه، بل مشاهدة آثار حكومته وقدرته وعدالته (أى ثواب وعقاب الأعمال) والتى تشير جميعاً إلى وجوده وآثار صـفاته، وقـد اعتبرت رؤيـة هذه الأثار بمنزلة رؤية اللَّه. حتى روى عن أمير المؤمنين عليه السـلام أنّه قال: «ما رأيتُ شيئاً إلّاورأيتُ اللَّه قبلَه وبعـدَه ومعَه» والمراد رؤية آثار علم اللَّه وقدرته من خلال رؤية جميع الأشـياء. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۳۳

۱۰ هل يستطيع اللَّه أن يخلق له شبيهاً؟

سؤال: لاـ شـكّ ولا ريب أنّ اللَّه قادر على كل شـىء «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» «۱» والتى لا تفارق مخيلـة كل موحـد، مع ذلك

هنالك بعض المواضيع التى تساور الذهن والتى لا يسع العقل التفكير فى أنّ اللّه قادر عليها، فكيف نذعن لقدرته المطلقة ونؤمن بأنّه على كل شىء قدير؟ وإليك بعض النماذج: ۱- هل يستطيع اللّه أن يخلق مثله؟ فإن استطاع فسوف لن يكون من المحال وجود شريكٍ له، وإن لم يستطع فسوف لن يكون قادراً على كل شىء. ۲- هل يستطيع اللّه أن يدخل هذا العالم العظيم فى بيضة بحيث لا يصغر العالم ولا تكبر البيضة؟ فإن قلتم لا يستطيع فكيف تؤمنون بأنّه على كل شىء قدير، وإن قلتم يستطيع فالعقل لا يسعه تصور استيعاب البيضة لهذا العالم مجراته ومنظوماته كافّة. ۳- هل يستطيع اللّه أن يخلق موجوداً لا يقدر على القضاء عليه أو تحريكه؟ وكلا الصورتين لا تخلو من المحذورين السابقين؛ ذلك أننا إن قلنا لا يستطيع فكيف نؤمن بأنّه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴ على كل شىء قدير، وإن قلنا يستطيع، نتنكر لمطلقية قدرته؛ ذلك أنّ اللّه إن استطاع خلق جسم وعجز عن القضاء عليه أو تحريكه فكيف يكون قادراً على كل شىء ولا يستطيع أن يعدم أو يحرك جسماً يخلقه؟ الجواب: لا تبدو هذه الأسئلة جديدة وقد أثيرت من قبل الناس فى العصور السابقة وأورد أئمّة الدين الأجوبة الشافية عنها. ولعل الجواب المجمل لكل هذه الأسئلة بعبارة واحدة وهى: إنّ القدرة مهما كانت مطلقة ولا متناهية إنّما تتعلق بالشىء الذى يحكم العقل بإمكانه ويؤمن بأنّ هذا الشىء يمكن تحقيقه. أمّا الأشياء التى ليس لها إمكان ذاتى فهى من الأمور المستحيلة والممتنعة لدى العقل. توضيح ذلك: أننا حين نقارن أفكارنا فى الخارج نراها نوعين: النوع الأول: الأفكار التى لا يمانع العقل من وجودها ولا تحتاج فى لباسها لحلة الوجود أكثر من القدرة دون الحاجة إلى شىء أخر، من قبيل عالم الخلق على سعته وما ينطوى عليه من كائنات ومجرات وكواكب وأقمار و ... والممكنة ذاتها بأجمعها، والتى تكتسب ثوب الوجود فى ظل القدرة الربانية اللامتناهية. النوع الثانى: الموضوعات التى يحكم العقل بإمتناع وجودها، وليس ذلك بسبب نقص القدرة الموجودة أو عجزها، بل بذاتها تأبى الوجود. بعبارة أخرى: أنّ العقل حين يضعها على طاولة الحكم يدرك استحالة وجود مثل هذه الموضوعات (وإن كانت القدرة الموجودة لامتناهية) وبالتالى فإنّ الخلل فى ذاتها لا فى موجدها. فلو طلب على سبيل المثال من خياط ماهر أن يخيط بدلة عرس لفتاة تزف إلى زوجها من قطع الطابوق أو الخشب، أو من رسام بارع أن يرسم صورة لجناحى طاووس على أمواج البحر الهادرة، فسيرد الشخصان بالطبع بأنّ هذه الوسائل والأدوات ليست مؤهلة للموضوعات المطلوبة، فلا يمكن خياطة بدلة من الطابوق أو الخشب، كما لا يمكن رسم صورة على أمواج البحر. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵ وما يقال: (لا يمكن خياطة أو رسم) تفيد عدم استعداد المحل ولياقته لهذا العمل. فقد أدرك الإنسان بحنكته وذكائه إنّ الخشب والطابوق ليسا من أدوات الخياطة وكذلك استحالة الرسم على الماء والهواء، وما أكثر ذلك فى الحياة اليومية. وعقل كل إنسان يدرك استحالة وجود شىء وعدمه فى نفس اللحظة، أو يكون المصباح مضيئاً ومطفئاً فى نفس الوقت أو أن يكون القدح مملوءاً وفارغاً فى نفس الوقت وما شاكل ذلك ... فإمتناع واستحالة هذه الموضوعات من البديهيات العقلية، ولا يسع الإنسان- مهما كان خيالياً- أن يفترض إمكانية لوجود مثل هذه الأشياء. وكل فرد- مهما كانت معلوماته بسيطة- يعلم أنّ ۲* ۲: ۴ ولا يمكن أن يكون ۳ أو ۵ ويتضح من هذه الأمثلة أنّ الأمور المستحيلة والممتنعة خارجة عن نطاق القدرة على مثل هذه الأمور، وإنّما تتعلق عادة بالأمور الممكنة التى لها قابلية الوجود. والآن نعود إلى الأسئلة المذكورة على علّة عدم تحققها. يتضح من أدنى تأمل أنّ عدم تعلق القدرة بتلك الأمور كونها جزءاً من المحالات والأمور المحالة خارجة عن دائرة القدرة. فمثلًا وجود مثيل للّهمحال، وأثبت العلماء فى بحث صفات اللّه وحدانيته بالأدلة القاطعة ونفوا عنه أى شريك وشبيه وعدّوا ذلك محالًا، وعليه ففرض خلق المثيل محال. ومن هنا فإنّ قدرة اللّه على خلق شريك له، من قبيل قولنا إنّ اللّه يستطيع أن يفيض الوجود على أمر محال. بعبارة أخرى: أنّ مفاد خلق اللّه لموجود مثله أنّ اللّه يخلق موجوداً واجباً فى الوقت الذى يكون فيه ممكناً، ولا متناهياً فى ذات الوقت الذى يكون فيه متناهياً، ويكون له وجود من نفسه فى الوقت الذى لا يمتلك فيه وجوداً من ذاته، وهل هذا إلّاالجمع بين النقيضين الذى قيل إنّه محال عقلياً. ذلك لأنّ اللّه إن خلق موجوداً مثله فلابدّ أن يكون ممكناً ومتناهياً كونه مخلوقاً للّهوليس له وجود من ذاته، ولكن من حيث إنّه شبيه للّهومثله فلابدّ أن يكون مثله من جميع الجهات، أى واجب الوجود ولامتناهٍ وله وجود من ذاته، والجمع بين هذه الصفات المختلفة هو جمع بين

النقيضين وهو مُحال. وكذلك السؤال: هل يستطيع اللّه جعل العالم فى بيضة هو سؤال عن إيجاد أمر محال، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶ ذلك لأنّ العقل يحكم على أساس سلسلة من الحسابات والمشاهدات أنّ الظرف ينبغى أن يكون أكبر من المظروف ويستحيل استيعاب شىء كبير فى ظرف أصغر منه. وعليه فطلب جعل العالم فى بيضة هو طلب لمحال، واتضح ممّا سبق أنّ الأمور المستحيلة خارجة تماماً من دائرة القدرة، والقدرة إنّما تتعلق دائماً بأمر ممكن «۱». وأمّا بشأن السؤال الثالث هل يستطيع اللّه خلق موجود ولا يقدر على القضاء عليه، هو الآخر يصدق عليه ما سبق ومن قبيل سؤال أمر محال. فمن حيث كون مثل هذا الموجود مخلوقاً للّهلابدّ أن يكون ممكناً، وكل ممكن عرضة للفناء ذاتاً. فإن افترضنا هذا الموجود يأبى الفناء، فلابدّ أن نفرض فى هذه الحالة أنّه واجب الوجود وبالتالى سيكون الشىء «ممكن» و «واجب» فى نفس الوقت، وبعبارة أخرى لابدّ أن يكون ممكناً كونه مخلوقاً للّه، ولكن من حيث إنّه يأبى الفناء فلابدّ أن يكون واجباً وهذا جمع بين النقيضين. وكذلك السؤال أن يخلق اللّه موجوداً لا- يستطيع تحريكه هو سؤال جمع بين النقيضين؛ فمن حيث كونه مخلوقاً للّهلابدّ أن يكون محدوداً ومتناهياً وبالطبع قابل للتحريك، ومن حيث تعذر تحريكه فيفترض أنّه لامتناهٍ ولا- محدود، وعليه فسؤال هذا الأمر هو جمع بين النقيضين. وخلاصة الجواب: أنّ جميع هذه الفرضيات محالة وممتنعة وطلب إيجادها يعنى إفاضة الوجود على الأمور الممتنعة ذاتاً، والأمور الممتنعة خارجة عن دائرة القدرة، وليست لها عقلياً قابلية الوجود. وعليه ليس هنالك من عجز فى القدرة، بل العجز فى الشىء. وبعبارة أوضح: العجز فى قابلية القابل لا فى فاعلية الفاعل. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷

۱۱ أعمالنا والعلم الأزلى

سؤال: إنّ اللّه يعلم منذ الأزل بأنّ الجانى الفلانى سيرتكب جناية فى لحظة معينة، وعليه فإنّ هذا العلم سوف يخالف الواقع إن لم يرتكب جنايته. والأمر ربّما يصبح كما تمثله الخيام فى شعره من أنّ الحق يعلم منذ الأزل بشرب الخمر فإن امتنعت عن شرب الخمرة كان علم اللّه جهلًا. توضيح السؤال: إنّ اللّه عالم منذ «الأزل» بما يحدث تدريجياً فى عالم الوجود، وهو عالم منذ الأزل بحركة الكواكب فى السموات وحركة الالكترونات حول مدارات الذرة وحركة أوراق الأشجار وأمواج البحار وحركة الأسماك فى أعماق المحيطات. وعلم اللّه محيط قبل أن يخلق البشر بسلوك الجناة وجرائم العتاة وإراقة الدماء من قبل سفاكى الدماء، ويعلم بكل شخص ماذا سيفعل فى اللحظة الفلانية، وعليه فليس لأىشخص من مفرّ من ارتكاب ذلك العمل الذى يعلمه اللّه ولا يستطيع التخلف عن الإتيان به، ذلك لأنّه إن لم يفعله كان علم اللّه خلافاً للواقع وبالتالى يصبح علمه جهلًا. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸ الجواب: كل ما قيل فى السؤال بشأن علم اللّه صحيح ومنطقى؛ أى أنّ اللّه عالم بكل شىء منذ الأزل، إلّاأنّ النتيجة التى رتبت على ذلك (من أنّ الإنسان مجبر على القيام بأى من أفعاله) باطلة جملةً وتفصيلًا. ولا بدّ هنا من بيان أمرين لكى تتضح هذه الحقيقة: ۱- إنّ حرية الإنسان وإرادته فى القيام بأى عمل يشاء ممّا أجمع عليه عقلاء العالم كافّة، حتى أولئك الذين يرون الأفراد مجبرين على أفعالهم، يحترمون المبدأ المذكور ويعتقدون أنّهم مختارون فى بعض أفعالهم- ولذلك- إن سمعوا إهانة من شخص أو إن قصّر أحد أولادهم فى القيام ببعض وظائفهم لهبّوا سريعاً لمعاقبته ومؤاخذته على ما بدر منه. وبناءً على هذا لابدّ أن نذعن بأنّ ذلك الفرد الجانى الذى يطعن آخر بسكين فيقتله أو شارب الخمر الذى يتناول الكأس تلو الآخر إنّما يفعل ذلك بمل إرادته واختياره، وليس هنالك أى منصف يزعم أنّ فعل الجانى وشارب الخمر غير اختيارى على غرار التنفس وهضم الطعام الذى لا يمكن تجنبه بأى شكل من الأشكال. ولو عدنا لأولئك القلّة الشاذة التى تصادر إرادة الفاعل واختياره وعرضناهم لبعض التجاوزات والإساءات لاستعانوا فوراً بالمراجع القضائية وطالبوا بمعاقبة المعتدى. ۲- إنّ علم اللّه كما بيّنا سابقاً مرآة للواقع ولا-يتخلف عنه قط، ولكن لابدّ من الإلتفات إلّا أنّ علم اللّه إنّما يتعلق بالشىء بالقيد والصفة التى له فى الخارج وبالخصوصية التى يتحقق بها. توضيح ذلك: أنّ البشرية طيلة حياتها كانت مبدأ لنوعين من الأفعال؛ طائفة من الأفعال التى يمارسها على أساس الإرادة والاختيار، فالصبغة المميزة لهذه الطائفة من الأفعال أنّها «أفعال

اختياريـة». والطائفـة الأخرى من أفعاله هى «الأفعال اللاإراديـة» أو التى يصـطلح عليها ب «الاضـطرارية»، من قبيل الـدورة الدمويـة فى الشـريان ونبض القلب وفعاليات الجهاز الهضـمى و ... والمميز الرئيسى لهذه الأفعال أنّها «أفعال غير اختيارية». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹ وعلى ضوء المبـدأ المسـلم الـذى ذكرنـاه- من أنّ علم اللّه هو الواقع ولاـ يتخلف عنه أبـداً- فـإنّ كـل فعـل من أفعالنـا بتلك الخصوصـية والصـبغة التى له فى الخارج معلوم لـدى اللّه منـذ الأزل، أى أنّ اللّه يعلم منذ الأزل بأنّ ذلك الفعل المعين سـيبدر منّا فى لحظـة معينـة بمنتهى الاختيار والحرية، وكذلك الطائفة الثانية من أفعالنا فإنّ اللّه يعلم منذ الأزل أن فعلًا معيناً سـيصدر منّا اضـطراراً فى ساعـة معينـة. وعلى ضوء هـذين المطلبين نخوض الآن فى توضـيح الجواب: أثبت المطلب الأول أنّ طائفـة من أفعالنا أرادية واختيارية وإننـا نملـك الحريـة التامـة فى تركهـا أو الإتيـان بها. وأثبت المطلب الثانى كما أنّ اللّه عالم بأصل الفعل، فهو عالم أيضاً بخصوصـيته وصـفته وأنّه اختيارى أم اضـطرارى، وبعبارة أخرى فإنّ فعلنا بتلك الخصائص والمميزات التى له فى الخارج معلوم عنـد اللّه. واسـتناداً لما مرّ معنا بشأن أفعالنا الأختياريـة نسـتنتج أنّ اللّه كان يعلم منذ الأزل بأنّ الشـخص الفلانى سـيطعن بالسـكين فلاناً من الناس بالساعة الفلانيـة من اليوم الفلانـى بمل إرادته. ومثل هـذا العلم السابق (علم اللّه الأزلى) لا يوجـد «إجبار» الإنسان وسـلبه الحريـة والإرادة، ولا يحق للشـخص الجانى أن يتذرع بالعلم الإلهى فيعتبر نفسه مجبراً على القيام بتلك الجناية، لأنّ اللّه لم يكن عالماً بأصل الفعل فحسب، بل كان عالماً بأنّ ذلك الشـخص سـيرتكب تلك الجنايـة باختياره وحريته (لابـدّ من التأمل). وهذا العلم يؤيد ويكشف حرية الإنسان فى قيامه بأفعاله دون أن يوجب أى اجبار عليه؛ ذلك لأنّ هذا العلم الذى يأبى مخالفة الواقع بأى شـكل من الأشـكال يفيد أنّ الإنسان إنّمـا يقوم بأفعـاله على أسـاس حريته واختيـاره، ولو فرضـنا أنّ ذلـك الإنسـان كـان مجبراً على أفعـاله وأنّه يقوم بهـا دون أدنى اختيار وحرية، لأصبح علم اللّه مخالف للواقع وكان جهلا. بعبارة أخرى إنّنا إن مارسـنا أفعالنـا- الحسنة أو السيئة- بحرية واختيار فإنّ علم اللّه سيكون مطابقـاً للواقع، بينمـا سـيخالفه إن كنّـا مجبرين على تلـك الأفعـال. اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۰ شـرح أبسـط: لعل البيان الفلسـفى المـذكور يبـدو صـعباً على البعض. ولتبسـيط الموضوع نسـتعين بهـذا المثال لنرى كيفية الردّ الذى يسوقه من يتذرع بعلم اللّه الأزلى فى مـا يرتكبه بعض الأشـخاص من جرائم وجنايـات ليلتمسوا لهم الأعـذار فى مـا يمارسون من ظلم وأثم وهل يعتمـدون ذات المنطق فى هـذا المثال: فأغلب الأساتـذة يسـتطيعون التكهن بمسـتقبل تلامـذتهم، فالأسـتاذ الـذى يتابع عن كثب مسـتويات طلّابه ربّما يمتلك رؤيـة واضـحة تامـة عن أولئك الـذين سـيجتازون الإمتحان ومن يفشل فيه، ولنفترض أنّ الأسـتاذ يعرف بكسل أحـد التلامذة ومدى إهماله وقضائه لوقته فى اللعب دون أن تؤثر فيه نصائحه وإرشاداته وعليه فإنّ الأسـتاذ يسـتطيع أن يحدد نتيجة هذا التلميذ مسبقاً وسـيكون علم الأسـتاذ مطابقاً للواقع بالطبع، وهنا نتساءل عن السبب الذى يقف وراء فشل التلميذ فى الإمتحان، أيكمن فى علم الأستاذ أم فى نفس التلميذ؟ ولو تكهن الأسـتاذ بنتيجة أخرى مغايرة، فهل كان يمكن تحققها بحيث كان ينجح ذلك التلميذ فى الإمتحان، أم أنّ رسوبه فى الإمتحان كان معلولًا لإهماله وكسـله؟ قطعاً ليس هنالك أى عاقل يوعز فشل التلميذ إلى علم الأسـتاذ، ويجزم أنّ إهمال التلميذ كان هو السبب وراء فشله ورسوبه فى الإمتحان. وهل يشك أحد فى أنّ التلميذ هو المسؤول عن تقرير مصيره، وأنّه حرّ ومختار فى تحديد النتيجة التى يرغب فيها. والأمر كذلك بالنسـبة لعلم اللّه ومصـير الإنسان وحريته فى أفعاله، مع العلم أنّ هنالك بوناً شاسـعاً بين علم الأستاذ ونتيجة تلامذته وعلم اللّه بعباده، ذلك العلم الأزلى اللامتناهى، مع ذلك فليس لهذا الفارق من تأثير فى الجواب، وأنّ أى من العلمين لم تكن له مدخليـة فى النتائج ولا يوجبان سـلب الطرف المقابل حريته واختياره وإرادته. وخلاصة الكلام: أنّ اللّه خلق الإنسـان وأودعه سلسـلة من المواهب والقـدرات ومنحه العقـل والإرادة والاختيار والحريـة وبين له سبيل السـعادة والفلاح، وجعل كل إنسان حرّاً فى ما يسـلك من سبيل. ونحن بدورنا من يقرر مصيره بمل حريته واختياره، وليس لعلم اللّه أى تأثير فى تعيين هذا المصير، ذلك لأنّ هذا العلم لا يسـلبنا أى شـىء من الحرية والإرادة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱ والاختيار. ومن هنا نـدرك أنّ ما تمثل به الخيام بشأن شـرب الخمر وأنّه مضطر لشربها بعد سبقها بعلم اللّه الأزلى لم يكن سوى سفسطة، ولعل سبب شيوع هذا اللون من التفكير لـدى المـدارس الغربيـة لا يعزى سوى إلى إيمانهم بالحريـة المطلقـة فى ممارسـة الـذنب والرذيلـة والذى لا يعدو كونه خداعاً للنفس

والوجدان. فليست هنالك أيّة قوّة تسوق الإنسان قسراً إلى ممارسة فعل من الأفعال. ولذلك ردّ المرحوم الخواجة نصير الدين الطوسى الفيلسوف المعروف على رباعيات الخيام المذكورة ليكشف عن مدى جهل من ينسب مقارنة الرذيلة لعلم اللَّه الأزلى «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳

۱۲ مفهوم البداء

سؤال: ما المراد من «البداء» الذى يمثل احدى عقائد الشيعة؟ وهل صحيح ما يقال من ٠ أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال قبل وفاة ولده «إسماعيل» الإمام من بعدى ولدى إسماعيل. ولكن لما توفى فى حياة الإمام قال: كان للَّهبداء فى إمامة ولدى إسماعيل؟! الجواب: للأسف أنّ موضوع «البداء» كان من بين المواضيع التى شنع بها المخالفون وحتى بعض علماء المسلمين على الشيعة فنسبوا لنا بعض القضايا الجوفاء دون أدنى تحقيق ومطالعة بشأن هذا المفهوم حسبما ورد فى مصادر أعلام الطائفة وعلماء العقائد والمذاهب ليتشبثوا بكلمة واحدة وذكروا لها عدّة تفسيرات لا تمت بصلة لعقائد الشيعة. ومن المسلم به أنّ مثل هذه التفاسير الشاذة لا تصدر عن عالم ومحقق «حتى وإن كان من المخالفين»، بل لا تصدر سوى عن بعض المتعصبين الذين يفتشون عن بعض الذرائع هنا وهناك لاستغلالها فى تحقيق أغراضهم ومأربهم؛ فهم يتربصون على الدوام علّهم يسمعون كلمة من الطرف المقابل ليتناولوها على طريقتهم فيعمدوا إلى ممارسة التضليل والتشهير اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۴ وبالتالى شنهم لحربهم الدعائية ضد هذا المذهب، ولعل لفظ «البداء» من بين هذه الكلمات التى سعوا لتشويهها. على كل حال للوقوف على حقيقة معنى كلمة «البداء» على ضوء عقائد الشيعة، نلفت الانتباه إلى معنى هذا المفهوم بشكل مختصر. «۱» تعنى كلمة البداء فى العربية: الظهور. قال تعالى فى كتابه العزيز بشأن الظلمة «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون» «۲» . ويقال أيضاً: بدا من فلان كلام فصيح، وتستبدل (من) أحياناً بحرف (اللام) فيقال: بدا لفلان كلام صحيح. ومعنى العبارة الثانية نفس معنى العبارة الأولى. فإنّ عرفنا معنى العبارة الآن «بدا لفلان» نعود إلى أصل الموضوع: ما أكثر ما تتوفر لدينا مقدمات عمل معين، ولكن ربّما تطرأ بعض الأحداث المفاجئة وتتغير الظروف بحيث لا يتمّ ذلك العمل، فيقال هنا إنّ اللَّه لم يُرِدْ حصول هذا العمل، كما يمكن استبدال كلمة «بدا» هنا فيقال: (بدا للَّه أنّه لا يريد هذا). وعليه ليس المراد (اتضح للَّه) لتستلزم الجهل بالتقدير الثانى، بل المراد (اتضح لنا من اللَّه). ومن البديهى أن يخلو هذا الموضوع من القدح؛ وهو الموضوع الذى يقع مراراً طيلة حياة كل إنسان بحيث يشهد وقوع بعض الأمور غير المتوقعة، وهذه هى حقيقة «البداء». والآن نرى كيف امتزج هذا الموضوع بعقائد الشيعة وأصبح جزءاً منها؟ إننا نعتقد (وتشهد على ذلك الآيات القرآنية والأخبار والروايات) بأنّ البلاء قد يستكمل كل مقوماته وقدراته، ولعل هاجس وقوعه يكون قائما، غير أنّ الناس يلتجئون إلى اللَّه ويتضرعون إليه ويقلعون عن أفعالهم السيئة وتسود بينهم حالة من التعاون والتعاضد ويقومون بالأفعال الحسنة، فيرفع اللَّه عنهم البلاء ببركة أفعالهم وهذا بحدّ ذاته أحد مصاديق البداء. وأحياناً بالعكس حيث تكتمل مقدمات نعمة وخير، فيأتى الناس ببعض الأعمال التى تحول دون ذلك وهذا هو البداء. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵ وما أكثر الحالات التى يتغير فيها مصير الإنسان أثر أعماله الصالحة والطالحة وهذا أحد امتيازاتنا فى أنّ نعتقد بأنّ مصيرنا يتوقف على أعمالنا. قد يقال للَّهبداء فى الموارد المذكورة وذلك على ضوء أفكارنا وحساباتنا، لأنّ الإنسان على أساس محدوديته يتصور الجزم بوقوع الحادثة الفلانية أو قطعية عدم وقوعها، وحين يرى خلاف ذلك ويقف على خطأ حساباته يزعم على ضوء فكره أنّ للَّهبداء فى هذه الحادثة، والحال لا- يليق باللَّه البداء بل الإبداء. والخلاصة فإنّ وقوع الحوادث المفاجئة والتى لا تنسجم مع الظروف القائمة يبدو لنا «بداءً»، أى أنّ الشىء الذى كان خفياً علينا بدأ الآن؛ إلّاأنّه ابداء من جانب اللَّه، أى اظهار لما أخفاه، وما يستعمل أحياناً بشأن اللَّه من لفظ بداء بدل ابداء إنّما هو من قبيل المقارنة المذكورة. وأمّا بشأن إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام فقد قال عليه السلام: إنّه كان مقدراً أن يقتل ولدى اسماعيل، فدعوت اللَّه أن يصرف عنه شر الأعداء، فأجاب اللَّه دعائى ولم يقتل، بدا للَّهفى اسماعيل. وهذا مضمون حديث روته مصادر الشيعة ومعناه على ضوء ما ذكرناه واضح، ولا

يرتبط بمسألة إمامة إسـماعيل ولا ندم اللّه تعالى! ولكن كما قلنا إنّ بعض الأفراد المتعصبين الذين يسعون لإستغلال كل حادثة، تشبثوا بكلمة «البداء» وزعموا: (أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ اللّه يندم أحياناً على بعض أفعاله فيعيد النظر فيها، فكان من المقرر أن يكون إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السـلام هو الإمام ثم نـدم!). والحال يعتبر علماء الشـيعة كل من يؤمن بهذه العقيدة كافراً. فأين الشـيعة من هذه التهمـة الشـنيعة!! ولا ندرى ما السـبب الذى يجعل مثل هؤلاء الأفراد يتحفظون حتى عن مطالعة كتابٍ واحدٍ من مؤلفات أعلام الطائفة ومحققيهم بهـذا الخصوص ليقفو على الحقيقـة فيعلموا: أولًا: ما هو البـداء وثانياً: ماذا كانت قصّة إسـماعيل ابن الإمام عليه السـلام! أننا نأمل أن تنقشع سـحب التعصب الظلماء عن سماء الإسلام وتزول السموم التى ترمى إلى بث الفرقة والتشتت فى صفوف المسلمين التى تشار من قبل المتعصبين من الافراد و الجهال.

۱۳ فلسفة البلاء

سؤال: مـا أن تقع بعض الحوادث من قبيـل الزلاـزل والسـيول حتى يرى الإنسـان نفسه أمـام بعض التساؤلاـت من قبيـل: «لم تقع بعض الزلازل والهزات الأرضـية والأمراض الفتاكـة التى تؤدّى بحياة الناس؟ ولماذا تقع هذه الحوادث فى مناطق معينة دون البعض الآخر؟ ما فلسـفة وقوع مثل هـذه الحوادث ونزول البلاء؟ هل هـذه الحوادث عفوية للأفراد المذنبين؟ لماذا ... ولماذا ...؟». الجواب: حسب علمنا وما وصـلنا من كتب أعلامنا فإنّ مثل هـذه الأسـئلة كانت تساور العديـد من الأفراد- ولا سـيما حين وقوع الحوادث الأليمـة التى تدعو الإنسـان إلى التأمـل والتفكير- حـتى أنّ تاريـخ الأديـان والعقائـد يشـير إلى أنّ البعض تخلى عـن عقيـدته التوحيديـة ولجـأ إلى بعض المـدارس الماديـة و الإلحاديـة أثر عـدم تلقيه الأجوبة الشافية التى تفسـر ما لديه من أسـئلة، ذلك لأنّ البعض قد يورد بعض التفاسـير المقيتـة التى تنسب هـذه الظاهرة المفجعـة إلى غضب الطبيعـة وما شاكل ذلك، غير أنّ الحقيقـة قـد تبدو معكوسة تماماً لو نظرنا لهذه الأمور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۸ بعين العقل والحكمة. توضيح ذلك: أنّ أحكامنا التى نصدرها بشأن الربح والخسارة إنّما هى نسبيـة على الـدوام، فكـل مـا كـان بمصـلحتنا نحسـبه مفيـداً ونافعـاً والعكس بـالعكس، دون أن نكترث لانعكاسـات الأمر على صـعيد المجتمع ومسـتقبله فربّمـا تكون مـادة كيميائيـة سامـة لنـا، بينما يمكن أن تكون هـذه المادة علاجاً للأخرين وبالعكس ... فهل يشـكل ربحنا أو خسارتنا معياراً حسـناً أم قبـح ظاهرة معينة، أم ينبغى دراسة الظاهرة من جوانبها كافّة بغية إصدار الأحكام بشأنها؟ لا بأس بهذا المثال لنقف على حقيقـة هذه القضـية: قطعاً هنالك بعض الفوائد والأضـرار التى يسـتبطنها هطول الأمطار الغزيرة؛ وأحكام الناس بهذا الشأن سـتكون متنوعـة. فأولئك الـذين يجرف السـيل بيوتهم ومزارعهم سـيتحدثون بلوعـة قائلين: إنّى لأجهل سـبب هـذا البلاء الـذى أصـابنى! أمّا أولئـك الـذين كانت مزارعهم تعانى من شـحة المياه أو تحتاج بعض محاصيلهم لمزيـد من المياه، وقـد امتلأت ترعهم وجـداولهم بالميـاه فلسان حالهم يقول: يالها من نعمـة فضـيلة، لقـد أفاض اللّه علينا لطفاً وعنايـة! والواقع لو تأملنا جميعاً تأثيرات ذلك المطر لعـدوه جميعاً «أمطار رحمـة» لا غضب الطبيعـة. أضف إلى ذلك فإنّ بعض أنواع البلاء نعمـة كبيرة نجهل حقيقتها ونغفل عنها، فبعض الأـمراض الـتى تصـيب الإنسـان مرّة فى حيـاته إنّمـا تحصـنه عـادة من الإصابـة به ثانيـة. فلو نظرنـا إلى المرض فى ذات اللحظة لاعتبرناه بلاءً، بينما لو أخذنا بنظر الاعتبار انعكاساته علينا باقى عمرنا لرأيناه نعمة. ولعل الفلسـفة التى نفهمها من ظهور البلاء يتمثل فى إدراك النعمـة. فلاـ أحـد يـدرك أننا نغرق فى بحر من النعم الإلهيّـة، لكننا لا نـدرك أغلب هـذه النعم، اللّهم أن نسـلب تلك النعمة لبعض الوقت. أفرض أنّ المرض انعـدم من العـالم، كيف يمكننـا أن نـدرك نعمـة الصـحة والعافيـة! ولو لم يكن لهـذه الأرض حركة موضعية فهل كانت ستشهد من قرار! ولو لم يقع الجفاف أحياناً، فهل كان يسعنا الوقوف على دور المطر فى الحياة! وبناءً على ما تقدم وبغيـة لفت انتباه الإنسان إلى النعم التى لا تعـد ولا تحصـى فتشـده إلى اللّه، إنّما اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۹ تشهد أحياناً بعض التغييرات لتقودنا إلى إدراك تلك الحقائق. هـذه التغييرات الطفيفة والمؤقتة هى التى نصـطلح عليها بالبلاء. أوليس فى هذا البلاء عبرة لمن اعتبر؟ وهل يبدو من العجيب أن ننعت هذا البلاء بأنّه نعمة ورحمة. وأمّا لماذا يشمل هذا البلاء بعض المناطق دون الأخرى ... ولا

تطال بعض الناس ...؟ لابدّ من الإلتفات هنا إلى أنّ هنالك سلسلة من القضايا الطبيعية تقف وراء ظهور البلاء، فإذا ما توفرت بعض الظروف يظهر البلاء. فقد جاء في بعض الروايات أن أحد شرائط نزول البلاء شياع بعض الذنوب بين الناس، فنحن نقرأ في دعاء كميل: «اللهم اغفر لى الذنوب التى تغير النعم، اللّهم اغفر لى الذنوب التى تنزل البلاء ...». وقال تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱

۱۴ ما معنى القضاء والقدر؟

سؤال: ما المراد بالقضاء والقدر؟ وإن كان المراد أنّ اللّه عيّن مصير كل فرد وليس لنا من سبيل سوى الإستسلام لهذا المصير فما معنى الآية الشريفة: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» «۱» فالآية الكريمة تفيد أنّ مصير الإنسان تابع لإختياره دون أن يكون للقضاء والقدر تأثير على مصيره. الجواب: مسألة التقدير والمصير من المسائل الواردة في أديان أمم العالم كافّة ولا يقتصر الإعتقاد به على أُمّة وإن كانت الآيات القرآنية والروايات الإسلامية أكثر تركيزاً على هذا الأمر. وللأسف فإنّ سوء التفسير الذى أورده بعض الأفراد لمفهوم القضاء والقدر جعل الآخرين ينظرون بشيء من التشاؤم إلى هذين اللفظين، ولعل البعض يرتعش لمجرّد سماعهما ويرى التقدير الإلهى قضية خارجة عن قدرتنا وله تأثير مباشر على إرادتنا، وقد يكون إيجابياً أحياناً فيضطر الإنسان القيام بعمل، وأحياناً سلبياً فيصد الإنسان شاء أم أبى عن القيام اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲ بعمل. فالتقدير بهذا المعنى- في أفعال البشر الإختيارية- لا يعدو كونه خرافة، بل لابدّ من الوقوف على حقيقة التقدير في وسط ومعترك الحياة، ولا ينبغى عزل التقدير عن إرادة الإنسان وحريته. وقد يبدو من الصعب على بعض الأفراد الذين عاشوا صورة ذهنية مشوهة للقضاء والقدر قبول هذه النظرية: (ليس هنالك من عنصر في عالم الوجود باسم القضاء والقدر فى عرض سائر العناصر يلعب دوراً سلبياً أو إيجابياً فى إرادة الإنسان)؛ ذلك لأنّ هؤلاء الأفراد اعتادوا على تعليق أخطائهم وزلاتهم على عنصر خارجى أسموه القضاء والقدر ليتنصلوا من مسؤولية أعمالهم. وأننا لنلمس اليوم مسألة «الحتمية التأريخية» التى حلت مكان القضاء والقدر لدى الأوساط الغربية والأوربية فينسبون إليها أخطاءهم كافّة. إلّاأنّ حقيقة الأمر واضحة فى أنّ التقدير الإلهى لا يحمل أى تأثير على إرادة الإنسان، ويتضح هذا الموضوع بجلاء من خلال بيان السنن الإلهيّة فى عالم الوجود والذى يكشف حقيقة القضاء والقدر. التقدير الإلهى: كلما تعرفنا على التقدير الإلهى سنرى خلو صفحة الوجود من عامل وعنصر حركى باسم القضاء والقدر خارج إرادة الفاعل؛ والمراد من التقدير الإلهى السنن القطعية التى تحكمنا والعالم، وتأثير هذه السنن قطعى فى سعادة الناس وتعاستهم وأننا أحرار فى اختيار أية سنة من هذه السنن. وإليك بعض الأمثلة لتوضيح هذا المطلب: ۱- إنّ التقدير الإلهى بالنسبة للأمّة الخاملة التى تعيش التناحر والنزاع وتوظف إمكاناتها فى المجالات العبثية ولا تمتلك رؤية صائبة لأوضاعها والظروف المحيطة بها وتنغمس فى مصالحها الضيقة سوف لن يكون سوى باضمحلالها وانهيارها عاجلًا أم آجلًا. أمّا التقدير الإلهى تجاه الأمّة التى تعيش هموم المحرومين والكادحين وتحرص على ردم التمييز الطبقى واشاعة رفاهية الإنسان وتحسين وضعه المعاشى والاجتماعى وتمديد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳ العون إلى الفقراء والمعوزين من خلال اخراجها للحقوق الشرعية من أموالها، فسوف لن يكون سوى العزة والكرامة والرقى والإزدهار. والتقديرات على درجة من الوضوح بحيث لا يشك فيها أحد من الناس. وبالطبع فإنّ جميع الأمم متساوية حيال التقديرين المذكورين وليس هنالك أى عامل خارج إرادة هذه الأمم يحملها على اختيار أى من التقديرين، ونحن الذين نقرر التقدير الذى نريد على ضوء أهوائنا وغرائزنا أو عقلنا وحكمتنا، وسوف لن يكون القضاء والقدر سوى ما اخترناه؛ فاللّه هو الذى خلق هذه السنن وأمضاها ومنحنا الحرية فى اختيار ما نشاء. ۲- والشاب الذى يبدأ حياته ويتمتع بمزيد من الإمكانات والعلم والذكاء وقوّة العضلات يجد نفسه أمام تقديرين ومصيرين كلاهما قضاء اللّه وعليه الإختيار؛ فإن وظف إمكاناته المادية والمعنوية باتجاه العلم والعمل والمجال التجارى عاش حياة سعيدة هانئة؛ وإن أساء التصرف فى هذه الإمكانيات ووظفها فى سبيل الرذيلة وشرب الخمر ولعب القمار وسائر الموبقات التى تشل حركته، إنّما يقود حياته إلى الشقاء والمعاناة وقضاء

العمر فی الهم والغم. وکلاـ التقـدیرین مرتبـط بـاللّه، لکن الإنسـان حرّ فی إختیـار أی منهمـا، والنتیجـهٔ المترتبـهٔ علی اختیاره قضاء اللّه وقـدره؛ وإن قلع عن مساره منتصف الطریق فقد اسـتبدل مصیره بمصـیر آخر وهذا أیضاً بتقدیر اللّه؛ ذلک لأنّه خلقنا وأذن لنا بالعودهٔ فی منتصف الطریق فندمنا علی ما فرط منّا وبالنتیجهٔ اسـتبدلنا مصـیرنا بمصیر آخر. ۳- لو راجع المریض الطبیب وتناول الدواء تتحسـن صحته، وإن أمتنع عن مراجعـهٔ الطبیب أو لـم یتناول الـدواء فإمّا أن یموت أو یعیش حالهٔ من الألم والمعاناهٔ، وکلا التقدیرین بحکم اللّه ولنا اختیار أی منهما، وکل ما نختاره هو قضاء اللّه. وهکـذا یمکنک عزیزی القاریء أن تسـتعین بمئات الأمثال للقضاء والقدر المتعلق بأفعال الإنسان لتقف علی معنی التقدیر الإلهی بشأن أفعال الإنسان. اجوبهٔ المسائل الشرعیهٔ، ص: ۵۴ کلمات أئمّهٔ الدین: ما أوردناه فی الأمثلهٔ السابقهٔ یمثل فی الواقع توضیح بعض الأحادیث التی وردت عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وأهل بیته علیهم السلام بشأن مسألـهٔ القضاء والقـدر. فقد ورد عن النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله: «إنّ خمساً لا یسـتجاب دعاؤهم، أحدهم من جلس تحت جدار یوشک أن یقع فلا یهرب منه» «۱» . ولعل سـر عدم استجابهٔ دعاء هذا الفرد واضحهٔ، ذلک لأنّ مصیر من جلس تحت جدار أعوج ولم یهرب هو الموت، لکنه استسلم باختیاره لهذا المصیر، والحال کان له أن یختار مصیراً آخر. وقد فرّ أمیر المؤمنین علیه السلام من جدار کان یوشک علی الأنهیار، وحین أنکر البعض علیه ذلک برره بأنّه یفرّ من قضاء اللّه إلی قـدره «إنّ أمیر المؤمنین عـدل من عنـد حائط آخر فقیل له: یاأمیرالمؤمنین أتفرّ من قضاء اللّه؟ فقال: أفر من قضاء اللّه إلی قـدر اللّه» «۲» .فأنا حرّ فی اختیار ما شئت، فإن بقیت تحت الجـدار وإنهار ومت فذلک بحکم القضاء، وإن فررت وبقیت سالماً فذلک بحکم القضاء أیضاً. وحین سـئل الإمام الرضا علیه السـلام عن قضاء اللّه بشأن الأفعال الحسـنهٔ والقبیحهٔ لعباده، رد علیه السلام: إنّ کل عمل من اعمالهم الحسنهٔ والقبیحهٔ بقضاء اللّه. ثم فسّر علیه السـلام ذلک القضاء الواسع- الـذی یشـمل جمیع أعمال البشـر بما فیها الحسن والقبیـح- بالنتائـج التی تنعکس علی الإنسان فی الدنیا والأخرهٔ فقال: «الحکم علیهم بما یستحقونه علی أفعالهم من الثواب والعقاب فی الدنیا والآخرهٔ» «۳». فهذه الأحادیث تکشف ما أشرنا إلیه من حقیقـهٔ القضاء والقـدر والتی تفیـد عـدم انفصال القضاء والقدر عن إرادهٔ الإنسان واختیاره، بل القضاء هو تلک السـنن الإلهیّهٔ التی تحکم الوجود، والإنسان مختار فی رکوب أی منها، فإنّ اختار کانت نتیجـهٔ الإختیار قضاء اللّه، اجوبـهٔ المسائل الشـرعیهٔ، ص: ۵۵ ولیس هنالک من فعل من أفعال الإنسان خارج عن دائرهٔ قضاء اللّه؛ فإنّ زرع بـذور الخیر حصـد خیراً بقضاء اللّه، وإن زرع بذور الشـر والنفاق سیذوق مرارهٔ ما زرع بقضاء اللّه، ولا یخرج أی من أفعاله الخیرهٔ والشریرهٔ عن دائرهٔ قضاء اللّه وقدره. القضاء والقدر فی صدر الإسـلام: لقـد أدرک المسـلمون فی صـدر الإسـلام مسألـهٔ القضاء والقـدر بحیث لم یعتبروها منافیـهٔ لإختیار الإنسان وحریته فی صـنع مصـیره. فقـد ورد بشـأن الفتوحـات الإسـلامیهٔ أنّ الخلیفـهٔ الثـانی بلغ الشـام فأخبر بانتشار الوباء، فأشار علیه صـحبه بالعودهٔ، وکان یهم بالعودهٔ، فاعترض علیه أحدهم أتفرّ من قضاء اللّه؟ قال: أفر بأمر اللّه من قدر إلی آخر. فقال أحدهم سـمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله قـال: «إن ظهر الطاعون فی منطقـهٔ ولم تکن فیها فلا تـدخلها، وإن کنت هناک فلا تخرج منها» (حـذراً من نقله إلی الآخرین) «۱». ویسـتفاد من هـذا أنّ الإعتقـاد بالقضاء والقـدر لا یتنافی وقضـیهٔ الإختیار والحریـهٔ والإرادهٔ، وهنالک بون شاسع بین مسألـهٔ الجبر، وإن ذهب بعض المستشـرقین إلی أنّ نتیجـهٔ الإعتقـاد بالقضـاء والقـدر جبر آخر، فإنّمـا یعزی ذلک إلی عـدم إدراکهم لمضـمون المفاهیم الإسـلامیهٔ فضلا عن عدم إمتلاکهم أهلیهٔ أصدار الأحکام بشأن بعض الأمور الحساسهٔ. فقد قال «آلبرماله» فی تاریخه: لم یکن الإسلام أوائـل عهـده سوی الإیمـان بالتوحیـد والنبوهٔ، وصـرح المتکلمون لاحقاً أنّ اللّه حـدد مصـیر کل إنسان ولا تغییر فی مشـیئته، وهـذا ما یصطلح علیه بالجبر «۲». وقال غوستاولبون: ما ورد فی القرآن من آیات فی القضاء والقدر ومذهب الجبر، والإنسان الذی یؤمن بالقدر کمن علق فی الهواء لتبعث به الریـح هنا وهناک؛ والإیمان بالقدر اجوبهٔ المسائل الشـرعیهٔ، ص: ۵۶ یسلب الإنسان إرادته واختیاره فی العمل والقول والسـکون والحرکهٔ فیفوض زمام أموره لقوهٔ عنیفهٔ، فمثل هذه الأمّهٔ لا تسـتفید من قدراتها الطبیعیهٔ ولیس لدیها من دافع للسـعی والعمـل، فهی تتجه من عالم الوجود إلی العـدم» «۱». ولعل انتشار هـذه التهم والإفتراءات والإسـتنتاجات الخاطئـهٔ فی الأوساط الأوربیـهٔ دفعت بـالمرحوم السـید جمال الـدین الأسـد آبادی حین أقامته فی باریس إلی تصـنیف رسالـهٔ فی الـدفاع عن مسألـهٔ القضاء

والقـدر لينشرها في المجلـة الأسـبوعية «العروة الـوثقي» حيـث جـاء فيهـا: «فظـنّ البعض من الأوربيين أنّ لا ـ فرق بين القضـاء والقـدر والمـذهب الجبر، والإنسان الـذي يؤمن بالقـدر لكن علق في الهواء لتبعث به الريح هنا وهناك؛ والإيمان بالقدر يسلب الإنسان إرادته واختياره في العمل والقول والسكون والحركـة فيفوض زمام أموره لقوّة عنيفـة، فمثل هـذه الأمّة لا تسـتفيد من قدراتها الطبيعية وليس لديها من دافع للسعي والعمل، فهي تتجه من عالم الوجود إلى العدم» «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۷

۱۵ مفهوم السمع والبصر بالنسبة للّه

سؤال: نقرأ في كتاب العقائد أنّ من صـفات اللّه السـمع والبصـر. وهنا يرد هذا السؤال كيف يمكن وصف اللّه بهاتين الصفتين والحال حقيقة البصـر تتمثل في انعكاس صور الأشـياء في الشـبكية بواسـطة بؤبؤ العين فترسل أعصاب الباصرة هذه الإيعازات إلى الدماغ، كما أنّ حقيقـة السـمع تكمن في وصول الأـمواج الصوتيـة إلى الأـذن التي تضم بعض الأعصـاب والعظـام وتوعز من هنالـك إلى الـدماغ، فكيف يوصف اللّه بهـاتين الصـفتين وهو متنزه عن ذلـك؟ الجواب: إنّ الباصـرة والسامعـة لـدى الإنسـان كما مر آنفا، لكن المراد من نعت اللّه بتلك الصفتين أنّ جميع المرئيات والمسموعات حاضرة عنده، ولا يغفلها قط، وبعبارة أخرى أنّ كل ما يراه الآخرون بعيونهم ويسـمعونه بآذانهم إنّما يحصل للّهبعلمه المطلق اللامتناهي. ومن هنا فإنّ علماء العقائـد والمـذهب إنّما ينسـبون حقيقة هاتين الصـفتين إلى علم اللّه اللامتنـاهي فيقولون: إنّ النتيجـة التي يحصـل عليهـا الإنسان البصـير والسـميع- بعـد سلسـلة من الفعاليات التي تقوم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۸ بها أعضاء الباصـرة والسامعة- هي الوقوف على المرئيات والمسـموعات، ولو كان هناك وجود كاللّه تعالى يمكنه الوقوف بصورة أكمل على المرئيات والمسـموعات دون الأعضاء والفعاليات الفيزيائيـة لصح نعته بأنه بصـير وسـميع. كما يطلق السـميع والبصـير من الأولى على الفرد الـذي يسـتطيع إدراك المرئيات والمسـموعات- دون الحاجة إلى المقدّمات المذكورة- ذلك لأنّ حقيقـة السـمع والبصـر لدى الإنسان هي إدراك المسـموعات والمرئيات. ولما كان الإنسان بطبيعته المادية يتعذر عليه القيام بعمل دون الإسـتعانة بالوسائل الماديـة، فلا مناص له من بلوغ النتيجـة المطلوبة التي تتمثل في الوقوف على المرئيات والمسـموعات بواسـطة الأعضـاء والأـدوات الماديـة، إلّاأنّ اللّه أسـمى من المادة ولا يحتاج إلى شـيء في الإدراك، والعالم بما فيه حاضـر لـديه، فهو السـميع والبصير دون أيّة مقدمة؛ فجميع المرئيات والمسموعات حاضرة عنده وعلمه محيط بها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۹

۱۶ سر خلق الإنسان

سؤال: عادة ما يتساءل أغلب الناس ولا سـيما شريحة الشباب: ما سر خلق الإنسان وما الهدف من خلقه؟ وكان هذا السؤال يعشعش في نفوس أغلبيـة هـذا الجيل فيـدفعهم للبحث عن الجواب الشافي وكأنّ الأفكار التي تساور أذهانهم: أنّ اللّه غني ولا متناهٍ ولا يحتاج إلى شيء حتى خلق موجوداً آخر، فلماذا خلق الإنسان وما حاجته لخلقه؟ فإنّ قيل ليس هنالك هـدف من خلق الإنسان فلابدّ من الاعتراف في هـذه الحالـة بأنّ خلقه كان عبثاً وتعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً، وإن قيل بأنّ اللّه خلق الإنسان لهـدف فيلزم من ذلك أنّ اللّه خلق الخلق لرفع حاجـة، في حين أنّ اللّه منزّه عن كـل حاجـة! الجواب: لابـدّ من الإشـارة إلى موضوعين مهمّين بغيـة الوقوف على الجواب الشافي لهذا السؤال: ۱- لابدّ من الإلتفات بادئ الأمر إلى أنّ هذا السؤال يطرح بصـيغة عقدة مستعصـية حين نحصر دائرة الوجود بعالم المادة ونقتصـر بالوجود على الأنظمـة الماديـة والظواهر الطبيعية ونرى الموت نهاية الحياة ولا نقرّ بعالم آخر يصـطلح عليه بيوم القيامة. فالسؤال في هذه اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۶۰ الحالة يتحول إلى إشـكال حيث يعمد المرء يسأل نفسه عن سـر خلق الإنسان. لماذا يفتح الإنسان عينيه في هذا العالم وتطوى صـحيفة عمره بعد سـنوات- غالباً ما يقضيها بالألم والحسرة والمرارة- ويغادر هذا العالم «من أين جاء ولماذا جاء؟» وماذا كان الهـدف من تلك الحياة التي لم تـدم سوى عـدّة سـنوات وما فلسـفة هـذه المـدّة المؤقتـة! ولماذا يطأ الإنسان هـذا العالم! ثم تتوقف حركته بعـد اسـتهلاكه لمقـدار من الماء والغـذاء فيدفن تحت التراب ويتعفن ويتحول في نهاية المطاف

إلى مجموعة عظام، وكأنّه لم يرد على هذا العالم ويعمر فيه! حقاً تبدو المدرسة المادية عاجزة إزاء هذه التساؤلات؛ ذلك لأنّها حصرت عالم الوجود بالمادة والظواهر المادية دون أن تؤمن باللّه واليوم الآخر، وعلى هذا الأساس فهى لا ترى سوى هذه الجدران الأربعة لعالم المادة وكل ما يتحرك فيه، وبالتالى لا يسعها تقديم أى تفسير بهذا الشأن دون أن تخفى ذهولها ودهشتها لهول ما يحدث. إلّاأنّ هذه الأسئلة تبدو سهلة بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون الحياة المادية منزلًا من منازل الحياة البشرية ويؤمنون بوجود عالم آخر وراء هذا العالم الذى يعتبر مقدمة إليه وأنّ الموت ليس نهاية الحياة، بل بوابة للعالم الأخر وقنطرة للفوز بالخلود، وأن تعذر عليهم إدراك هدف خلق الإنسان من خلال ملامحه فى هذا العالم فسيبحثون قطعاً عن هدف خلقهم فى العالم الآخر والحياة الأبدية ويقولون بأنّ الهدف من خلق الإنسان فى هذا العالم، إعداده لحياة أبدية وخالدة والتى تمثل الهدف النهائى والغاية المطلوبة. ۲- الموضوع الآخر الذى ينبغى الإلتفات اليه والذى يعد الخطوة الثانية لحل السؤال هو: أنّ كل إنسان عاقل إنّما يقوم بأى فعل بغية تحقيق هدف هو بحاجة إليه، ذلك لأنّ الإنسان كائن محتاج من رأسه حتى أخمص قدميه، وبالطبع فإنّه يقوم ببعض الأنشطة والأعمال ليسمو ويتكامل ويلبى حاجته، فمثلًا يتناول الطعام ويشرب الماء ويلبس الثياب ويتعلم ليلبى بعض حاجاته المادية والمعنوية. حتى أفعال البر والخير التى يمارسها من قبيل مساعدته للمحتاجين وتغطيته لنفقات أولاده بغية التعليم والتربية وبنائه للمدارس والمستشفيات، كل ذلك لسد حاجة يشعر بها فى باطنه، وهو يفعل ذلك إمّا للحصول على اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۱ الأجر والثواب الدنيوى والآخروى الذى بشر به الأنبياء والرسل، أو لدفع ألم يشعر به أثر رؤيته لبعض الأوضاع المزرية التى يعانى منها الفقراء والمعدومون والتى يرق لها القلب، فهو ينفق بعض رأس ماله لإضفاء السكينة على وجدانه، أو يفعل ذلك للحصول على السمعة والشهرة التى يراها سبب تكامله. وزبدة الكلام: إنّ الإنسان إنّما يقوم بأفعاله إمّا لحصول نفع أو دفع ضرر يشعر به فى ترك العمل ويبحث عن منافعه وتكامله فى كافّة هذه الأفعال إلى درجة أنّه يتعذر أن يقوم الإنسان بعمل من أجل ذات العمل دون أن يأخذ بنظر الاعتبار تكامله المادى والمعنوى «۱». والآن بعد أن وقفنا على دوافع الإنسان فى أعماله واتضح حصول أعماله لتحقيق هدف، لن تكون نتيجته سوى تكامله الروحى والجسمى، لابدّ أن نسلط الضوء على هدف اللّه من أفعاله. صحيح أنّ الذات الإلهيّة منزهة عن فعل اللغو والعبث وأنّها هادفة فى أعمالها كافّة، وقد خلق اللّه كل كائن لهدف، ولكن ينبغى معرفة الهدف من أفعال اللّه وماذا يعنى هذا الهدف. فقولنا إنّ خالق الكون إنّما خلق كل كائن فيه لهدف، لا- بالمعنى الذى أوردناه بشأن أعمال الإنسان، بل هنالك بون شاسع بين هدف اللّه وهدف الإنسان من الأعمال. وعلى ضوء الفارق بين اللّه والإنسان فى أنّ اللّه غنى وغير محتاج، والإنسان محتاج مطلق، يتبيّن أنّ الهدف من أفعال اللّه معانٍ أخرى تقابل بالضبط ما ذكر بشأن هدف الإنسان. فلما كان الإنسان فقيراً ومحتاجاً ولا تتوقف حاجاته لخارج ذاته ولو للحظة، كان عليه أن يجد ويجتهد على الدوام لرفع حاجاته وبلوغ تكامله. ولكن حيث إنّ اللّه وجود مطلق ولا متناهٍ فالفقر والحاجة ليس لها من سبيل إلى ذاته المقدّسة، ذلك لأنّها تنطوى على جميع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۲ الكمالات. وعلى هذا الأساس ينبغى أن يكون هدفه من أفعاله «إيصال المنافع للآخرين». وبعبارة أوضح: أنّ اللّه وجود مطلق وغنى وكامل من جميع الجهات وليس للنقص والحاجة من سبيل إلى ذاته المقدّسة، ومن جانب آخر نعلم أنّ أفعاله تستند إلى المصلحة والحكمة وذاته منزّهة عن فعل العبث، وعلى هذا الأساس نستنتج أنّ خلقه للإنسان لم يكن هدفه رفع حاجة عن نفسه، ومن المسلم به أنّ الأمر إنّما يعود إلى نفس الإنسان؛ والهدف إيصال هذا الإنسان إلى كماله المطلوب، دون أن يكون لهذا التكامل الذى يبلغه الإنسان أدنى انعكاس على ذاته المقدّسة. التكامل فى عالم الطبيعة: إنّ مطالعة مجملة فى عالم الخليقة توقفنا على حقيقة لالبس فيها، وهى: أنّ العالم بأسره مهد سمو وتكامل المخلوقات وإن تكامل كل مخلوق يتمّ بسبب تكامل مخلوق أسمى. فمثلًا تشرق الشمس وتنشر حرارتها على سطح البحار والمحيطات فتبعث بمقدار من مياه البحار إلى الأعلى بهيئة بخار فإذا ارتفع ارتطم به الهواء والرياح ليسوقه إلى المناطق الجافة، ثم يتحول البخار بفعل سلسلة من العمليات الفيزيائية إلى قطرات مطر تتساقط على الأرض فتسبغ الحياة على سطح الأرض الهامدة فتهتز لتناغم السهول والصحارى فتنثر الزهور والسنابل وتفيض بالعيون والشلالات وتلبس حلتها الخضراء لتسحر

بمناظرها الجميلة الخلابة أبصار الناظرين. ولعل مطالعة هذا الفصل من كتاب الوجود تعلم الإنسان أروع وأسمى درس فى معرفة اللَّه، كما يرشده إلى سنة اللَّه الحكيمة ليرى بأم عينيه كل كائن ومخلوق من جماد ونبات وحيوان يحث الخطى نحو كماله بحيث تتجمد هذه الحركة التكاملية كل يوم وكل عام لتتحول من صور ناقصة إلى صور متكاملة. فالشجرة العملاقة لم تكن يوماً أكثر من خلية ثم قطعت مسيرة ضخمة لتتحول إلى ذلك الشكل. وكذلك الجنين فى البيضة الذى شق طريقه فى ظل تدبير اللَّه وحكمته ليبلغ تلك المرحلة المتكاملة. وكان اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۳ هذا العالم أعظم مهد لبلوغ مختلف الكائنات رقيها وتكاملها. والإنسان أيضاً جزء من هذه الخليقة وأروع ثماره القيمة النفيسة مشمول بهذا القانون ويشارك سائر الكائنات مسيرتها التكاملية، وليس هنالك من هدف يقف وراء خلقه سوى بلوغ تكامله المنشود؛ وعليه أن يطوى مسيرته التكاملية بمحض إرادته واختياره. بل يمكن القول إنّ العالم برمته خلق لأجله ليوظف إمكاناته كافّة بغية تكامله. وعليه فإنّ اللَّه لم يخلق الإنسان ليرفع عنه نقصاً معيناً، بل خلق الإنسان ليبلغ به كماله ورقيه. وأوضح من ذلك: خلق الإنسان ليبلغ به أسمى درجات الكمال على مستوى العلم والحكمة والقدرة والإرادة والتفكير، فيكون بهذه الكلمات المحدودة عاكساً لكلمات الحق المطلقة واللامتناهية. لقد خلق الإنسان وأودعه استعدادات وقابليات عظيمة ونصب له الأنبياء والرسل أمناء على تعليمه وتربيته ليبلغ تكامله فى ظل عبودية اللَّه واتباع أوامره فيكون مستعدا للتفاعل مع تلك الحياة الأكمل فى العالم الأشمل. وقد صرحت بعض الآيات القرآنية والروايات الإسلامية بما أوردناه سابقاً؛ فالقرآن يصرح بأنّ الهدف من خلق الإنسان هو تلك الحياة والسعادة الأبدية الآخرة «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ» «۱» . والمراد عدم التعامل مع الهدف من خلق الإنسان على ضوء هذه الحياة المادية الضيقة، بل لابدّ من النظر إليه على ضوء العالم الآخر، ولنعلم أنّه بموته سيواصل مسيرته التكاملية ويتجه نحو اللَّه الكمال المطلق. ولعل الهدف الذى صرحت به الآية الشريفة: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «۲». والذى يتمثل بالعبادة لايعنى حاجة اللَّه لطاعة عباده، بل المراد أنّ الإنسان إنّما يبلغ تكامله المنشود من خلال العبودية وطاعة أوامر اللَّه؛ وهذا ما يقوده بالتالى إلى السعادة الأبدية، وبالطبع فإنّ الفوز بالحياة الأبدية الممزوجة بالسعادة والخير لتشكل الهدف الغائى والذى لا يدعنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۴ نتطلع إلى هدف آخر ويصدنا عن السؤال ثانية، قد يقال لماذا لم يمنح اللَّه الإنسان كل هذه الكمالات دفعة واحدة، ولماذا خلقه محتاجاً ليبلغ كماله المنشود من خلال السعى والعمل؟ والجواب واضح فى أنّ السمو الأخلاقى إنّما يكون ممدوحاً ويعتبر كمالًا حين يحصل عليه الإنسان بوحى تام من حريته واختياره وإرادته، وأمّا أن فرض هذا الكمال على الإنسان فلن يكون فضيلة أخلاقية وملاكاً للتفاصيل، فمساعدّة الضعفاء واعانة الفقراء وبناء المستشفى إنّما يكون دليلًا على التكامل الروحى حين يمارس الإنسان هذه الأفعال بمحض حريته وإرادته، ولو أخذت بعض الأموال قسراً من إنسان وانفقت فى هذا المجال، فهى ليست فضيلة خلقية له قط ولا يستحق بعمله هذا أى مدح أو ثناء. وبناءً على هذا فإنّ الإنسان لابدّ أن يسلك بإرادته سبيل الفضيلة ليبلغ تكامله الروحى المنشود. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۵

۱۷ هل الاعتقاد بوجود الشيطان دليل على الشرك؟

سؤال: إننا نذم اتباع الديانة الزرادشتية أنّهم مشركون فهل يعتبر اعتقادنا بوجود الشيطان بصفته مصدر الضلال والشر نوعاً من الشرك؟ كما أننا نذم عقيدة النصارى القائمة على أساس التثليث، أو لا يعتبر إيماننا بالنبى وجبرئيل إزاء اللَّه نوعاً من الشرك؟ الجواب: قطعاً مثل هذه الاستنباطات معلولة لعدم التفسير الصحيح لمعنى الشيطان أو جبرئيل والنبى. فالإلتفات إلى حقيقة معانى هذه الألفاظ لا يبقى أى غموض وابهام بهذا الشأن. توضيح ذلك: أنّ الشيطان كسائر الكائنات أحد مخلوقات اللَّه وكان يعرف بطهارته بادئ الأمر، لكن الكبر أهبطه من مرتبته السامية وألقى به فى مهاوى الفساد، وليس له من سلطة قسرية على بنى آدم، إنّما سلطته على الذين يمكنونه من أنفسهم ويستسلمون لوساوسه ويتبعون ولايته؛ أمّا أولئك الذين يقفون إزائه كالطود الشامخ بفعل إيمانهم باللَّه وإرادتهم القوية فلن تستطيع وساوسه النفوذ إليهم «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۶ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» «۱» ويتضح ممّا

قيل إنّ الشيطان ليس وجوداً مستقلًا بالنسبة للّه ولا ـ خالقاً للشر، بل هو مخلوق ضعيف كسائر المخلوقات، وإن تركه اللّه لممارسة وساوسه فذلك لكى لا يمسّ أولياء اللّه منه سوء فحسب، بل ليبلغوا بمقاومتهم له أقصى درجات السمو والكمال. وأمّا الاعتقاد باللّه وجبرئيل ومحمد صلى الله عليه و آله فلا ـ يشبه نظيره لدى النصارى بالأقانيم الثلاثة- اللّه والابن والروح القدس- بأى شكل من الأشكال؛ فنحن نؤمن بوحدانية اللّه وأنّه خالق عالم الوجود وأنّ كل ما سواه حتى النبى محمد صلى الله عليه و آله وجبرئيل وسائر الأنبياء والملائكة مخلوق للّهوليس لهم من أنفسهم أى اختيار فى عالم الوجود، والكل عباده ومنقاد لقدرته. وجبرئيل حامل وحى اللّه، ومحمد عبد اللّه ورسوله وصفيه من خلقه. وقد أشار القرآن الكريم بصفته مصدر جميع عقائدنا إلى هذه الحقائق على لسان أغلب آياته، كما أنّ الشريعة الإسلامية السمحاء لم تتضمن أيّة عبارة لألوهية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو جبرئيل عليه السلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۷

۱۸ كيف يكون تعدد الالهة مدعاة لفساد الخلق؟

سؤال: إنّ أحد أدلة وحدانية اللّه أنّ وجود مبدأين فى عالم الخلقة يوجب فساد الأرض والسماء، ولو كان للعالم إلهين فإنّ ذلك يؤدى إلى فساد الخلق. أولًا: لماذا يوجب تعدد الآلهة فساد عالم الخلقة؟ ثانياً: ما الضير أن يتحد خالقان فى خلق العالم وتنظيم شؤونه؟ الجواب: يمكن توضيح هذا الموضوع من خلال شرحين؛ الشرح العلمى والشرح الفلسفى. ونشير بصورة مختصرة إلى هذين الشرحين: ١- يمكن الوقوف من مطالعة كتاب على أنّ كاتبه شخص واحد أو عدّة أشخاص. فالكتاب الذى يؤلفه شخص واحد يتصف بنوع من الانسجام فى عباراته ومختلف تعبيراته وكناياته وإشاراته وعناوينه وأساليب ربط جمله، وبالتالى هنالك وحدة تحكم جميع أجزائه؛ لماذا؟ لأنّها تنبع من فكر واحد وتترشح من قلم واحد؛ والحال ليس هنالك مثل هذا التنسيق والانسجام فى الكتاب الذى يشترك فيه اثنان- مهما تطابقت أفكارهما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۸ وتطلعاتهما- وسيطالعنا الكثير من الاختلاف فى القضايا المذكورة سابقاً، ولاسيما إن كان هذا الكتاب كبيراً ومسهباً ويتناول بالبحث مختلف الموضوعات حيث سرعان ما تكتشف هذه الحقيقة. وعالم الخلق الذى يعدّ أعظم كتاب التكوين والذى لا يسع أفراد البشر كافّة حساب عدد صفحاته فضلًا عن مطالعتها، وقد اتفق الجميع على أنّ تلك الصفحات تنطوى على نسق ونظم انعدم مثيله؛ الأمر الذى أيده علماء الفلك والذرة والفيزياء والكيمياء والإحياء، وصرحوا بأنّه يخضع إلى نظام دقيق وغاية فى الاتقان، وهو ذات النظم الذى يحكم المنظومة الشمسية والكواكب والمجرّات، إلى جانب القوانين الكلية التى تشمل جميع تفاصيل الوجود، وخلاصة القول هنالك نظام واحد متناسق يفرض حكومته على الوجود برمته. وبالطبع لو كان لهذا العالم أكثر من مدير لما كان الوضع كما هو عليه ولغاب النظام والانسجام وسوف لن تكون النتيجة سوى فساد نظام الخليقة. فقد سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السلام عن الدليل على وحدانية اللّه فقال عليه السلام: «إتصال التدبير وتمام الصنع. كما قال اللّه: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» «۱»، «۲». ٢- البيان الآخر الفلسفى والذى وردت الإشارة إليه فى بعض الآيات القرآنية وتلخص فى ما يلى: إن كان مع اللّه إله آخر فى السموات والأرض فإنّ هذين الإلهين إمّا متماثلان ومتشابهان أو مختلفان؛ فإن كانا متماثلين (على غرار فردان يعدان كفرد واحد أثر اشتراكهما وتشابههما التام) وفى هذه الحالة ينبغى أن يكونا متفقين فى جانب ومختلفين فى جانب آخر؛ وذلك لاستحالة العثور على موجودين متفقين فى كل شىء دون أن يكون بينهما أدنى اختلاف، فحتى التوأمان المتشابهان فى الشكل واللون والقامة والصوت و ... اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۹ فإنّهما يفترقان فى بعض الأمور. والنتيجة فى مثل هذا الفرض «التركيب»؛ التركيب من «جهة الاشتراك "ولو الاشتراك فى أصل الوجود ومن «جهة الاختلاف» الذى يوجب التعددية، وحيث أثبتت البراهين الفلسفية أنّ اللّه بسيط فإنّ هذه الفرضية (إلهان متشابهان ومتماثلان) باطلة. وعليه سنضطر لمناقشة فرضية إلهين مختلفين وليس بينهما أى اشتراك ويتمايزان تماماً من حيث الوجود والذات. وبالطبع لا ينبغى أن ننسى بأنّ اختلافهما فى الذات والوجود يفضى إلى اختلافهما فى الأفعال، فلا يمكن تصور الانسجام بين أفعالهما

وهما على هـذه الحالـة من الاختلاف وممّا لا شك فيه أنّ تـدبير أحدهما سـيكون مخالفاً لتدبير الآخر، وبالتالى سوف لن تكون نتيجة مثـل هـذا الاختلاف سوى الفوضـى فى نظام الوجود وتشـتت الروابط والحلقات التى تحكم عالم الوجود وظهور الخلاف بشأن إدارته وأخيراً تصدع كيانه. والحال أننا نرى عكس ذلك فى عالم الخليقة، ذلك لأننا إن تأملنا أصـغر الكائنات الحيّة سنرى حالة من التنسيق والترابط بين هـذا الكائن وعالم الوجود وكأنّ الأخير خلق من أجلها؛ الأمر الذى يكشف بوضوح عن تبعية كل هذا العالم لإرادة مدبرة واحدة، وهذا ما أشارت إليه الآية الحادية والتسعون من سورة (المؤمنون). وبناءً على ما تقدم فالدليل الفلسفى والاستقراء العلمى يثبتان وجود إرادة ومشيئة وذات قدسية هى التى تحكم عالم الوجود بأسره. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۱

۱۹ هل يحتاج العالم فى بقائه إلى اللّه؟

سؤال: يقول بعض القراء الأـعزاء هنالـك شـبهة تطرح اليوم فى الأوسـاط الماديـة ولاـ نمتلك الردّ الشافى لها؛ رجاءً افيضوا علينا بهـذا الشـأن: «أننـا نقرّ بـأنّ نظـام الوجود يحتـاج فى ظهوره إلى مُبـدىء له علم وقـدرة، إلّاأنّ ديمومـة هـذا النظام ليست بحاجـة إلى ذلك المبـدىء؛ ذلـك لأـنّ خلق العـالم قـام على أسـاس نظام العلّة والمعلول بحيث يسـتمر هـذا النظام تلقائياً- سواء كان أم لم يكن ذلك الخالق- فالساعة الدقيقة قد تعمل لسنوات دون أن يكون هنالك من وجود لصانعها، أو المركبات الفضائية التى تتابع مسيرتها لسنوات فى الفضاء وترسل لنا الأخبار دون أن يكون هنالك من وجود لصانعها». الجواب: إنّ هذه الشبهة ليست جديدة ليثيرها اليوم الماديون، بل أثيرت سابقاً وقـد أجاب عنها الفلاسـفة والمتكلمون؛ على كل حال ترد هذه الشـبهة بصـيغتين: الأولى أنّ الوجود أو النظام الخاص يحتاج فى ظهوره إلى علة، لكنه لا يحتاج قط هذه العلة فى بقائه واسـتمراره، سواء كانت تلك العلة الأولى أم غيرها. وهذا ما اعتقد به بعض اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۷۲ الفلاسـفة القـدماء، وظنوا أنّ أى موجود لا يحتاج إلى علة لوجوده كالعمارة التى لا تحتاج فى بقائها إلى المعمار والبناء! فإنّ وردت الشـبهة بهـذه الصـيغة فإنّ الإجابـة عنها واضـحة. فبقاء موجود غير ظهور وجوده. وبعبارة أوضـح: وجود أى شىء فى أى زمان غير وجوده فى زمان ولحظة أخرى وبقاء الموجودات فى مسيرة الزمان مثل بقاء شكل النهر الذى تستبدل ذرات ميـاهه دائما، بينما تبقى صورته الظاهريـة. بعبارة أخرى: كما أنّ الموجود يتألف من أجزاء وكل جزء لا يكون دون علـة، فإنّ له من حيث الزمان امتداداً وعمراً يحتاج فى كل لحظة إلى علّة، وعليه فالشىء الذى لا يحتاج فى ديمومته إلى علة لابدّ أن لا يحتاج إليها فى ظهوره، ذلك لعـدم وجود فارق بين اللحظة الأولى والقادمة. دعنى أفصل لك أكثر وأوضح: على ضوء آخر التحقيقات لفلاسـفتنا القـدماء والمعاصـرين- فى بحث الحركـة الجوهرية وبحث النسبية- فإنّ الزمان البعد السابع للأشـياء، وعليه كما يمكن أن يختلف بعد شيئين من حيث الطول والعرض والعمق- أحـدهما أكبر والآخر أصـغر- كذلك يمكن أن يختلفا من حيث الزمان. وكما يسـتحيل كبر وصغر أى من أبعاد الجسم دون علة، فإنّ مقدار طول زمان وعمر الأشياء والحوادث بحاجة إلى علة. إذن إن قلنا إنّ الشىء لايحتاج فى بقائه إلى علة، كأننا قلنا إنّ الجسم الذى يبلغ طوله مئة متر إنّما يحتاج فى المتر الواحد إلى من يوجده والتسع وتسعون متراً الآخر تتولد تلقائياً، فهل هنالك من يقر بهـذا؟ وأمّا بشأن المثال السفسـطائى «الساعة وصانعها» وأمثال ذلك فلابدّ من الإلتفات إلى أنّ الساعة إنّما تحتاج فى وجودها إلى علّة كما تحتاج فى ديمومة عمرها إلى العلة، فهى تحتاج فى وجودها إلى الصانع، أمّا فى ديمومة وجودها فإنّها تسـتمد ذلـك من خصـائص مكوناتهـا؛ أى الفلزات المسـتعملة فيهـا والتى تمنحها العمر، ومن هنا هنالك فارق فى عمر الساعات على ضوء اختلاف موادها، وهـذا دليل واضـح على أنّها تحتاج العلة فى وجودها وديمومتها. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۷۳ ونتوصل ممّا ذكرنا إلى نتيجـة واحدة: كما يتطلب حدوث وظهور الشـىء علة، فإنّ ديمومته تحتاج إلى علة أيضاً- سواء كانت علة الظهور ذاتها علة الديمومـة أم غيرها- ومن أنكر الحاجـة إلى علـة فى ديمومة الحياة، فقد تنكر لقانون العلية. ونركز الآن على الجانب الثانى من الشـبهة الذى يمثل جوهرها (لابدّ من التأمل) قد يقول البعض: نعترف أنّ كل نظام يحتاج إلى علة فى بداية ظهوره وفى اسـتمرار حياته، ولكن لا يلزم أن تكون علة «الحدوث» هى ذاتها علة «البقاء» فما المانع أن يكون المبدأ الأصلى لعالم الوجود قد خلق العالم على أساس العلم

والإرادة، وقد نظم سلسلة العلل والمعاليل الطبيعية والمنسجمة بحيث يمكنه مواصلة حياته بصورة تلقائية؟ كما قيل في مثال الساعة حيث يصنعها عالم من مواد قوية وتستمر في عملها بعد وفاته- وبالنتيجة فإنّ عالم الوجود بحاجة في حدوثه إلى اللّه، لكن دوام بقائه يتوقف على سلسلة من العلل الطبيعية والحركات الجبرية. إن ورد السؤال بهذه الصيغة، فلابدّ أن يقال في الجواب: بالنظر إلى أنّ الزمان هو البعد الرابع للأشياء، يعني أنّ كل موجود طبيعي وآثاره تجتاز كل لحظة مرحلة جديدة من الوجود، بل في كل لحظة وجود جديد غير الوجود الأول وغير الوجود اللاحق، وبعبارة أخرى فإنّ العالم مجموعة من الحوادث والصيرورات، وفي هذه الحالة تتضح حاجة الموجود الطبيعي وبقاء خواصه إلى وجود العلة في كل لحظة؛ علة وجودها أزلي وأبدي وتابع من ذاتها، لا علة تحتاج بدورها إلى علة (لابدّ من التأمل). ودعني أوضح حقيقة الموضوع بمثال: لو تأملنا المصباح الكهربائي، فهذا المصباح يحتاج إلى تيار كهربائي، لكن هل يحتاج في اللحظة الأولى فقط إلى هذا التيار؟ طبعا لا، لأنّ هذا المصباح سينطفئ فوراً أنّ قطعنا عنه التيار ولو للحظة عابرة ولزالت جميع آثاره من قبيل الضوء والحرارة. ولعل المصباح يستمد طاقة كهربائية من سلك، ولكن نعلم بأنّ السلك بذاته لا يحتوى على كهربائية وهو الأخر يحتاج إلى مصدر كهربائي؛ وعلى هذا الأساس اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۴ نقول إن جميع موجودات هذا العالم وخواصها وآثارها تحتاج كل لحظة إلى مبدىء أزلي لتستطيع مواصلة بقائها؛ لأننا نعلم بأنّ وجود كل هذه الكائنات ليس من ذاتها؛ فكلها حادثة ومسبوقة بعدم. ونظام هذا العالم أيضاً يعتمد على علل طبيعية، لكن هذه العلل لابدّ أن تستبدل إلى علة أزلية. أي أنّ نور الوجود لابدّ أن يصلها كل لحظة من ذلك المبدأ الأزلي، ولو قطع عنها لحظة لانعدمت. وهذا ما نعبر عنه بأنّ اللّه في كل مكان ومع جميع الأشياء، وليس لهذه الأشياء من ديمومة لوجودها بدونه ولو للحظة. وعالم الوجود ليس عالماً أزلياً وأبدياً، بل عالم حادث يستند إلى وجود أزلي وأبدي، وهذا الاستناد جزء من ذات هذا العالم على غرار استناد المصباح الكهربائي للتيار والذي يعتبر جزء ذاته. والخطأ الوارد في قضية صناعة الساعة هو أنّ الصانع لم يصنع قط موادها الأصلية، بل رتبها بهذا الشكل، ولو كان صانعها الأصلي الذي أوجدها من العدم لزالت هذه المواد بزواله، وقس على ذلك البناء والمعمار فهما ليسا صانعي مواد البناء، وإلّا لزالت بزوالهما. ولو أردنا شرح الموضوع على أساس فلسفي لقلنا: إنّ العالم ممكن الوجود لا واجب الوجود؛ وعليه فممكن الوجود يحتاج إلى واجب الوجود في حدوثه وبقائه، ولو استغنى في بقائه لأصبح واجب الوجود، بينما يستحيل تبدل «ممكن الوجود» إلى «واجب الوجود». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۶

القسم الثاني الأنبياء والأولياء

۱ كيف يتكيف القانون الإسلامي الثابت مع العالم المتطور؟

سؤال: هنالك حركة تطور وإزدهار تعيشها المجتمعات، فكيف يمكن إدارة شؤون هذه المجتمعات المتغيرة بقوانين الإسلام الثابتة؟

الجواب: يساور هذا السؤال ذهن كل فرد له أدنى معرفة بالعلوم الاجتماعية ولمس عن قرب تغيير عادات وتقاليد وتقنية المجتمعات. وناهيك عن ذلك، فإنّ هذا السؤال من بين الأسئلة التي طرحت بشأن خاتمية النبوّة في الإسلام، وقد وردت أبحاث مسهبة بهذا الشأن من قبل العلماء الأعلام، كما تضمّنت المدرسة الإسلامية عدداً من هذه الأبحاث. «۱» ولعل هذا السؤال بعض الإيرادات التي أثارها بعض المسيحيين. فمثلًا البروفسور «جان الدر» أورد هذا السؤال في مقام إلتماسه العذر لعدم إتيان المسيح بالقوانين الاجتماعية للبشرية في مقدمة كتابه «تراث الكتاب المقدس» وقال: لا- يمكن إدارة المجتمعات المتطورة بسلسلة من القوانين الأبدية، ومن هنا فوّض المسيح للمجتمعات سن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۸ قوانينها لتكيفها مع عجلة الزمن. وكأنّ هذا البروفسور «جان الدر» أراد أن يدافع عن نقص المسيحية الراهنة ويتعرض للإسلام الذي يتبنى القوانين والمقررات الاجتماعية. والحق أنّ أنصار المسيحية عجزوا عن تقديم تفسير منطقي لإفتقار المسيحية الراهنة لإطروحة جامعة للحياة. على كل حال ما ينبغي أن يقال في جواب هذا السؤال أنّ في

الإسلام نوعان من القوانين: ۱- قوانين ثابتة وعامة وبالتالى أبدية ودائمية وليس للتغيير من سبيل إليها. ۲- قوانين متحركة ومتطورة تتماشى وتغير الظروف والمقتضيات، والمهم بيان ملاك القوانين الثابتة والمتغيرة وتمييزهما عن بعضهما. التوضيح: أن القوانين الثابتة والتى تأبى التغيير وقد نصت عليها المصادر الفقهية الإسلامية إنّما تتعلق بذلك القسم من القضايا الأخلاقية والشؤون الاجتماعية والحقوق المدنية والجزائية التى تستند إلى الاصول الفطرية والغرائزية الإنسانية الثابتة والتى تشترك فيها كافّة المجتمعات البشرية- أمّا تلك السلسلة من المقررات المرتبطة بالشرائط الزمانية والمكانية الخاصة والنسبية فى المجتمعات، فقد تكفّلت القوانين الإسلامية بطرح المبادئ الكلية، والتى يتمّ تعيين جزئياتها من قبل المعنيين المسلمين على ضوء حاجة المجتمعات والأمم. ولتوضيح نماذج هاتين الحالتين وبيان ملاك القوانين الثابتة والمقررات المتغيرة، لابدّ من الإلتفات إلى الآتى: إنّ لكل إنسان- بغض النظر عن الظروف الزمانية والمكانية المختلفة- غرائز ومتطلبات تعكس وتبيّن وجوده وتميزه عن الحيوانات، وهذه الغرائز- والتى يصطلح عليها بالأمور الفطرية- تشكل جزءاً من حقيقة وجوده والتى لا يعتريها التغيير بفعل الزمان. فمثلًا الإنسان موجود اجتماعى خلق لأن يعيش بصورة جماعية. كما يحتاج فى حياته إلى تشكيل أُسرة ويتعذر عليه دون هذا المجتمع المصغر ممارسة حياته. وبناءً على هذا فإنّ المبدأين؛ أى حياة الإنسان فى ظل هذا المجتمع «الكبير» و «الصغير» تشكلان جزء حقيقته الوجودية ولا تنفصلان عنه قط؛ وعلى هذا لابدّ من ثبات القوانين المتعلقة بإقرارالنظم وبسط العدالة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۹ الاجتماعية والعلاقات الحقوقية للأفراد ووظائف الزوج والزوجة إزاء بعضهما؛ ذلك لأنّ قضية «اجتماعية» الإنسان لن تتأثر بفعل التطورات التى تجتاح حياة المجتمعات البشرية؛ وعليه فالقوانين التى تتعامل مع مسألة اجتماعية تأبى التغيير بأى شكل من الأشكال. إلى جانب ذلك فإنّ حياة الإنسان قائمة على أساس قانون التكامل خلافاً لسائر الكائنات والأحياء التى تعيش بصورة جماعية كالنحل والنمل، ومن هنا فإنّ القوانين المتعلقة بأصول تكامل المجتمع لابدّ أن تكون ثابتة ولا تعرف من معنى للتغيير. والعلاقة القائمة بين الوالدين والأطفال علاقة فطرية وطبيعية، فالقوانين التى تسن بهذا الخصوص- كالإرث والتربية- لابدّ أن تكون ثابتة وأبدية. وهنالك العديد من هذه النماذج التى تدل على أنّ الفطرة والغرائز المتأصلة لدى الإنسان تشكل محور القوانين الإسلامية، صحيح أنّ صورة المجتمع تشهد تغيّراً كل عصر، لكن إنسان القرن العشرين هو نفسه إنسان القرن العاشر من حيث الفطرة والغريزة والدوافع الطبيعية الثابتة، وأنّ غرائزه وخصائصه الوجودية تأبى التبدل والتغيير. وعلى هذا الأساس وضع الإسلام مقرراته الثابتة فى هذه المجالات من قبيل حقوق أبناء المجتمع وعلاقاتهم الاجتماعية والروابط الأُسرية والزواج والتجارة والأمور المالية. وبغض النظر عن ذلك فإنّ هنالك سلسلة من المصالح والمفاسد الفردية والاجتماعية الثابتة التى لا يعتريها التغيير مع مرور الزمان، فلابدّ لهذه الأمور من قوانين ثابتة؛ على سبيل المثال أنّ الكذب والخيانة والتحلل والتفسخ الأخلاقى سيئة على الدوام مميتة لروح المجتمع. ومن هنا فإنّ حرمتها أن تكون أبدية ودائمية، ذلك لأنّ المجتمع قد يعيش حالة من الرقى والتطور إلّاأنّ أضرار هذه الأفعال لا تتبدل؛ كما أنّ القوانين ذات الصلة بتهذيب النفس والفضائل الأخلاقية والملكات النفسية كالقيام بالتكليف والحس الإنسانى ورعاية العدل ومئات الخصال ينبغى أن تكون أبدية ودائمية وليس للتغيير والتبدل من سبيل إليها. وعليه فإنّ القوانين الواردة بشأن هذه المسائل وأمثالها والتى سنّت قبل ألف واربعمئة سنة على ضوء الفطرة والغرائز البشرية بالاستناد إلى واقعية خاصة ترتكز على معرفة حقيقة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۸۰ الإنسان وتقييم غرائزه سوف تتمكن من إدارة المجتمع الراهن والمجتمعات القادمة على أحسن ما يرام. هذا بشأن القوانين الثابتة. إضافة إلى الغرائز الثابتة والمتجذرة لدى الإنسان هنالك بعض الأمور التى تتأثر بالظروف الزمانية والمكانية وتتغير تبعاً لتغيرها. وعليه فلابدّ أن تكون المقررات ذات الصلة بهذه الأمور متغيّرة؛ وعلى هذا الأساس فإنّ الإسلام لم يضع أحكاماً معينة لهذا النوع من المواضيع، فهى متكيفة والظروف المستجدة. طبعا تغير هذه المواضيع وتبدلها لا يعنى عدم شمولها بأى قانون، بل لابدّ من استخراج هذا القسم من المقررات من خلال سلسلة من المبادئ الكلية. ونستعين ببعض الأمثلة لتوضيح حقيقة الموضوع: مثلًا لا يمكن للحكومة الإسلامية أن تتخذ موقفاً معيناً فى ارسائها لعلاقاتها مع البلدان الخارجية، فقد تتطلب الظروف أحياناً التعامل والانطلاق من الصداقة والود وإشاعة أواصر الصداقة وتعزيز

العلاقات التجاريـة، بينما تقتضـي بعض الظروف حالة من التشدد بما فى ذلك قطع العلاقات وايقاف التبادلات التجارية وتعليقها لمدّة من الوقت، ولعل أبرز مصـداق لذلک قضـية تحريم التنباک التى لجأ إليها أحد كبار المراجع إزاء دولة اسـتعمارية محتكرة. كما ليس للإسـلام من أحكام خاصـة بشأن المسائل الدفاعيـة ونوع الأسـلحة الحربية وكيفية التعامل مع اسـتقلال البلاد وسـيادتها والحيلولة دون طمع الأعـداء فيها: بل لابـدّ أن تتعامل الحكومـة الإسـلامية مع بعض المقررات والأحكام على ضوء الأوضاع والظروف القائمـة وتتخذ كل ما من شأنه ضمان مفاهيم الإسلام. وعلى هذا الأساس فإنّ الإسلام وضع أصلًا كلياً بشأن تقوية البنّية الدفاعية دون الخوض فى نوع الأسـلحة والتكتيـک فقال: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...» «۱» . وقوله فى ذيـل الآيـة من ضـرورة أعـداد القوّة يهـدف إلى بيان المصـداق السائـد آنذاک، وذلک لأنّ أقوى وسـيلة آنذاک كانت الخيول. كما لم يضع مقررات بشأن القضايا المرتبطة بالثقافة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۸۱ وتطوير العلوم وكيفية حفظ الأمن القومى وبسط الإستقرار و ... وأوكل ذلک إلى الحكومة الإسـلامية. فقد اكتفى الإسـلام بالحث على تعلم العلوم النافعة وطالب بتنمية الثقافة الإسـلامية والإنسانية، ذلک لأنّ وسائل طلب العلم وكيفية النهوض به متغيرة على ضوء الظروف الزمانية والمكانية وتطور الأوضاع. وهنا لابدّ من الإلتفات إلى أنّ تشخيص الأحكام الثابتة من المتغيرة من اختصاص مراجع الدين، ولا يمكن لأىشخص ابداء وجهة نظره بهذه الأمور دون الرجوع إلى العلماء الأعلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۸۳

۲ القرآن وختم النبوة

كيف يشـهد القرآن على ختم النبوّة بنبى الإسـلام؟ سؤال: يسأل أغلب الأفراد أنّ مسـلمى العالم يجمعون على أساس كتابهم السماوى على أنّ النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله هو خاتم الأنبياء وآخر السـفراء الـذين بعثوا لهدايـة البشـر، وان دينه وكتابه و قرآنه هو آخر الأديان والكتب السماوية. نرجو أن تبيّن لنا أين صرح القرآن بختم النبوّة بغية غلق الباب على الشكوک التى ربّما تساور أذهان الأفراد المغرضـين. الجواب: لابدّ من الإلتفات بادئ ذى بدء إلى أنّ الشرائع السماوية وإن بدت للوهلة الأولى كشرائع مختلفة فيتصور الإنسان أنّ أديانـاً متعـددة عرضت على البشـرية وأنّهـا منفصـلة عن بعضـها البعض الآخر ولا تشترک فى بعض المبادئ والأصول؛ إلّاأنّ حقيقة الأـمر خلاـف ذلک؛ فالواقع هنالک وحـدة فى شـريعة نبى اللَّه نوح عليه السـلام. «۱» مع الشـريعة التى نـادى بها خاتم اجوبـة المسائل الشرعية، ص: ۸۴ الأنبياء، كما أنّ هنالک الكثير من جهات الشـبه بينهما، وبالتالى جعلت جميع الشرائع بمثابة شريعة واحدة مرتبطة مع بعضـها تكـاملت بمرور الزمـان وتكاملت المجتمعات لتعرض فى نهايـة المطاف على البشـرية بصـيغة دين جامع يغنى البشـرية عن أى تشـريع وتقنين. ومن هنـا أعلن القرآن الكريم منـذ اليوم الأـول أن ليس هنالک أكثر من دين شـرّع للبشـرية، هوالـدين الإسـلامى «۱». وسوف لن يقبل من أى إنسان تبعيته لغير هـذا الدين «۲». كما فند القرآن الكريـم أفكار تلک الطائفة التى نسبت إبراهيم بطل التوحيد إلى اليهودية أو النصـرانية وصـرّح بأنّه كان مسلماً «۳». وبناءً على هـذا فالشـرايع السـماوية فى الحقيقة شـريعة واحدة وقد تكاملت أثر تكامـل المجتمعات البشـرية وظهور المتطلبات العصـرية، لتتبلور فى خاتمـة المطاف بتلک الشـريعة التى بعث بها خاتم الأنبياء، والواقع نسـتطيع أن نشـبه هـذه الشـرايع بالصـفوف التى تبدأ بالمدرسة الابتدائية وتنتهى بدراسة الدكتوراه. أدلّة ختم النبوة: تعتبر مسألة خاتمية النبـى الأـكرم صـلى الله عليه و آله للأديـان من وجهـة نظر علمـاء المسـلمين من اجوبـة المسائـل الشـرعية، ص: ۸۵ ضـروريات الدين الإسـلامى المقـدّس، والتى يـدركها حتى الفرد الأجنبى بفعل اتصاله بالمجتمعات الإسـلامية، ويسـتحيل وجود فرد يعيش فى الأوساط الإسـلامية ولم تطرق سـمعه قضـية ختم النبوّة، وهـذا بحدّ ذاته أحـد الأدلـة على اختتـام النبوّة بنـبى الإسـلام صـلى الله عليه و آله. ولو أغضضـنا الطرف عن ضـرورية هذه المسألة وإجماع المسـلمين فى أنحاء العالم كافّة عليها، فهنالک بعض الآيات القرآنية التى أشارت صراحة إلى هذه المسألة ومنها الآية الشـريفة: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» «۱» . وللوقوف على مفاد الآيـة لابـدّ من توضـيح للفظ «الخاتم»؛ فالخاتم فى اللغة العربية تطلق على الأشـياء التى تختتم بها آخر

الرسالـة. فالختم فى الماضـى يعادل توقيع اليوم، كما يعمـدون فى الوقت الراهن إلى ختم الوثائق والكتب المهمّة بالإضافة إلى التوقيع، كما نرى الختم شائعاً اليوم لـدى دوائر الدولـة والشخصـيات الرسـمية. ويـدل الختم بالإضافـة إلى صـحة سـند ما ورد فى الكتاب على اختتام السـند أو الوثيقـة، وبالتالى فإنّ اعتبار الكتاب يتوقف على ختمه. كما كانوا فى السابق يسـتفيدون من القير أو الطين الخاص «٢» لأحكام غلق العلب التى تضم بداخلها بعض الأشياء كالعسل والخل وأنواع السوائل، ثم يختمونه ليكون دليلًا على عدم التلاعب به «٣». وخلاصـة القول فقـد قيل فى المصادر العربية بشأن تفسـير الخاتم: ما يختم به. وإن اطلق اللفظ فى العربية على الخاتم المعروف فذلك لأنّهم كانوا يختمون به فى السابق، ولاسيما السلاطين والملوك وزعماء القبائل الذين كانوا يخطون أسماءهم على خواتمهم ويختمون به. وحين عزم النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله على توسيع دعوته ومكاتبة السلاطين والملوك وإيفاد السفراء، أمر أن يعدوا له خاتماً وينقش عليه «محمد رسول اللَّه» وكان يختم به كل كتبه. «۴» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٨۶ وبناءً على ما تقدم فإنّ المعنى الابتدائى للخـاتم ليس مـا يتختم به فى اليـد، بـل مفاده الأولى الوسـيلة التى يختم بها الكتاب والوثيقـة والسـند، وإن اطلق على الخاتم المعروف لأنّـهم كـانوا يسـتفيدون منه فى عملين. وتنتشـر اليوم العديـد من الأختـام فى البلـدان العربيـة التى تصـنع من الفلزات والجلاـتين والتى تسـتعمل فى ختم الكتب والوثائق الرسـمية. وعلى هـذا الأساس يتضح معنى «خاتم النبيين»؛ لأنّ مفاد ذلك أنّ محمد صـلى الله عليه و آله شخصية ختمت به أبواب النبوّة التى فتحت بوجه البشرية منذ زمان آدم حتى زمانه، وقد انتهى هذا الفيض الإلهى إثر غنى المجتمع البشـرى عن نبى ودين جديـد، وكما يعلن بالختم انتهاء مضامين الكتاب، فقـد أعلن ببعث نبى الإسـلام صـلى الله عليه و آله انتهاء هذا الفيض واختتـام هـذه النبوّة الإلهيـة. وكـأن وجوده بمثابـة الختم الـذى اختتم به هـذا الباب وإلى الأبـد. التصـرف المسـتهجن فى معنى الخاتم: يبدو من المضـحك ما أوردته بعض الفرق الضالة بشأن «خاتم النبيين» حيث حاولت اغواء اتباعها فى أنّ المراد من «خاتم» فى الآية هو هذا الخاتم، والهدف من تشبيه النبى بالخاتم بيان مكانته بين سائر الأنبياء؛ فكما يكون الخاتم زينة لليد، فإنّ نبى الإسـلام كان زينة لسائر الأنبياء. ويبدو هذا التفسـير على درجة من الضـعف بحيث عمد زعيم هذا المسـلك فى بعض كتبه إلى تفسير الخاتم بمعناه الصحيح وهجر ذلك التأويل الشاذ «١». طبعاً لا يحق لمفسِّـر القرآن أن يبتدع ما يشاء من معانٍ للمفردات القرآنية، ويتحتم عليه مراعاة الاسـتعمالات اللغوية السائدة لدى العرب؛ والحال لم ترد لفظة الخاتم فى العربية بمعنى الزينة قط، فلا يقال أبداً: إنّ فلان خاتم أخوته، على أنّه زينتهم، ولو كان الهـدف كون النبى زينـة الأنبياء لانبغى أن تكون الاسـتعمالات الشائعـة من هذا القبيل ليقال إنّ نبى الإسـلام اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ٨٧ «تاج» و «اكليل» الأنبياء. لقـد فهم المسـلمون هـذا المعنى من لفظ الخاتمية قبل أربعة عشـر قرناً، كما ورد مثل هذا الاسـتعمال فى الروايات الإسـلامية. فقد قال الإمام الصادق عليه السـلام: «إنّ اللَّه ختم بنبيّكم النبيين، فلا نبى بعده، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده، وأنزل فيه تبيان كل شـىء» «١» . كما تصـرف البعض الآخر عبثاً فى لفظ «الخاتم» فزعم أنّ الخاتم فى الآية بمعنى الختم، لكن الهدف من وصف النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله بخاتم الأنبياء هو تصديق من سبقه من الأنبياء؛ فكما يفيد الختم صـحة مضامين الكتاب، فإنّ نبى الإسـلام يصدق دعوة جميع الأنبياء. ولا يبدو هذا التغيير الأجوف أحسن من سابقه، صحيح أنّ الختم يشـهد بصـحة الكتاب، إلّا أنّ العرب لم تقل للشاهد خاتم، بحيث يقال الخاتم للشخص الذى يختم الرسالة أو يشهد على حادثة. وناهيك عمّا سـبق فإنّ تصـديق الأنبياء ليس من مهام نبى الإسـلام، وكل نبى لاحق لا يصـدق النبى قبله فحسب، بل يصدق جميع من سبقه من الأنبيـاء. فقـد قـال اللَّه تعالى على لسان المسـيح عليه السـلام: «وَإِذْ قَالَ عِيسَـى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَـدِّقاً لِمَـا بَيْنَ يَـدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ...» «٢» ، كمـا ينبغى أن نلتفـت إلى أنّ الآيـات القرآنيـة الدالّـة على الخاتميـة لاـ تقتصـر على الآـية المذكورة، وهنالك العديد من الآيات التى صرحت بخاتمية رسالة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وقد آثرنا عدم التعرض لها مراعاة للإختصار. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٨٩

٣ هل كانت الشرائع السابقة ناقصة؟

سؤال: نعلم أنّ الدين الإسلامى هو الدين الجامع والشامل للبشرية جمعاء ويلزم من هذا أنّ الأديان السابقة كافّة بالنسبة للإسلام ناقصة، وهنا يرد هـذا السؤال: كيف أنزل اللَّه للأقوام السابقـة ديناً ناقصاً، واللَّه تبارك وتعالى منزّه عن إرسال دين ناقص؟! الجواب: تفيد أدلة عمومية وشـمولية الدين الإسلامى أن لا سبيل بعد بزوغ شمس الإسلام الذى يروم تكامل البشرية مادياً ومعنوياً سوى باتباع هذا الدين. طبعـاً كـان كـل دين من الأديـان السابقـة فى عهـده منهجاً حقاً لتكامل الإنسان وشـده إلى اللَّه وقـد طوى الإنسان مسيرته نحو السـمو والتكامل الروحى والمعنوى فى ظل تلك الأديان؛ إلّاأنّ ابلاغ الدين الإسـلامى- بصـفته الدين العالمى وخاتم الأديان- أصـبح من غير الصـحيح اتباع أى من الأديان السابقـة، وليس لغير هـذا الـدين من سبيل لإيصال الأمّـة إلى تكاملها المطلوب. ولكن كان كل دين فى زمانه أكمل دين للناس. وللتوضـيح أكثر نقول: إنّ مجموع الأديان السـماوية بمثابة مختلف الصفوف فى كلية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۰ يخوضـها الطالب الجامعى فى دراسته؛ فالذى يتعلمه الطالب الجامعى فى السنوات الأولى رغم أنّه أساس وصحيح فهو إعداد للصـفوف والمراحل المتقدمـة والتى تعـدّ مكملـة للمراحل السابقـة. وبناءً على هـذا فإنّ دروس كل مرحلـة تعدّ أفضل البرامج بالنسـبة للطالب فى تلك المرحلة، ولو لم يكن لك (كأن تطبق دروس المراحل المتقدمة فى السـنوات الأولى) فسوف لن تكون النتيجة سوى ضيـاع الوقت؛ والعكس صـحيح لو طبقت الـدروس الأولى وعرضت على طلبـة المراحل المتقدمـة. فهل هنالك من يسـتطيع القول إنّ دروس المرحلـة الأولى ناقصـة، أم لابـدّ من القول أنّ برامج ودروس كل مرحلة تعدّ أرقى الدروس بالنسـبة للطالب فى تلك المرحلة، وكـل مـا يتعلمه هو إعـداد المرحلـة المتقدمـة. وعلى هـذا الأسـاس نحكم بأنّ الأديان السابقـة كانت كاملـة فى وقتها لهدايـة المجتمع وإيصـاله إلى الكمـال المطلوب. وبالطبع فإنّ نسـخ الإسـلام لما سـبقه من أديان وكونه الـدين الجامع والشامل بالنسـبة لسائر الأديان لا يعنى أنّ تلك الأديان لم تكن على حق أو كانت ناقصـة وغير صـحيحة؛ ذلك لاسـتحالة نقصان الـدين الـذى يصـدر عن اللَّه الحكيم لهدايـة البشـر، بل كل دين فى عصـره كامل وحق وكافٍ لإيصاله الأمّـة آنـذاك إلى مرتبة السـمو والكمال. لكن لابدّ من التفكير فى الإنسان المتكامل والـذى ينشـد بلوغ ذروة الكمال المادى والمعنوى وفسـح المجال أمامه ليسـلك سبيلًا يمكنه من نيل ذلك التكامل. وعلى هـذا الضوء توالت الأديان السـماوية الواحد تلو الآخر لتهذيب الإنسان فى مختلف المراحل لتختتم بالديانة الإسـلامية التى تتربع على عرش تكامل الأديان. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۱

۴ دين أجداد نبى الإسلام صلى الله عليه و آله

سؤال: مـاذا كـان دين آبـاء و أجـداد النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله، وما المراد من قولهم أنّهم كانوا على دين إبراهيم الخليل عليه السـلام، ولمـاذا لم يعتنقوا دين المسـيح؟ الجواب: على ضوء المـدارك والأخبار التى وصـلتنا عن الأئمّـة عليهم السـلام فإنّ آباء النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله كانوا موحّـدين جميعاً، وهـذا المراد من كونهم على ملّة إبراهيم عليه السـلام؛ لأنّ إبراهيم كان أحد أبطال التوحيـد الرافضـين للشـرك والوثنيـة، وجهاده واضـح فى سبيل التوحيـد والعبوديـة ونبـذ الشـرك والوثنيـة، ومن هنا نعتنا القرآن نحن المسـلمين باتباع إبراهيم رغم تبعيتنا للشـريعة الإسلامية ومراده من ذلك التوحيد الخالص. والدين الوحيد الذى كان سائداً فى الحجاز والقبائـل العربيـة وله اتبـاع هو دين إبراهيم عليه السـلام؛ بـل كانت بعض سـنن إبراهيم شائعـة بين الوثنيين، وتصـطلح العرب على دين إبراهيم بالديانة الحنفية؛ بينما لم تكن الديانة اليهودية والنصـرانية تتمتع بذلك النفوذ فى الحجاز، وكانت أقلية يهودية ونصرانية تقطن فى المدينة وخيبر واليمن، وعلى أساس هذه اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۹۲ القرائن يمكن القول إنّ آباء النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله وأجداده كانوا على دين إبراهيم عليه السلام.

۵ هل كان نبى الإسلام صلى الله عليه و آله يقرأ ويكتب؟

سؤال: كتب السـيد عبد اللطيف رئيس معهد المطالعات الثقافية فى مقاله بشأن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أعرب فيها عن اعتقاده

المعزز بالأدلة بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقرأ ويكتب قبل البعثة وما تسالم عليه المسلمون من أنّه أمّى ظلم فاحش، فهل هـذا الكلام صـحيح؟ الجواب: نرى قبل مناقشة أدلة الكاتب المذكور ضـرورة توضيح مراد المسـلمين من أمّية النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله بغية إزالة الشـبهات الواردة بهذا الشأن. ١- إننا نعتقد أنّ: النبى صـلى الله عليه و آله كان أكمل البشـرية علماً وعملًا، وكتابه السماوى وقوانينه وأحكامه ومواعظه ونصائحه وكافّة تعاليمه شهادة حية على علومه ومعارفه الدينية الخارقة. ٢- ونعتقد أيضاً أنّ: النبى صلى الله عليه و آله كان ملماً بأسـرار عالم الخلقة والقوانين كافّة التى تحكم عالم الوجود، الأمر الذى لا ينكره القاصـى والدانى فضـلًا عن المسلمين كافّة. ٣- ونعتقد أيضاً أنّ: ذلك النبى العظيم إنّما استلهم عن طريق الوحى الكمالات كافّة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٩۴ وتعلم كل هـذه الـدروس والمعارف فى مدرسـة النبوة ولم يتتلمـذ قط على يد معلم ويأخذ عنه العلم؛ ذلك لأنّ النبوة ليست نبوغاً فرديـاً واجتماعياً يمكن الحصول عليه عن طريق التعليم والتعلم، بل هى هبـة إلهيّـة تمنـح لمن يسـتحقها من العباد. ۴- والمسلمون على ضوء الأقرار بما ذكر يقولون: إنّ النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله كان أمّياً، ويقصـدون بالأمّى أنّه لم يتعلم ويتتلمذ، لا أنّه لم يكن ذا علم ومعرفة، ولعل الخطأ يكمن هنا، لأنّ «عدم التتلمذ» لا يعنى عدم كسب العلم، فالأنبياء العظام لم يتعلموا لدى أحدٍ من البشر، لكنّهم كانوا أعظم المعلمين فى عالم الإنسان. فآدم عليه السـلام لم يتعلم لدى أحد، إلّاأنّ القرآن الكريم كان يصرّح بأنّه معلم الملائكة (ورد تفصيل هذا الموضوع فى الآيات ٢٨- ٣٢ من سورة البقرة). فإن كان المراد من تعلم النبى سعة إطلاعه وكمال علمه عن طريق الوحى، فهـذا مـا صـدقه جميع المسـلمين، وإن كان المراد تتلمـذه كالآخرين على يـد اساتـذة فإنّ الحياة العظيمـة للنبى وصـريح آيات القرآن ترفض ذلـك تماماً. ۵- يعتقـد المسـلمون أنّ: النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله لم يقرأ كتاباً قبل بعثته ولم يكتب صـفحة، وقـد أشار القرآن إلى هذا الموضوع صـراحة فى الآية ۴٨ من سورة العنكبوت: «وَمَـا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَـا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» وسيرد تفصيل هذا المطلب فى الردّ على أدلة الكاتب. هل كان النبى صلى الله عليه و آله يقرأ ويكتب بعد البعثة أم لا؟ ليس هنالك من رأى قاطع مئة بالمئة بهذا الشأن، والمشـهور أنّه صلى الله عليه و آله كان عملياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان الآخرون هم الذين يتولون كتابة الكتب والرسائل التى كان ينشـئها وهذا ما تؤيده الروايات الإسلامية. نعم يعتقد بعض الأعلام أنّ عدم قراءة النبى وكتابته ليست دليلًا على عدم قدرته على الكتابة والقراءة، ذلك لأنّ القراءة والكتابة من الكمالات التى لا يستطيع أحد أن يزعم أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان فاقداً لذلك الكمال وإن لم يسـتعمله. وقد صرّح العلّامة المجلسى رحمه الله فى البحار فى فصل «الحديبية» أنّه ليس هنالك من شك فى قـدرة النبى صـلى الله عليه و آله على القراءة والكتابـة، فكيف لا يحيط علماً بهذه الحروف من له كل هذه اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ٩۵ المعجزات والكرامـات والعلوم والمعارف «١». ونخوض الآن فى هـذا الموضوع وهو: هل تثبت أدلـة ذلك الكاتب الهنـدى أنّ النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله كان متعلماً؟ وهل تثبت أنّه كان قادراً قبل وبعـد البعثة على القراءة والكتابة وهل استغل تلك القـدرة أم لا؟ نخوض الآن فى أدلـة الكاتب المذكور: ١- يقول: لقـد ظن بعض المفسّـرين بغية إثبات قدسـية كتاب اللَّه وعدم تصـرف النبى صـلى الله عليه و آله فيه إلى أنّه لم يكن يحسن القراءة والكتابة، والحال من بعث من جانب اللَّه لا يتصـرف مطلقاً فى كلام اللَّه سواء كان متعلماً أم غير متعلم. الجواب: إنّ هـذا الكلام عجيب وليس هنالك مثل هذا الرأى فى المصادر المعتبرة لعلماء الدين، وسـمو الأنبياء الروحى والذى يصـطلح عليه بالعصـمة هو المانع الحقيقى من تصـرفهم فى كلام اللَّه لا فقدانهم للعلم. نعم ذهب بعض المسـلمين على ضوء الآية الشـريفة «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ...» «٢» . إلى تفسـير الأمّى بالمعنى المذكور. وقد ارتكب الكاتب خطأين فى تفسيره لمعنى «الأمّى» وعلة وصف النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله بهذه الصـفة؛ الأول أنّه اعتقد أنّ سبب اعتبار النبى أمّيـاً كـان حفظ القرآن من التصـرف من قبل النبى صـلى الله عليه و آله، والحال كانت العلـة غير ذلك؛ والثانى تصوره أنّ معنى الأمّى هو عدم القراءة والكتابة، والحال معنى الأمّى عدم التتلمذ وعلى ضوء اصـطلاح اللغويين (من لا يقرأ ولا يكتب) «٣» والفارق بين المعنيين كبير جـدّاً. ٢- يقـول: وصف القرآن النبى بـالقول «وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَـةَ ...». «۴» ولعـل أدنى مـا يلزم من يريـد تعليم الآخرين مضـمون كتاب أن يمسك بالقلم ويكتب، أو على الأقل يقرأ ما خط بالقلم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٩۶ الجواب: يمكن

أن يقال إنّ النبى صلى الله عليه و آله كان قادراً على القراءة والكتابة- وإن لم يستفد من تلك القدرة حتى بعد البعثة الشريفة- لكن هذه الآية لا تثبت مدعى الكاتب؛ لأنّ طريقة تعليم الأنبياء ليس على غرار معلمى المدارس؛ فالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يمارس وظيفته الخطيرة (التعليم والتهذيب) من خلال حفظه للآيات القرآنية، وهذا الأسلوب فى التربية والتعليم لا يتوقف على القراءة والكتابة على ورق أو سبورة. وخطأ الكاتب هنا فى أنّه تصور اسلوب الأنبياء فى التربية والتعليم كنظيره لدى المعلمين والمدرسين، والحال كانت سيرة الأنبياء- لاسيما سيرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله خلاف ذلك. ۳- يقول: إنّ القرآن الكريم نصير العلم والقلم حيث قال: «الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» «۱» حتى أنزل اللّه إحدى السور القرآنية فى مكة واسماها سورة «القلم»؛ وبناءً على هذا فهل يعقل أنّ النبى اجتنب التعامل بالقلم وهو المأمور بتعليم القرآن الذى يساند القلم! الجواب: ذكرنا سابقاً أنّ القدرة على القراءة والكتابة كمال يتصف به النبى، واستعماله وممارسته كمال آخر، إلّاأنّه صلى الله عليه و آله كان يتحفظ عن القلم على أساس بعض المصالح الكبرى. فلو كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يطالع كتاباً ويكتب رسالة لتذرع خصوم الدعوة ومنكرو النبوة بأنّ رسالته التوحيدية وكافّة تعاليمها وأحكامها إنّما أفرزته مطالعاته ومتابعاته لكتب الماضيين ولا تمت بصلة للّهوالوحى والعالم الآخر. وقد أشار القرآن صراحة إلى هذه الحقيقة فقال: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» «۲» ورغم السيرة النبوية التى تشهد بعدم تعلمه فإنّ طائفة من اليهود اتهمته بالتعلم من غيره ومطالعته لكتب الماضين: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۷ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» «۱» فلم يسلم صلى الله عليه و آله من هذه التهمة رغم مجانبته للقراءة والكتابة؛ ولو افترض مطالعته للكتب وكتابتها لكانت حربة بيد خصوم الدعوة ولقالوا فيه ما شاءوا! يذكر أنّ النبى صلى الله عليه و آله توقف لدقائق حين كان فى الثانية عشرة من عمره مع قافلة قريش عند راهب خلال مسيرته إلى الشام وقد استغل المستشرقون ذلك فأقاموا الدنيا واقعدوها ليزعموا بكل وقاحة أنّ محمداً إنّما تعلم كل هذه الحقائق من ذلك الراهب خلال تلك المدة الوجيزة. ۴- يقول: قال القرآن بشأن النبى صلى الله عليه و آله: «رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً» «۲» فظاهر الآية يشير إلى أنّ تلاوته للقرآن من خلال القراءة لا الحفظ. الجواب: ممّا لا شك فيه أنّ حامل الوحى (جبرئيل) لم يكن يتلو القرآن قراءة، وكان يلقيه على القلب الطاهر للنبى (دون أن تكون هناك كتابة) حيث قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ» «۳» ولابدّ أن يرى هنا تلك الكتابة التى زعم الكاتب المذكوركان النبى صلى الله عليه و آله يقرأها ماذا كانت؟ فهل سلم جبرئيل الأمين النبى كتابة؟ طبعاً هذا الأمر يتعارض صراحة مع الآية المذكورة؛ ذلك لأنّ قلب النبى وروحه القدسية كانت مركز نزول القرآن؛ فإمّا كان النبى يكتب، أو كان يملى والآخرون يكتبون وكان النبى صلى الله عليه و آله يتلو من خلال القراءة؟ قطعاً أنّ النبى كان يحفظ ما تنزل عليه من آيات. فبإذن اللّه لم يكن بحاجة لأن يكتب أو يملى ويكتب له آخر، وكتاب الوحى إنّما كانوا يكتبون القرآن لهم وللآخرين لا للنبى صلى الله عليه و آله. ومن هنا لم يرد فى التواريخ والسير أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يكتب القرآن، أو يأمر بأن يكتبوا له القرآن ويقرأه. وعلى هذا الأساس فإنّ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۸ المراد من تلاوة الصحف المطهرة فى الآية هى التلاوة حفظاً، وتلاوة الصحيفة والذى يصطلح عليه ب «تلاوة الكتاب» تستعمل بكلا المعنيين- كتابة وحفظاً- فى العرف واللغة. وبناءً على هذا فلفظ «التلاوة» ليس دليلًا على القراءة والكتابة، ومن ذلك أننا نقول لمن يقرأ حفظاً لبعض أشعار المتنبى أنّه قرأ بضع أبيات من القصيدة الفلانية، كما نقول قرأ فلان البيان الذى اصدرته المؤسسة الدينية بمناسبة كذا وكذا، والحال لم يقرأه من خلال كتابة وكان يحفظه حفظاً. والآية المذكورة على غرار سائر الآيات النازلة بشأن النبى والتى تصفه بأنّه «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ...» «۱» وتتضح هذه الحقيقة سيما بالإلتفات إلى سيرة النبى الذى كان ديدنه تلاوة القرآن حفظاً. ۵- ذكر الكاتب المذكور طائفة من الروايات والنصوص التاريخية تحت عنوان (النبى معلم) فى أنّ النبى صلى الله عليه و آله ساند العلم والمعرفة والكتابة؛ على سبيل المثال أوجب طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، حتى فضل طلاب العلم على المستغرقين فى العبادات المندوبة، فبنى المراكز التعليمية «الصفة» التى كان يتعلم فيها المسلمون، وطلب من أسرى معركة

بدر اطلاق سراحهم مقابل تعليم كل أسير منهم لعشرة من المسلمين. ثم خلص بعد ذلك إلى هذه النتيجة: هل هناك من يعتقد أنّ ذاك الزعيم الذى يعيش كل هذا الحرص على العلم والتعليم أن يحرم نفسه من معطيات القراءة والكتابة؟! الجواب: كل ما نقله الكاتب المحترم من الشواهد التاريخية والمصادر الإسلامية صحيح، لكنها لا تثبت مدّعاه (فى أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان يقرأ ويكتب قبل وبعد البعثة)؛ ذلك أن هنالك عدّة طرق وأساليب ليست خافية على احد فى مساندة الإسلام للعلم والمعرفة. والبحث هل استغل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قبل وبعد البعثة تلك القدرة ليمارس القراءة والكتابة خلافاً لما صرحت به الآية ۴۸ من سورة العنكبوت؟ وهل كان اسلوب تعليم النبى على غرار المعلمين المعاصرين الذين يدرسون من خلال الكتاب؟ أم كان اسلوبه التعليمى على ضوء تلاوة الآيات القرآنية وتعليم الحلال والحرام وافاضة التعاليم الإسلامية واسداء النصح والإرشاد؟ للوقوف على المزيد بشأن (أمّية) النبى صلى الله عليه و آله يمكن الرجوع إلى كتاب (بين يدى مدرسة الوحى) الذى يخوض بالتفصيل فى هذه القضية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۹

۶ ما كان الهدف من معراج النبى صلى الله عليه و آله؟

سؤال: استهلت سورة الإسراء بالآية الشريفة: «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» «۱». لماذا عرج اللَّه بنبيّه المصطفى صلى الله عليه و آله؟ فلو قلنا إنّ اللَّه أراد أن يريه مكانه، فذلك ليس بالصواب، لأنّ اللَّه لا يحويه مكان وهو فى كل مكان؛ وإن كان المراد تعريفه بالكواكب والمجرات وأبرز مناظر عالم الخلقه، فالقضية لا تخلو من إشكال؛ ذلك لأننا نحن المسلمون نؤمن بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام كانوا يعلمون بكل شىء وكل مكان. الجواب: أولًا: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ الآية الأولى من سورة الإسراء تسكت عن عروج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى السموات لتقتصر على حركة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولكن يمكن استفادة هذا المطلب من آيات أخرى كالآيات الشريفة: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۰ «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ... عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۱» فهذه الآيات تتحدث صراحة عن عروج النبى صلى الله عليه و آله إلى السماء، إلّاأنّ الإية الأولى من سورة الإسراء تتحدث عن بداية هذه المسيرة التى حصلت على الأرض، وكان الهدف من هذه المسيرة (كما وردت الإشارة فى الطائفتين من الآيات المذكورة) إلى رؤية آيات اللَّه الكبرى فى عالم الخلق. ومن البديهى أنّ تلك المشاهدة مشاهدة حضورية ولا يمكن لموجود له جسم أن يعيش المشاهدات الحضورية إلّابحضوره عند الموجود الذى يريد مشاهدته، وما ذكرته من أنّ النبى صلى الله عليه و آله عالم بكل شىء بدون العروج إلى السموات فإنّ هذا العلم يختلف تماماً عن المشاهدة عن قرب، وبالضبط كاطلاعنا على حادثة تقع فى منطقة بينما لم نكن فى موقع الحادثة فنراها بأم أعيينا، طبعاً هنالك تأثير أعمق فى وجود الإنسان للحضور فى الموقع ومشاهدة الحادثة، بينما ليس هنالك مثل هذا التأثير بفعل العلم الغيبى. وبناءً على هذا فإنّ اللَّه تعالى أراد لنبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله أن يرى عن قرب آثار عظمته ويفيض معرفة على قلبه المقدسّ، ولو تصور شخص أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يستطيع أن يرى من الأرض بهذه العين المجرّدة آثار عظمة اللَّه فى العوالم العليا لكان مجانباً للصواب ومخالفاً للحقيقة؛ فقد كان للنبى من حيث الجسمية خصائص الجسمانيات وعالم المادة، وهنالك حدّ معين لقدرة الرؤية البصرية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۱

۷ هل يستطيع الشيطان النفوذ إلى الأنبياء؟

سؤال: أعلن القرآن الكريم صراحة أنّ اللَّه خاطب الشيطان ليس لك من سبيل إلى عبادى المخلصين، فى حين تسلل الشيطان إلى آدم عليه السلام واغواه! رغم أنّ آدم عليه السلام من عباده المخلصين ومن أصفياء اللَّه، ومن المسلم به أنّ من نال مرتبة (صفى اللَّه)

قد اجتاز مرحلة العبودية الحقة؟ الجواب: ما خاطب اللّه به الشيطان أنّه لا يستطيع إغواء عباد اللّه ويزين لهم الفواحش والحرمات وبالتالى سوقهم إلى الكفر والمعصية. والفعل الذى صدر من آدم عليه السلام فى الجنّة لم يكن عملًا شيطانياً، بل لم يكن أكثر من ترك الأولى. والإنسان بصورة عامة هو الذى يسمح برغبته للشيطان بالتسلل إلى قلبه، وإلّا فليس له من سلطان قسرى علينا، والأنبياء بالطبع لا يدعونه ينفذ إلى قلوبهم. بعبارة أوضح: المراد من «سلطان» الشيطان هو أن يستحوذ على قلب الإنسان أثر ضعف إيمانه وعدم مبالاته، وبالتالى يزين له مقارفة الذنب، وليس للشيطان مثل هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۲ السلطة على روح الأنبياء القدسية. وقضية أكل آدم من الشجرة المحظورة كان من باب ترك الأولى، لا أنّها كانت محرمة عليه. وقد كشف أعلام الطائفة بالأدلة العقلية الواضحة عن عصمة الأنبياء من الذنوب، ومن أراد الوقوف على المزيد بشأن قصة آدم عليه السلام وأدلة عصمة الأنبياء فليراجع كتاب (الزعماء العظماء). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۳

۸ عصمة الأنبياء

اشارة

سؤال: ما فلسفة عصمة الأنبياء، وهل عصمتهم هبه إلهيّة صرفة، أم أنّهم نالوا هذه المرتبة بفضل أعمالهم؟ الجواب: إنّما تستند عصمة الأنبياء (الابتعاد عن الذنب والخطأ والنسيان) إلى كمالاتهم المعنوية والروحية. فمما لا شك فيه أنّ الحالة المعنوية للإنسان هى التى تقف وراء أعماله الحسنة والسيئة، فالحالة الروحية المتسافلة كالجهل وعدم الإيمان بالمبدأ والمعاد وطغيان الغرائز وما شابه ذلك إنّما تفرز الانحراف والمعصية، كما أنّ العلم والمعرفة والإيمان وتهذيب النفس والتقوى والورع يحول دون ارتكاب الإثم ويفضى إلى الأعمال الصالحة والإنسانية. ويتمتع الأنبياء على المستوى الروحى والمعنوى بقوة إيمان وعلم ومعرفة عظيمة، وكان هذان العاملان من أهم العوامل الروحية التى قمعت مقدمات الذنب والانحراف لديهم؛ فالإنسان حين يقف على قبح الذنب وعواقبه الوخيمة على سعادته الأبدية، وحين يبلغ ورعه مرتبة لا تجعل لعناصر الذنب الباطنية والظاهرية من تأثير عليه، فإنّ هذا الفرد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۴ يستحيل عليه مقارفة الذنب. وهنا يرد هذا السؤال: كيف ومن أين تتأتى هذه الحالة الروحية التى تفرز العصمة لدى الأنبياء؟ لابدّ من الالتفات إلى أنّ هذه الكمالات الروحية معلولة لعدّة عوامل محورية ورئيسية وهى:

۱- الوراثة

أثبتت علوم الدين أنّ بعض الاستعدادات الروحية لكسب الفضائل والكمالات الإنسانية، بل حتى بعض الخصائص والصفات إنّما تنتقل بالوراثة من جيل لآخر، والأسر التى ينتمى إليها الأنبياء من الأسر الطاهرة والنجيبة التى ورثت بمرور الزمان خزينا من الكمالات والفضائل الروحية فكانت تنتقل حسب الوراثة من جيل إلى آخر، والتاريخ أشار فى أكثر من موقع إلى هذه الحقيقة، مثلًا بالنسبة لأسر نبى الإسلام صلى الله عليه و آله فإنّ التاريخ يشير إلى أنّه ولد وترعرع فى أشرف قبائل العرب «قريش» ومن أشرف قريش عشيرة بنى هاشم، المشهورة بالصدق والشجاعة والكرم والغيرة والمروءة وأداء الأمانة، ومن هنا كانت موضع احترام كافّة القبائل العربية. وآباء النبى صلى الله عليه و آله وأجداده كما يفيد التاريخ من الأفراد المعروفين بالإيمان والشرف والصلاح. وبناءً على هذا فإنّ مسالة «الوراثة» خلقت فى الأنبياء استعداداً خاصاً لاستلهام الكمالات الروحية، فكان ذلك الاستعداد بمثابة أساس يمكنه بالإضافة إلى عوامل أخرى كالتربية والتهذيب أن يستقطب الفضائل لدى هؤلاء الأفراد.

۲- التربية فى نقل الفضائل والكمالات

العمل الثانى فى الكمالات الروحية للأنبياء ما نصطلح عليه بالتربية فأسر الأنبياء كانت تتحلى بكمالات وفضائل استطاعت تربيتهم عليها لتكمل استعدادهم الوراثى بغية كسب الكمالات الروحية، فطبعوهم على الإيمان والشجاعة والفطنة.

۳- عوامل مجهولة

يؤمن علماء النفس والطبيعة من خلال تحقيقاتهم بشأن علل الشخصية الروحية للأفراد- غير الوراثة والتربية- بسلسلة من العلل المجهولة التى قد تؤثر فى الجينات التى تحدد بعض الصفات فتؤدى إلى العديد من الحالات والقوى الروحية الخارقة لديهم، ويعتقد علماء النفس والطبيعة أنّ هذه العلل تحدث طفرات فى النطفة، وتؤدّى هذه الطفرات إلى ظهور خصال غريبة لدى هؤلاء الأفراد والتى تسبغ عليهم كمالًا روحياً معيناً.

۴- الهبة الإلهيّة

بالإضافة إلى العوامل الثلاثة المذكورة هنالك عامل مهم آخر هو الفيض الإلهى وعنايته الخاصة بالأنبياء. والعوامل السابقة تمنح المعصوم قدرة واستعداداً بحيث يشمل بفيض اللّه وعنايته الخاصة. وعلى ضوء هذا الفيض الربانى تصبح قواه الروحية أعظم تاثيراً وشدّة. وهذه الإفاضة تفعل كمالاته الروحية وتتبعها بكمالات أخرى وهذا اللطف الإلهى الخاص يوجب قوّة إيمان الأنبياء ومعارفهم وبصيرتهم، وقوة الإيمان وسعة العلم تقمع عوامل المعصية لدى المعصوم، وتفرز حالة طارئة، وهكذا تتظافر كل هذه العوامل لتحصن المعصوم من مقارفة الذنب والمعصية. والجدير بالذكر أنّ شخص المعصوم يتمتع فى كل هذه المراحل بحرية تامة فى الإرادة وعصمته اختيارية تماماً. وسنخوض فى هذه التفاصيل عند الاجابة عن السؤال القادم. ولا نرى من ضرورة للتذكير بأنّ ما قيل ثابت بحق الأئمّة الطاهرين عليهم السلام.

۹ هل عصمة الأئمّة فضل؟

سؤال: العصمة ملكة تحصن الإنسان من مقارفة الذنب والخطأ والإنحراف، وعليه فإنّ الأفراد الذين يتحلون بهذه الملكة لا يقدرون على الإتيان بالمعصية وبالتالى سوف لن يكون لعصمتهم من فضل. الجواب: إنّ عصمة الأنبياء من الذنوب والمعاصى ليست بخارجة عن إرادتهم واختيارهم قط، بل عصمتهم إرادية واختيارية تستند إلى العلم والإيمان. توضيح ذلك: إنّ العصمة من الذنوب من لوازم العلم والإيمان بمفاسدها، طبعاً هذا لا يعنى أنّ كل علم بلوازم الذنب ومفاسده يفضى إلى العصمة، بل لابدّ أن تكون حقيقة العلم على درجة من الوضوح بحيث يقف الإنسان ببصيرته على آثار الذنب، وعلى هذا الأساس يكون صدور الذنب منه بصيغة «محال عادى» لا «محال عقلى» وللوقوف على حقيقة الأمر نستعين بهذا المثال: لكل واحد منا عصمة إزاء سلسلة من الأعمال الخارجية التى تكلفنا حياتنا، وهذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۸ العصمة معلولة لعلمنا بمثل هذه الأعمال؛ مثلًا إذا كانت هنالك دولتان متخاصمتان ومتجاورتان بحيث ينتشر بينهما حرس حدود كل منهما ويستفيدون من الأضواء الكاشفة والكلاب البوليسية وربّما تزرع كل منهما الألغام على أراضيها، فإنّ أحداً من الناس لا يفكر فى تجاوز هذه الحدود فضلًا عن الأقدام عملياً على تجاوزها كونها تكلفه حياته؛ وعليه فلدى الإنسان عصمة إزاء هذا العمل. وأقرب من ذلك مثلًا هنالك عصمة يتحلى بها الإنسان إزاء شرب السم أو الإمساك بالسلك الكهربائى أو تناول الطعام المتبقى من شخص مريض مصاب بمرض الجذام أو السل، سيما إن كان له علم بعدوى المرض، فهو لا يقترب قط من هذه الأعمال، وصدور مثل هذه الأعمال من الإنسان يبدو محالًا عادياً، وسبب هذه العصمة تجسد لوازم تلك الأعمال، فهذه اللوازم تخترق بصره وبصيرته بحيث لا يفكر فى القيام بهذه الأعمال، فضلا عن ارتكابها. وإننا لنلاحظ بعض الأفراد الذين لا يتحرجون من أكل مال اليتيم، ولكن هنالك بالمقابل من يتحرز عن أكل دينار من الحرام؛ فلم لا يحتفظ الأول عن

أكل مال اليتيم بينما يأبى الثانى ما دون ذلك؟ طبعاً سبب ذلك أنّ الشخص الأول إمّا أنّه لا يؤمن أصلًا بتبعات هذا النوع من العصيان، أو حتى وإن امتلك الإيمان والاعتقاد، فإنّ حبّه للماديات تحول إلى حجاب غليظ ضرب على بصيرته بحيث يحول دون رؤيته لتلك الآثار والتبعات؛ أمّا الشخص الثانى فله إيمان راسخ بتبعات الذنب بحيث يرى كل قطعة من مال اليتيم جمرة من جهنم، وليس هناك من عاقل يأكل نارا؛ ذلك لأنّه يرى بعلمه الثاقب وبصيرته كيف تتبدل تلك الأموال إلى نيران محرقة، وعلى هذا الضوء تكون له عصمة من ذلك الذنب. والقرآن يصف أولئك الذين يخزنون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوقها الشرعية بأنّها تحمى بجهنم يوم القيامة لتسلط على وجوههم وجباههم وظهورهم «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ». «۱» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۹ والأن لو تمثل بعض مالكى الكنوز هذه الصورة وشاهدوا بأعينهم كيف يعاقب زملاؤهم، ولو حذروا من هذا العقاب بالنسبة لثرواتهم التى يمتلكونها وكيف ستكون عليهم وبالًا، قطعاً سيغيرون أسلوبهم وتعاملهم. وهنالك بعض الأفراد فى هذا العالم على درجة من الإيمان بمضمون هذه الآية دون مشاهدة صورة العذاب الإلهى بحيث لا يقل أثراً عن شهوده، وحتى لو رفع الغطاء الدنيوى عن أعينهم لما كان هنالك من تغيير فى إيمانهم. فمثل هؤلاء الأفراد يمتلكون نوعاً من العصمة إزاء هذه المعصية (كنز الذهب والفضة). فلو كان هنالك أفراد أو طائفة يتصفون بهذه الحالة إزاء عقاب جميع المعاصى، وقد اتضح لهم عذاب اللّه وأليم عقابه بحيث لم يعد لزوال الحجاب وإنعدام المسافات المكانية والزمانية أدنى تأثير على إيمانهم واعتقادهم، وعلى هذا الأساس فإنّ لهؤلاء الأفراد نوعاً من العصمة إزاء جميع الذنوب والمعاصى، فهم ليسوا فقط لا يقارفون الذنب فحسب، بل لايفكرون فيه. وبناءً على هذا فإنّ للعصمة فى هذه الموارد أثر مباشراً للإيمان والعلم القاطع بعقاب الأعمال، ولكل فرد نوع من العصمة إزاء بعض هذه الموارد. والواقع أنّ الأنبياء يتمتعون بعصمة تامة وشاملة أثر إحاطتهم العلمية بعقاب الأعمال وعلمهم بعظمة اللّه، وعلى ضوء هذا العلم فقد قمعت عندهم كافّة دوافع الذنب وطغيان الغريزة، فهم لا ينتهكون حدود اللّه. هذا هو مقام العصمة من الذنب الذى يتمتع به الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وأصلها الإيمان والعلم والمعرفة والتسلط على النفس وعلو الهمة. أفليست هذه العصمة فضيلة؟ وهل يستطيع هؤلاء إرتكاب الذنب؟ قطعاًيستطيعون، إلّا أنّهم لا يستغلون هذه الاستطاعة أبداً. فربّما يمكن لشخص محترم أن يسرق إبريق جاره أن تسلّق الجدار، لكنّه لا يفعل ذلك أبداً. والطبيب يسعه أن يشرب ماءً مملوءاً بالمكروبات، لكنّه لا يشربه، وهذا الفرد ليس بعاجز عن الشرب «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۱

۱۰ هل هنالک من منافاة بين العصمة والاستغفار؟

سؤال: رغم أننا نعلم بأنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام معصومون من الذنب ولا يصدر منهم أى خلاف، مع ذلك ورد فى بعض الأدعية عنهم أنّهم يعترفون بذنوبهم ويسألون اللّه العفو عنهم. ففى دعاء كميل مثلًا يتضرع على عليه السلام إلى اللّه بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ اغفِر لِى الذّنوبَ الّتى تَهتِكُ العِصَمَ ... اللَّهُمَّ اغفِر لِى كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطأتُها!». فهل مرادهم من هذه الأدعية الأئمّة لتتعرف على أدب مناجاة اللّه وكيفية طلب المغفرة بهذه العبارات، أم أنّ هنالك حقيقة معينة فى تلك العبارات؟ الجواب: لقد إلتفت العلماء الأعلام إلى هذا الإشكال منذ قديم الزمان فذكروا عدّة أجوبة لعلها تتفق جميعا على حقيقة واحدة، وهى أنّ للذنوب والمعاصى بُعد «نسبى» فى مثل هذه الموارد، فهى ليست من قبيل الذنوب المطلقة والعادية. توضيح ذلك: هنالك توقعات مختلفة فى جميع القضايا الاجتماعية والأخلاقية والعلمية والتربوية والدينية. وسنكتفى هنا بذكر مثال واحد من بين مئات الأمثلة لتوضيح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۲ الموضوع: لو تطوع عدد من الأفراد لمشروع خيرى كبناء مستشفى مثلًا للفقراء، فالعامل الذى له دخل محدود ومع ذلك يتبرع بمبلغ ما لهذا المشروع فإنّه يحظى بتقدير الآخرين، ولكن لو تبرع بهذا المبلغ رجل ثرى، فهو ليس فقط لا يستحق التقدير فحسب، بل ينقم عليه الجميع ويذمونه؛ أى أنّ التبرع الذى يمدح عليه شخص، يذم عليه شخص آخر! مع أنّ هذا المذموم لم يرتكب أى جرم من الناحية القانونية. وفلسفة هذا الموضوع كما أشرنا سابقاً: أنّ ما يتوقع من كل فرد يتوقف على إمكاناته

من قبيل العقل والعلم والإيمان وبالتالى إمكانيته وقدرته. فلربّما كان القيام بعمل من فرد يمثل عين الأدب والخدمة والحب والعبادة، لكنّه يمثل فى نفس الوقت من شخص آخر عين إساءة الأدب والخيانة وخلاف المحبّة والتقصير فى العبادة والطاعة! والآن على ضوء هذه الحقيقة، نأخذ بنظر الاعتبار الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ونقيم أعمالهم على أساس تلك المنزلة العظيمة: فهؤلاء مرتبطون مباشرة بمبدأ عالم الوجود وقلوبهم تنبض بعلمه المطلق اللامتناهى، وهنالك العديد من الحقائق الواضحة لهم والخافية على غيرهم، فهم قد بلغوا ذروة العلم والإيمان والتقوى، وزبدة الكلام فهم يعيشون حالة من القرب الإلهى بحيث لا يغفلون عن معبودهم طرفة عين. وبناءً على هذا فما كان مباحاً أو مكروها على غيرهم يبدو محرّماً عليهم! والذنوب التى تنسب إليهم من خلال بعض الآيات والروايات والأدعية ووقوفهم لطلب العفو والمغفرة من هذا القبيل؛ أى أنّ مقامهم المعنوى وعلمهم وإيمانهم على درجة من الرفعة بحيث إنّ أدنى غفلة فى أبسط عمل إنّما تعدّ معصية، ولعلنا نقف على هذه الحقيقة من الخير المعروف «حسنات الأبرار سيئات المقربين» «۱». وقد أورد الفيلسوف الجليل المرحوم الخواجة نصير الدين الطوسى جواباً للإشكال المذكور وهو: «أنّ الإنسان إن ارتكب حراماً أو ترك واجباً، ولابدّ أن يتوب وينزع عن معصيته، وهذا القسم من الذنوب لعامة الأفراد. ولكن إن ترك أمراً مستحباً وأتى بفعل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۳ مكروه فهذا من الذنوب أيضاً ولابدّ من الأستغفار، وهذا الذنب والأستغفار بالنسبة للأفراد المعصومين من القسم الأول من الذنوب. والذنوب التى نسبها القرآن والروايات لبعض الأنبياء عليهم السلام كآدم وموسى ويونس و ... من هذا القبيل، وليست من الطائفة الأولى، ولو إلتفت فرد لغير اللّه واشتغل بأمور الدنيا وغفل عن التوجه إلى اللّه فإنّ أهل المعرفة يعتبرون ذلك نوعاً من الذنوب، ولابد من التوبة منها وسؤال اللّه المغفرة. ومن هذا القبيل أيضاً ذنوب نبيّنا وأئمتنا والتى يقرون بها فى أدعيتهم ويستغفرون اللّه منها، وهى ليست من النوع الأول والثانى من الذنوب» «۱». ونرى من الضرورى لإكمال الجواب أن نتعرض هنا إلى الموضوع الذى ساقه أحد أعلام الشيعة المرحوم «على بن عيسى الأربلى» فى الجزء الثالث من كتابه النفيس «كشف الغمة فى معرفة الأئمّة» ضمن بيانه لسيرة موسى بن جعفر عليهما السلام فقال: «كان للإمام الكاظم عليه السلام دعاء فى السجود يقرّ فيه بالمعصية و يسأل اللّه المغفرة» «۲». فكنت أفكر فى معناه وأقول: كيف يتنزل عمّا تعتقده الشيعة من القول بالعصمة، و ما اتضح لى ما يدفع التردد الذى يوجبه فاجتمعت بالسيد السعيد رضى الدين أبى الحسن على بن موسى بن طاوس فذكرت له ذلك فقال: إنّ الوزير مؤيد الدين العلقمى سألنى عنه فقلت: كان يقول هذا ليعلم الناس، ثم إنّى فكرت بعد ذلك فقلت: هذا كان يقوله فى الليل، وليس عنده من يعلمه. ثم سألنى عنه الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى فأخبرته بالسؤال الأول والذى قلت والذى أوردته عليه، و قلت: ما بقى إلّاأن يكون يقوله على سبيل التواضع وما هذا معناه، فلم تقع منى هذه الأقوال بموقع، ولا حلّت من قلبى فى موضع، ومات السيد فهدانى اللّه إلى معناه ووفقنى إلى فحواه بعد السنين المتطاولة من كرامات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ومعجزاته. و تقريره أنّ الأنبياء و الأئمّة عليه السلام تكون أوقاتهم مشغولة باللّه تعالى، وقلوبهم مملوءة به، وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى، كما قال عليه السلام: «أُعبد اللّه كأنّك تراه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۴ فإن لم تره فإنّه يراك». فهم أبداً متوجهون إليه و مقبلون بكلّهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة، إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه. وإلى هذا أشار صلى الله عليه و آله: «إنّه ليران على قلبى وإنّى استغفر بالنهار سبعين مرّة» «۱». والعبارة المعروفة «حسنات الأبرار سيئات المقربين» وأمثالها إشارة لهذه الحقيقة التى أوضحناها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۵

۱۱ هل يجتهد الأئمّة فى الأحكام؟

سؤال: ما عقيدة علماء الإسلام بشأن الأحكام التى وصلتنا عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وخلفائه المعصومين عليهم السلام؟ وهل يجتهدون فى بيان بعض الأحكام كسائر الفقهاء؟ وما ذكرناه بالقول بعض الأحكام، ذلك لعدم وجود الاجتهاد فى النصوص القرآنية الصريحة أو الأحاديث النبوية الصحيحة. الجواب: هذا السؤال يتعلق بعلم الكلام حيث ورد بصورة مفصلة فى فصل النبوة

والإمامة فى كيفية علم النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام، نورده هنا باختصار، فعلماء المسلمين لا يرون للنبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام من اجتهاد فى بيان الأحكام، ويعتقدون بأنّهم لا يحصلون على الأحكام الشرعية بواسطة الاجتهاد، ومقامهم فى بيان الأحكام أسمى من الاجتهاد. فالقرآن فى سورة «النجم» يصف كلام النبى صلى الله عليه و آله بالوحى الذى يلقى إليه بواسطة الملك. «۱» والذى يتعرف على الحقائق عن طريق الوحى لا يحتاج قط إلى الاجتهاد واستنباط الأحكام من الأصول. ويصدق هذا الكلام على الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ فهؤلاء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۶ وإن لم يرتبطوا بالوحى، إلّاأنّ علومهم غيبية، فهم يبيّنون الأحكام التى لم يقلها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إثر عدم وجود المقتضى أو انتفاء المانع. فليس هنالك من حجاب بينهم وبين الأحكام الشرعية، وقد ألهمهم اللّه بلطفه وعنايته كل ما يحتاجه العباد من أحكام إلى يوم القيامة «۱». وعلى هذا الأساس فليس هنالك من معنى لاجتهادهم فى الأحكام، لأنّ الاجتهاد فى الأحكام وظيفة من لا يستطيع التوصل إلى الأحكام دون استفراغ الوسع وتطبيق القواعد الأصولية والفقهية، وربّما لا يتوصل إليها حتى بعد تحمل المشقة والعناء، أمّا النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى يتلقى الأحكام من طريق الوحى ينفتح على المتطلبات البشرية كافّة من حيث الأحكام والمعارف من خلال مجاريها الصحيحة، فإنّ مثل هذا الشخص سوف لن يحتاج إلى الاجتهاد ورد الفرع إلى الأصل واستنباط الجزئيات من الكليات. كما أنّ أوصياء النبى يعلمون حلال اللّه وحرامه وأحكامه كافّة، والذى تتضح له واقعية الأحكام بكل خصائصها لغنى عن الاجتهاد. نوضح أكثر: الاجتهاد يلازم عدم الاطلاع القطعى على الأحكام الواقعية، والأفراد الذين يقفون بصورة قطعية على الأحكام عن طريق الوحى أو وراثة النبى صلى الله عليه و آله ليسوا بحاجة إلى الاجتهاد. لكن علماء العامة يؤمنون باجتهاد الخلفاء فى أغلب الأحكام، وقد وردت آراؤهم بصورة مفصلة فى كتب «العقائد والمذاهب»، ولعل السبب الذى دعاهم إلى هذا الاعتقاد ما نقلوه من أخطاء عن الخلفاء ولم يكن لهم من توجيه لذلك سوى إن اعتبروهم مجتهدين كالفقهاء بحيث يخطئون أحياناً فى بيان الأحكام، ويبدو لهم أنّ خطأ الخلفاء فى بيان الأحكام إنّما كان بسبب احتهادهم، ولترسيخ هذه النظرية توسع بعضهم فى هذا البحث ليسلط الضوء على علم النبى صلى الله عليه و آله ويخلص فى خاتمة المطاف إلى أنّ النبى الأكرم كان يجتهد فى الأحكام التى لم يرد فيها نص شرعى! هذا بيان مختصر للموضوع والتفاصيل فى مباحث "العقائد والمذاهب."

۱۲ ما المراد بالأنبياء أولى العزم؟

سؤال: من هم الأنبياء اولو العزم عليهم السلام، وما هى كتبهم؟ الجواب: مشهور أعلام الشيعة أنّ عدد الأنبياء مئة وأربعة وعشرون ألف نبى، وإنّ مئة وثلاثة عشر منهم كانوا رسلًا- أى لهم مهمّة خاصة- بغض النظر عن مقام النبوّة. ويمتاز منهم خمسة أنبياء يسمون «أولو العزم»، ويتصف دين هؤلاء الأنبياء بالعالمية والشمولية. «۱» وهم حسب الترتيب الزمانى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وكتبهم: صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن. ورغم أنّ كتب الأنبياء السابقين اعتراها الضياع أو تغيّرت ماهيّتها بحيث لم يبق سوى بعض معالمها- وبشكل محرف- إثر تقادم الزمان واغراض المعاندين، إلّاأنّ القرآن الكريم ظلّ منذ نزل على قلب رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى زماننا الحاضر غضاً طرياً وسيبقى كذلك.

۱۳ ما عدد الأنبياء الذين سمّاهم القرآن؟

سؤال: ما أسماء الأنبياء الذين ذكروا فى القرآن؟ الجواب: بالإضافة إلى اسم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقد ورد ذكر خمسة وعشرين نبيّاً فى القرآن وهم: آدم، إبراهيم، إدريس، إسحاق، إسماعيل، إلياس، أيوب، داود، ذو الكفل، زكريا، سليمان، شعيب، صالح، عزير، عيسى، لوط، موسى، نوح، هارون، هود، اليسع، يحيى، يعقوب، يوسف ويونس عليهم السلام.

۱۴ هل عيسى ابن اللَّه؟!

سؤال: هنالک برنامج دينی يبثه التلفاز الأمريكی عن الكنيسة الكاثوليكية يوم الأحد؛ والقساوسة يدعون بدعاء خاص لبعض الافراد الذين حال المرض دون حضورهم الی الكنيسة هو: اللّهم إنّا نؤمن بک، وليس لک سوی عيسی، وإننا نؤمن بابنک عيسی! هذه هی عقيدة المسيحيين بشأن عيسی عليه السلام. وأريد أن أعرف ما الدليل الذی يجعلنا نحن المسلمون ننكر أنّ عيسی هو ابن اللَّه؟ الجواب: قد يبدو هذا السؤال عجيباً بالنسبة لمن يدرک منطق الإسلام بشأن معرفة اللَّه، لكنّه ليس كذلک لمن يعيش فی البيئة غير الإسلامية وله إرتباط بالنصاری الذين يؤمنون بالأقانيم الثلاثة (اللَّه والابن والروح القدس) ويتحدثون عن «الإله الأب» و «الإله الابن». ونری- قبل الخوض فی الجواب- توضيح الحقيقة التی يريدها المسلمون من كلمة «اللَّه» وما هو مرادهم منها؟ فكل من لديه أدنی علم بالعقائد الإسلامية يدرک أنّ «اللَّه» علی ضوء وجهة النظر الإسلامية مبدأ جامع لصفات الكمال كافّة ومنزّه عن كل نقص وعيب اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۲ وحاجة وحدود، وكل ما فی الكون محتاج إليه وهو الغنی المطلق. ومن البديهی أنّ مثل هذا الإله لا يحتاج إلی أحد وليس له أجزاء ذهنية وخارجية، وليس لهذا الإله أن يلد أو يولد وليس له زوجة ولا تحدّه عن حدود الزمان والمكان. «۱» لأنّ أيّاً من هذه الأمور إن كانت فی اللَّه فإنّه يهبط من درجة الألوهية ليصبح مخلوقاً. مثلًا لو كان كسائر الموجودات المادية مركباً وله أجزاء- كأن نقول الماء مركب من عنصرين هما الاوكسجين والهيدروجين- سيكون محتاجاً فی وجوده إلی تلک الأجزاء، وسوف لن يتركب دون هذه الأجزاء، وهذا المعنی لا ينسجم مع إلوهيته بصفته «مصدر الوجود» و «خالق الكون» وعلی هذا الأساس فإنّ المسيحيين الذين يعتقدون بأنّ عيسی ابن اللَّه إنّما يهبطون باللَّه من درجة الألوهية بهذه العقيدة ويضعونه فی مصاف سائر المخلوقات. كيف يمكن للَّهالذی يتنزّه عن التركب أن يفقد جزءً منه بشكل عيسی الذی يتصف كسائر أفراد البشر بالجسم والمادة، بحيث يصبح ابن اللَّه، واللَّه أبوه (لابدّ من التأمل). ولما شعر المسيحيون بأنّ هذا الموضوع «أنّ عيسی ابن اللَّه» لا ينسجم مع أساسيات العلم والعقل، اضطروا لتأويل الموضوع ليفسّروا بنوّة عيسی بأحد هذه المعانی: ۱- لما كان خلق عيسی خرقاً للعادة ودون أن يكون له أب، كما كانت أفعاله تستند إلی أنواع المعجزات والقدرات الخارقة للعادة، ومن هنا يمكن القول إنّ عيسی مظهر تجلی اللَّه ولذلک نعته اللَّه بالابن، أو حيث إنّ اللَّه كان شديد الحبّ لعيسی فقد دعاه إبنه. ويرد علی هذا التوجيه إشكالان هما: أ) تناقضه مع صريح العهد الجديد الذی يقول: لكن حيث تكامل الزمان بعث اللَّه ابنه الذی ولد من امرأة. ويتناقض مع عقائد عامة المسيحيين الواردة فی رسالة نيقيّة العقائدية: «إننا نؤمن بالرب الواحد الأب، القادر المطلق، خالق المرئيات وغير المرئيات، وعيسی المسيح ابن الرب، مولود من الأب، المولود الوحيد من ذات الأب، ربّ من ربّ ونور من نور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۳ وإله حقيقی من إله حقيقی وهو مولود لا مخلوق مولود من ذات هی ذات الربّ ...»، ذلک لأنّ العبارات المذكورة صريحة فی أنّ عيسی المسيح ابن اللَّه، وكما ينفصل نور عن نور فقد انفصل عيسی عن اللَّه واستقر فی رحم مريم، ومن هناک ورد إلی هذا العالم لهداية الناس والأخذ بأيديهم إلی شاطئ السعادة. ب) إن استند الخلق لغير أب أو إنطوت حياة الشخص علی بعض المعجزات وكانت كافية فی أن يسمی ذلک الشخص بابن اللَّه، فإنّ ذلک سوف لن يقتصر علی عيسی؛ فآدم عليه السلام ولد من دون أب وأم، كما ملئت حياة الأنبياء كابراهيم وموسی ونوح عليهم السلام و ... بأنواع المعاجز والكرامات، كما أنّ اللَّه يحبّهم جميعاً، وعليه فلابدّ من الاصطلاح عليهم جميعاً بأبناء اللَّه. ۲- التوجيه الآخر ما يقال: المراد من أنّ عيسی ابن اللَّه أنّ اللَّه حل فی جسد عيسی كما تحلّ الحرارة فی الماء. وهذا التوجيه لا يشكل هروباً من أصل الإشكال فحسب، بل هو استجارة بالرمضاء من النار؛ ذلک لأنّه كما ذكر فی مستهل البحث، إنّ اللَّه ليس بجسم ولا يحدّ بزمان ولا مكان، فاللَّه الوجود المحض والغنی عن الزمان والمكان، فكيف يمكن أن يحلّ ويتحد بجسد إنسان كعيسی وهو يأكل الطعام ويشرب وينام ويحدّ بالزمان والمكان كسائر أفراد البشر؟! فهل يمكن استيعاب ماء البحر رغم محدوديته فی قدح صغير، فإن قيل لا يمكن، فكيف يمكن حصر اللَّه غير المحدود فی جسد عيسی البشری المحدود؟! علی كل حال، موضوع بنوة عيسی للَّهليس خارجاً عن العقل والمنطق فحسب، بل من كان لديه أدنی علم بالعقائد الإسلامية فإنّ بعض هذه الأسئلة تثير لديه نوعاً من

الغرابة، على غرار استغرابه ممن يسأل: لماذا لا يتناول اللّه الطعام ويمشى و ...؟!

۱۵ ظهور الفرق المسيحية الثلاث

سؤال: هنالک عدّة فرق فى الديانة المسيحية، إلّاأنّ أشهرها ثلاث هى «الكاثوليكية» و «الارثودوكسية» و «البروتستانتية»! فما الاختلاف بين هذه الفرق ومتى ظهرت؟ الجواب: الكاثوليک ومعربها «الجاثليق» تطلق على فرقة من المسيحيين الذين يرون البابا زعيمهم الروحى. وكان الأساقفة سواسية؛ إلّاأنّ بعض أساقفة المراكز الكبرى كالأسكندرية وأنطاكيا والقسطنطينية وروما تزعموا ما حولهم من الكنائس. واصطلح على أساقفة الكنائس الثلاث الأولى ب «البطريارق» وأسقف روما بالبابا. والكنيسة الرومانية أصبحت أعظم شهرة فى العالم منذ ألّف «بولس» رسالته؛ ولم يكتفِ البابا بزعامة أكبر كنيسة فى العالم، حيث سعوا للتسلط بالتدريج على الكنائس العالمية كافّة، واستندوا إلى أنّ عيسى استخلف «بطرس» فكان أول أسقف لروما، وعلى هذا الأساس كان خليفة «بطرس» لابدّ أن يكون خليفة عيسى فى الأرض فيمارس سلطته على جميع الكنائس. وادعى «ليو» فى القرن الخامس زعامته لكافّة الكنائس المسيحية، وقد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۶ سلّم له أغلب أساقفة المغرب؛ بينما امتنع بطارقة القسطنطينية وأنطاكيا وأساقفة الكنائس الإيرانية عن الإعتراف بمقامه وزعامته؛ وقد أدّى هذا الإمتناع إلى ظهور الانفصال بين الفصائل اللاتينية المغربية والكنائس اليونانية والسريانية الشرقية. وما زالت هاتان الكنيستان منفصلتان إلى اليوم؛ إحداهما الكنيسة الأرثودوكسية اليونانية التى انتشرت فى اليونان وروسيا، والأخرى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التى استفحلت فى اوربا وامريكا. فهاتان الكنيستان تتفقان فى اصل العقيدة، إلّاأنّهما اختلفا فى قضية سلطنة البابا؛ بالإضافة إلى الاختلاف فى بعض الأمور الثانوية. أمّا البروتستانتية كما يبدو من معناها (الإعتراض) فهى اسم فرقة كثيرة الأتباع اليوم؛ وظهرت هذه الفرقة اثر اعتراضها على أسلوب الباباوات وتهافت رجال الدين المسيحيوين على جمع الثروات وبيع «صكوک الغفران» وفرض بعض القيود على المتعلمين. والواقع أنّ هذه الفرقة «اصلاحية» لتهذيب المسيحية ممّا فرضه عليها بعض الأساقفة والباباوات وزعيم هذه الفرق «مارتن لوثر» المصلح الكبير فى عالم المسيحية. ففى ۳۱/ ۱۲/ ۱۵۱۷ م لصق ورقة على جدار كنيسة «ويتنبرک» أعرب فيها عن غضبه وسخطه تجاه بيع صكوک الغفران وسائر انتهاكات القساوسة ليعتبرها مجانبة للمنطق. فلما علم البابا أمر باحضاره إلى روما، فتمرد عليه، فكفره لؤى العاشر عام ۱۵۲۰ م. فقام «لوثر» بأحراق ورقة تكفيره بشجاعة حظيت بثناء الآخرين، ثم ترجم الكتاب المقدس «العهد الجديد» إلى الألمانية وأفنى عمره فى التأليف وإصلاح الكنائس الخاضعة لنفوذه. وأخيراً رغم استطاعت الفرق البروتستانتية ممارسة الإصلاح فى المسيحية، وأنكرت بيع الجنان وصكوک الغفران والرهبنة وأمثال ذلک، وامتناعها عن الإعتراف بزعامة البابا، مع ذلک لم تستطع الخروج عن حالة جمود المسيحية بشأن «التثليث» وسائر المسائل الخاطئة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۷

۱۶ ما غسل التعميد؟

سؤال: ما المراد من غسل التعميد، وما كيفيته؟ الجواب: غسل التعميد أحد السنن الدينية المسيحية، ويزعمون أنّه كان قبل المسيح، وكل من يقوم بهذا الغسل فإنّه يؤدّى به إلى الطهارة من أى دنس ووقف النفس فى طاعة اللّه. مع ذلک قال مؤلف كتاب «القاموس المقدس»: «إنّ المسيح لم يعمد أحداً» «۱». وهناک خلاف بين المسيحيين بشأن كيفية غسل التعميد؛ فالبعض يقول بوجوب غمر البدن فى الماء، ويقول البعض الآخر بضرورة غمس البدن فى الماء ثلاث مرات، وأخيراً يقال: إنّ غسل التعميد للكبار الذين يستطيعون الإعتراف بالذنب عند القسيس؛ ومن هنا فإنّ الأطفال يعفون من هذا العمل؛ بينما يقول البعض بوجوب تعميد الأطفال ويعتقدون بكفاية رش البدن بالماء، لأنّ هذا العمل (رش الماء على الأطفال) إشارة إلى الغسل مع الروح القدس ويكفى قدر من الماء باسم الأب والابن والروح القدس. وبناءً على هذا فإنّ غسل التعميد لمن كان مسيحياً سبب طهارته من الذنب، كما يعتبر هذا الغسل بالنسبة اجوبة

المسائل الشرعية، ص: ۱۲۸ للأطفال والمسيحيين الذين لم يعمدوا أو الأفراد الذين يعتنقون هذا الدين حديثاً دليلًا على الدخول في الدين المسيحي. كيفية غسل التعميد: يسود اليوم جميع الكنائس غسل التعميد الموحد وبهذه الصيغة: يقوم القس بمل ظرف بالماء ويضيف إليه أحياناً مقداراً من الدهن والملح، ثم يخاطب من يروم تعميده أمام الجميع قائلًا: «إعلم أنّ المسيحية عبارة عن الاعتقاد بأنّ اللَّه يتركب من ثلاثة أصول أزلية الأب والابن والروح القدس؛ إذن عيسى الرب وابن الرب وانعقد بهيئة بشر في رحم أمّه مريم؛ فهو إله من جوهر أبيه وإنسان من أمّه وقد صلب ثم حيي بعد ثلاثة أيّام و (كان أربعين يوماً بين الناس) ورفع إلى السماء وجلس يمين الرب وسيشهد بإيمانك يوم القيامة ذلك الرب المقتول». وهنا ينبغي أن يرد الطرف المقابل بلى، فيقوم القس مباشرةً بصب الماء على الشخص ويقول بصوت مرتفع أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس ثم يجفف وجهه بمنديل، فتغفر ذنوبه في هذه اللحظة أو يصبح مسيحياً بصورة رسمية. ويعمد الصبي في اليوم الثامن، حيث يأتي الوالدان بصبيهما إلى الكنيسة، فيخاطبه القس بالعبارات السابقة ويلبي الوالدان بدل الطفل «۱». ولو تأمل كل منصف تشريفات غسل التعميد لرآه مشحوناً بسلسلة من الخرافات، نشير إلى جانب منها: أولًا: إنّ الذنب نوع من الأنحراف الروحي والأخلاقي ولا تزول آثاره قط دون تصفية الروح والتوبة الحقيقية والتربية الأخلاقية والإنابة إلى اللَّه، ورش الماء بعد خلطه بالدهن (بلسان) والملح ليس من شأنه تصفية روح الإنسان وغسل قلبه، ولو عاش الإنسان توبة حقيقية من الذنب وندم على ما فرط منه لما كان بحاجة إلى هذه الخرافات. فالإسلام يعتبر اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۹ ندم الشخص انعكاساً لطهارته من الذنب، ولا يؤمن أبداً بأن ينتهك المذنب ستره ليبوح لآخر بذنوبه ليكون واسطة وسببا لغفرانها. ثانياً: الإيمان بالتثليث- وبهذه الصراحة- شرك علني ليس من شأنه أن يكون وسيلة للطهر فحسب، بل يبعد الإنسان عن حقيقة التوحيد، وبالطبع أنّ العقيدة التي تستند إلى هذه الخرافات سوف لن تكون وسيلة للنجاة والتربية، بل لا تؤدّي سوى إلى الانحراف والضلال، والحق أنّه لمن دواعي الدهشة والذهول أن يتكلم هؤلاء بهذه العبارات التي تفيد الكفر صراحة ويزعمون أنّها ستطهرهم من الذنب. ولعل رؤية واضحة تبدو لنا ممّا تقدم عن واقعية الدين الإسلامي المقدس، فالإيمان بمبادئ هذا الدين لا يتوقف على أي من هذه الخرافات، وكل فرد أينما كان آمن بوحدانية اللَّه ونبوة النبي صلى الله عليه و آله سيكون مسلماً واقعياً ويتساوى في الحقوق مع سائر المسلمين، وعليه فليس هناك داعٍ لأن يحضر عند شخص ليسمع تلقيناته ويصدق بخرافاته.

۱۷ بشارة المسيح بنبي الإسلام

سؤال: هل ورد في الأناجيل بشارة المسيح بالنبي صلى الله عليه و آله كما ورد في القرآن وأنّ اسمه «أحمد»؟ الجواب: الآية الشريفة الواردة في القرآن بهذا الشأن «... وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱». يقول المحققون إنّ هذه البشارة وردت في انجيل يوحنا في الأبواب ۱۴ و ۱۵ و ۱۶ وقد أخبر المسيح عن انجيل «يوحنّا» بمجيئ شخص من بعده يدعى «فارقليط» وتفيد أغلب القرائن أنّ المراد به نبي الإسلام، ونرانا مضطرين لتوضيح المطلب بذكر بعض النصوص المذكورة في بعض الأناجيل: «إن كنتم تحبونني فالتزموا بأحكامي وسأطلب من الأب أن يبعث لكم "فارقليط "آخر وسيبقى معكم إلى الأبد. أنّه روح الحق والصدق وسوف لن يصدقه العالم، لأنّهم لا يرونه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۲ ولا يعرفونه، لكنه يعرفكم، لأنّه سيبقى معكم وبينكم» «۱». «لقد قلت لكم هذا الكلام حين كنت معكم، إلّاأنّ ذلك "فارقليط "الذي سيبعثه الأب بأسمي، سيعلمكم كل شيء وسيذكركم بكل ما قلته لكم» «۲». «لقد أخبرتكم به قبل ظهوره لتؤمنوا به حين ظهوره» «۳». «سابعث لكم من جانب الأب ذلك الفرقليط وسيشهد لي فهو روح الصدق» «۴». «أقول بحق من المفيد لكم أن أذهب ولو لم أذهب فإنّ ذلك «الفارقليط» سوف لن يأتيكم، فإن ذهبت سأبعثه لكم، فإن جاء سيلزم العالمين بالذنب والصدق والإنصاف: بالذنب لأنّهم لا يؤمنون بي، وبالصدق لأنّي أذهب إلى أبي، وسوف لن ترونني، وبالإنصاف لأنّ الحكم سيجرى على رئيس هذا العالم، وسيكون لدى الكثير لأقول، لكنكم لا تستطيعون تحمل ذلك الآن، لكنّه إن جاء سيرشدكم إلى الحقيقة لأنّه لا ينطق عن نفسه، بل سيتكلم بكل ما يسمع. وسينبئكم عن

المستقبل وسيئنى علىَّ، لأنّه سيجزيكم بكل ما يجده منى. كلما كان من الأب فهو منى ولذلك قلت لكم سيجزيكم بكل ما يأخذه منى». «۵» ولدينا هنا قرائن واضحة فى أنّ المراد من «فارقليط هو النبى محمد» الذى يأتى بعد المسيح لا روح القدس: ۱- لابدّ من الألتفات أولًا إلى أنّ المستفاد من بعض التواريخ المسيحية أنّه كان من المسلّم بين مفسّرى الإنجيل قبل انبثاق الدعوة أنّ فارقليط هو النبى الموعود، حتى استغله البعض وزعم أنّه الفارقليط الموعود. مثلًا: «منتسر» المرتاض الذى عاش فى القرن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۳ الميلادى الثانى، ادّعى النبوة فى آسيا الصغرى عام ۱۸۷ وقال: أنا فارقليط الذى بشر به عيسى ويتبعه الناس «۱». ۲- يستفاد من الآثار والتواريخ الإسلامية المعتبرة أنّ الزعامات السياسية والدينية المسيحية كافّة كانت تتطلع إلى أيّام بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى النبى الموعود الذى بشر به الإنجيل، ومن هنا لما قدم سفير النبى وسلّم رسالته إلى ملك الحبشة، التفت إلى السفير وقال: أشهد أنّه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب، وكما أخبر موسى عن نبوّة المسيح، فقد بشر المسيح بنبى آخر الزمان وذكر علاماته «۲». وحين تسلم قيصر رسالة النبى، أجاب بأنّه كان يعلم بظهور نبى آخر الزمان، لكنّه ظن أنّه سيظهر من الشام ... «۳» فالذى يستفاد من هذه النصوص التاريخية أنّهم كانوا ينتظرون نبيّاً، ولا شك فى أنّ هذا الانتظار يستند إلى الإنجيل. ۳- الخصائص التى ذكرها المسيح ل «فارقليط» والنتائج المترتبة على ظهوره، تفيد بما لا يقبل الشك أنّ المراد به النبى الموعود، والتى تجعل من المتعذر تفسيره بروح القدس. وتوضيح ذلك: أ) ابتدأ المسيح كلامه بالقول: «إن كنتم تحبوننى فالتزموا بأحكامى، وسأطلب من أبى ليبعث لكم" فارقليط "آخر». أولًا: أنّ تذكير المسيح بحبّه يفيد عدم استجابة أمّته لمن يبشر به بالمجيئ بعده، ولذلك يحاول من خلال إثارة عواطفهم دفعهم لطاعته، ولو كان المراد به روح القدس كما فسّره أصحاب الإنجيل لما احتاج هذه المقدمة. لأنّ روح القدس أن هبط فسوف يستحوذ على القلوب والأرواح بحيث لا يدع لأحد من مجال لإنكاره، أمّا إن كان هو النبى الموعود، فهنالك حاجة ماسة لهذه المقدمة؛ ذلك لأنّه ليس للنبى الموعود من سبيل فى التأثير على القلوب سوى من خلال الوعظ والإرشاد، وعلى هذا الأساس تؤمن به طائفة وتكفر به اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۴ طائفة أخرى ولم يكتف المسيح بهذا، حيث قال فى الآية ۲۹ من الباب ۱۴ (لقد أخبرتكم به قبل ظهوره لتؤمنوا به حين ظهوره)، فى حين لا يحتاج الإيمان بالروح القدس إلى الوصية فضلًا عن هذا الكتاب. ثانياً: قال: «سيبعث لكم فارقليط آخر» فإن فسّرناه بنبى آخر كان الكلام تاماً، أمّا إن قيل المراد به روح القدس، فلفظ «آخر» لا يخلو من تكلف، ذلك لأنّ روح القدس واحد ولا معنى للآخر. ب) «سيذكركم بكل ما قلته لكم "»۲۶: ۱۴ "وسيشهد لى (الباب ۱۵، العبارة ۲۶). قيل إنّ الروح القدس هبط على الحواريين بعد خمسين يوماً من صلب عيسى، فهل نسيت هذه الصفوة تعليماته كافّة خلال هذه المدّة القصيرة ليعلمهم روح القدس تلك التعاليم ثانية؟ وما حاجة حواريى المسيح لشهادته ليشهد على المسيح! أمّا إن كان المقصود به النبى الموعود فسيكون معنى العبارتين صحيحاً؛ ذلك لأنّ أمة المسيح نسيت أغلب تعاليمه بفعل تقادم الزمن والأيادى التى امتدت إلى الإنجيل، لقد جاء محمد صلى الله عليه و آله بكل تلك التعاليم وشهد بنبوّة عيسى عليه السلام وقال: كان نبيّاً مثلى وبرأ أمّه ممّا وجه إليها من التهم وبرأ عيسى من دعوى الالوهية. ج) «لو لم أذهب فإنّ ذلك الفارقليط سوف لن يأتيكم» (۷: ۱۵) فقد اشترط مجيئ فارقليط بذهابه، فإن كان المراد روح القدس فإن نزوله عليه وعلى الحواريين لم يكن مشروطاً بذهابه؛ لأنّ المسيحيين يعتقدون بإن الروح القدس نزل على الحواريين الذين وجههم المسيح للوعظ «۱». وعليه فإنّ نزوله لم يكن مشروطاً بذهابه قط؛ أمّا إن قيل إنّ المراد به نبى صاحب شريعة- وشريعة عالمية- فإنّ مجيئه سيكون مشروطاً بذهاب المسيح ونسخ شريعته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۵ د) وردت أمور ثلاثة أثر نزول «فارقليط» هى: (أنّه يلزم «۱» العالم بالذنب والصدق والإنصاف؛ بالذنب لأنّهم لا يؤمنون بى) (۸: ۱۶). وتعلم على ضوء عقيدة المسيحيين أنّ «روح القدس» نزل على الحواريين بعد ۵۰ يوماً من صلب عيسى وأنّه لم يلزمهم قط بالذنب والصدق والإنصاف، ويستفاد من ذيل الآية أنّه ينزل على المنكرين لا الحواريين الذين لا يكذبون المسيح قط. لكن إن قلنا إنّ المراد نبى الإسلام الموعود، فإنّ كل هذه الخصائص مجتمعة فيه. ه) «سيشهد فارقليط لى- المسيح-» (۲۶: ۱۵). «سيخبركم بالمستقبل وسيئنى على» (۱۳: ۱۶). فالشهادة للمسيح تكشف أنّه ليس الروح القدس، لأ، الحواريين ليسوا بحاجة لتصديقه، كما أنّ المراد من أنّه

سيمنحه الجلال، فهو المدح والثناء من النبى الموعود للمسيح وإكماله شريعته، فأى جلال أعظم من هذا. ولعل تأمل هذه القرائن يرشدنا إلى الحقيقة التى توصل إليها محققو الإسلام، طبعاً لا تقتصر القرائن على ما ذكر، وهنالك الكثير. وفى الختام ننقل موضوعاً أوردته الموسوعة الفرنسية الكبرى: ج ۲۳ ص ۴۱۷۴ بهذا الشأن حيث جاء فيها: «محمد مؤسس الدين الإسلامى ورسول اللّه وخاتم النبيين؛ وكلمة محمد تعنى كثير الحمد ومن مادة حمد بمعنى التجليل والتحميد. والاسم الآخر المشتق من مادة حمد هو أحمد والذى يحتمل أنّ مسيحيى الحجاز استعملوه بحق فارقليط. وهكذا ذهب المفكرون اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۶ الإسلاميون إلى أنّ المراد من ذلك اللفظ البشارة بظهور نبى الإسلام. وقد أشار القرآن فى سورة الصف صراحة إلى هذا الموضوع» «۱». إستعنا فى هذا الموضوع بالكتاب القيم «أنيس الأعلام» تأليف فخر الإسلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۷

۱۸ ولادة مريم

سؤال: تظهر الحياة (خلية النطفة) فى ظل تركيب جزئين أساسين هما (الأسبرماتوزوئيد) و (الأوفل) وهذا التركيب (اللقاح) فى أنّ الخلية الجنسية الأنثوية ليست قادرة لوحدها فى خلق الحياة (النمو والتغذية والتقسيم). وعلى ضوء هذا الأصل العلمى المسلم، فكيف حملت السيدة مريم بولدها المسيح عليه السلام دون زواج وجماع؟! والحال لا تستطيع الخلية الجنسية الأنثوية توليد حياة بمفردها؟! الجواب: نود أن نُذكِّر بعدم كلية الأصل المذكور قبل الخوض فى موضوع حمل السيدة مريم؛ لأنّ الحياة إنّما تتولد من لقاح خليتين جنسيتين، وربّما تتعذر بالإكتفاء بخليّة واحدة، إلّاأنّ التجربة أشارت إلى وجود محركات أخرى غير الأسبرماتوزوئيد تستطيع إزالة الاختلافات الفسلجية للبويضة وتسوقها إلى الإنقسام ووجود حالات الولادة البكر تدعم ذلك. فالعلماء يقولون إنّ بويضات بعض الكائنات لها القدرة على النمو دون القيام بعملية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۸ اللقاح، ويطلق على الأحياء التى تتكاثر بهذه الطريقة الأحياء الولودة البكر. ولعلنا نلمس نموذج ذلك فى بعض الأحياء مثل نجمة البحر ودودة القز. وملكة النحل لا تغشى الزنبور سوى مرّة واحدة طيلة عمرها فتتحول البويضات المركبة من خلية جنسية أنثوية إلى عاملات، أمّا البويضات التى لا تتركب من خلايا جنسية أنثوية فهى تخرج من الجهاز التناسلى للملكة دون عملية اللقاح وتواصل نموها وتتحول إلى زنابير ذكرية. أضف إلى ذلك فإنّ بعض الأحياء المجهرية كالميكروبات والبكتريا والفايروسات تتكاثر دون عملية لقاح. كما تتكاثر الأميبا عن طريق الإنشطار. وتوصل بعض العلماء إلى حقيقة قدرة بعض النساء على الحمل والإنجاب دون الجماع وصرحوا بأنّ بعض الغدد لدى المرأة يمكنها التكاثر والإنجاب دون الحاجة إلى عملية اللقاح. فيتضح ممّا مرّ أنّ بعض النساء البكر يمكنها الولادة دون لقاح وقد تحققت هذه القضية لدى البعض منهنّ وعلى هذا الأساس تتضح قضية حمل السيدة مريم عليها السلام دون عملية اللقاح. وقد صرح القرآن الكريم بشأن المراحل الابتدائية لحملها قائلًا: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِاهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ» «۱» ، وعليه لا- يستبعد أن تكون هنالك بعض العوامل المجهولة التى أثرت على الخلايا الجنسية للسيدة مريم كسائر المحركات فأوجبت الولادة والنمو. وبالطبع فإنّ الهدف من ولادة السيد المسيح عليه السلام أنّ اللّه خلق بشراً كمظهر لقدرته فكانت ولادته المجازية ليتمّ الحجّة على بنى اسرائيل الذين لم يستجيبوا للأنبياء الذين بعثوا من بعد موسى بن عمران عليه السلام. «۲» فاللّه الذى خلق مادة الحياة الأولى وأول خلية حية، واللّه الذى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۹ خلق أول بشر دون عملية لقاح، يستطيع وعلى أساس الهدف المذكور خلق نبى عظيم ورجل كامل لتكون ولادته الإعجازية دليلًا دامغاً على قومه المعاندين. بعبارة أخرى: نمو الخلية الأنثوية فى رحم الأُم إنّما يتمّ أحياناً لا دائماً عن طريق اللقاح، وهذه علة عادية ألفناها، لكننا لا نمتلك الدليل على امتناعها من طريق آخر. بل من الممكن أن تكون هنالك بعض العلل التى يمكنها تربية الخلية الأنثوية وتجعلها جاهزة للقيام بوظيفة الحياة، وإن كانت هذه العلل خافية علينا بفعل معلوماتنا الناقصة عن أسرار الحياة، فهى ليست بخافية على العليم الحكيم القادر سبحانه. اجوبة المسائل

الشرعية، ص: ۱۴۱

۱۹ هل نذرت أم مريم أن يكون ولدها راهباً؟!

سؤال: نعلم بحرمة الرهبانية الدائمة- ولاسيما على عهد مريم (أم عيسى)- فلماذا نذرت ذلك امرأة عمران حين كانت حاملًا (أم مريم) إن رزقها اللَّه ولداً؟ الجواب: إنّ أُم مريم لم تنذر مثل ذلك أبداً، بل نذرت إن وهبها اللَّه ولداً أن تجعله خادماً لبيت المقدّس لا راهباً، فتحرره من خدمة الأب والأم ليتفرغ لخدمة المسجد. وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ مَا فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ» «۱». یقول المفسرون إنّ المراد من کلمة «محرراً "»خادم المعبد، وسبب اطلاق المحرر علی خادم الأماکن المقدّسة، أنّه معفو من القیام بسائر الخدمات الاجتماعیة والقیام علی شؤون الأب والأُم. وعلیه فالنذر کان خدمته، ولم ترد فیه أیّة إشارة إلی الرهبانیة، فالرهبانیة بمعنی هجران الدنیا والرغبة عن الزواج وهی خلاف قانون الخلقة، ومحظور فی الشرائع کافّة. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۴۳

۲۰ شق القمر

سؤال: یقال: إنّ إحدی معجزات النبی الأکرم صلی الله علیه و آله شقّ القمر، فهل هذا صحیح؟ الجواب: لابدّ من تسلیط الضوء علی جوانب هذه القضیة کافّة بغیة إیضاحها: ۱- هل یمکن أن ینشق القمر وهو بهذا الحجم الهائل ثم یعود إلی حالته الأولی؟ ۲- إن کان ذلک ممکناً، فهل لدینا من دلیل قاطع علی وقوع هذا الأمر علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کاحدی معجزاته؟ ۳- إن کان هنالک من دلیل علی وقوع المعجزة فما تفاصیلها؟ المبحث الأول: یکفینا للتعرف علی إمکانیة انشقاق القمر من وجهة نظر العلم المعاصر أن نشیر إلی بعض الانفجارات والانشقاقات التی تشهدها المنظومة الشمسیة. أ) الاستروئیدات أحجار کبیرة تدور حول المنظومة الشمسیة، ویعبر عنها أحیاناً اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۴۴ بکرات صغیرة تشبه السیارات، وقد یبلغ قطر بعضها ۲۵ کیلومتراً. ویعتقد العلماء أنّ هذه القطعات بقایا سیارة کبیرة کانت تتحرک ضمن مدار بین المریخ والمشتری، ثم انشقت أثر بعض العوامل المجهولة، وهذا نموذج من الانشقاق فی الأجرام السماویة. ب) الشهب قطعات صغیرة تائهة تدور بسرعة فائقة فی مدارات خاصة حول الشمس، وأحیاناً تتقاطع مع مدار الکرة الأرضیة فتنجذب نحو الأرض. ویقول العلماء إنّها بقایا مذنبات انفجرت إثر بعض العوامل المجهولة، وهذه أیضاً نموذج آخر للانشقاق الحاصل فی الأجرام السماویة. ج) علی ضوء نظریة (لابلاس) وأغلب علماء الفلک فإنّ ظهور المنظومة الشمسیة کان نتیجة لوقوع انشقاق عظیم حدث فی الشمس، فقد کانت کل هذه السیارات التی کان مرکزها الشمس کتلة واحدة بادئ الأمر، ثم انفصلت کل واحدة بالتدرج؛ إلّاأنّ هناک خلافاً بین علماء الفلک بشأن العوامل التی أدّت إلی الانفصال والانشقاق، ولکن أقرّ جمیع العلماء بإمکانیة حصول الانشقاق فی کرات المنظومة الشمسیة. ونستنتج ممّا سبق أنّ: أصل وقوع الإنشقاق فی الکرات السماویة ممکن، والعلم لا- ینکر ذلک، بل وضع قواعد الهیئة الجدیدة علی هذا الأساس. ومن البدیهی أنّ حصول هذا الأمر فی ای من الکرات یتطلب قوة هائلة تبدو معروفة علی ضوء بعض الفرضیات فی بعض الموارد ومجهولة فی البعض الآخر. ومن المسلم به فی شق القمر أنّه کانت هنالک عوامل خفیة استطاعات إیجاد ذلک التأثیر، وبالنظر إلی أنّ کل من تطرق إلی شق القمر یدعی باستناد النبی إلی القوی التی تفوق العادة فإنّ أحد لم یزعم أنّ النبی قام بذلک العمل بهذه القوة البشریة العادیة. ویبقی هنا موضوع واحد هو التئام أجزاء القمر بعد الانشقاق. ولحل هذه القضیة یکفی أن نعلم أنّ الإنشقاق لم یکن شدیداً وعظیماً لأننا نعلم حسب (قانون نیوتن) بوجود قوّة التجاذب بین أی جسمین، وأنّ هذه الجاذبیة تتناسب طردیاً مع حاصل ضرب الکتلتین ومربع المسافة بینهما، فکلما کانت المسافة قصیرة إزدادت الجاذبیة وعلیه اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۴۵ فإنّ هذه الأجزاء تنجذب إلی بعضها کلما قربت المسافة بینها «۱». هذا من وجهة نظر الهیئة الجدیدة؛ أمّا من وجهة نظر الهیئة القدیمة وامتناع الخرق

والإلتئام فى الأجرام الفلكيـة التسـعة فلاحاجـة لبحثها بعد أن فند العلم الحديث تلك النظرية. ونسـتنتج ممّا سـبق أنّه ليست هنالك من استحالة يذكرها العلم بشأن حادثة شق القمر. المبحث الثانى: إنّ أول دليل على وقوع معجزة شق القمر، الآية القرآنية الشريفة: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ* وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ» «۲». وقد قال مفسّرو الفريقين إنّ الآيات المذكورة واردة بشأن قضـية شق القمر وهى المعجزة التى حدثت على عهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ومن تلك التفاسير الشيعية: تفسير البيان، ومجمع البيان، وأبو الفتوح الرازى، ومنهج الصادقين، والصافى، والبرهان، ونور الثقلين، وشبّر، ومن التفاسير العامـة: تفسير الطبرى، والـدر المنثور، والفخر الرازى، والبيضاوى، والكشاف، وفى ظلال القرآن. وصـرح المرحوم الطبرسـى صـاحب مجمع البيـان فى ذيل الآيات المـذكورة أنّ المفسـرين كافّـة يعتقـدون بأنّ الآيات واردة فى معجزة شق القمر على عهـد النبى صلى الله عليه و آله. كما قال الفخر الرازى إنّ جميع المفسـرين يؤمنون بأنّ آية شق القمر وقعت على عهد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله. أضف إلى ذلك فقـد وردت أكثر من ۴۰ روايـة فى مصادر الفريقين بشأن شق القمر. وبناءً على هـذا فليس هنالك من شك فى نزول الآيـات المـذكورة بشـأن وقـوع معجزة «شق القمر». اجوبـة المسائـل الشـرعية، ص: ۱۴۶ المبحث الثـالث: مـا يسـتفاد من الآيات المذكورة والروايات أنّ المعجزة وقعت على عهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إثر طلب المشركين؛ أى أنّ القمر انشق بقوّة خارقة «قـدرة اللَّه» وعـاد ثانيـة إلى حـالته السابقـة. أمّا خصوصـيات تلك الواقعـة التى وردت فى بعض الكتب والتى يحتمل صـحتها، تتطلب أبحاثاً مسـهبة، نتحفظ عن الخوض فيها لعدم ضـرورة معرفة تلك الخصوصـيات. ولابدّ أن نذكر فى الختام أنّ هذه الواقعة وعلى غرار نظيراتهـا لم تكن بمـأمن عن أيـدى المحرفين والوضاعين، فأغرقوها بمختلف الخرافات، ومنها مثلًا أنّ نصف القمر هبط ودخل فى كم النبى وخرج من طرفه الأخر. ولم ترد هـذه الأمور فى أى من المصادر المعتبرة للفريقين. ونحاول الآن الرد على الشـبهة التى وردت فى السؤال: لو كان شق القمر حقيقـة لانبغى ذكره فى التواريـخ العالميـة، والحال ليس له من ذكر فى هذه التواريخ. ولكى يتضح الجواب عن هـذا السؤال، لابـدّ من الإلتفات إلى الأمور التاليـة: أولًا: لابـدّ من الإلتفات إلى تعـذر رؤية القمر فى نقاط الكرة الأرضـية كافّة، بل يمكن رؤيته من قبـل نصف الكرة الأرضـية. ثانيـاً: أنّ أغلب النـاس فى هـذا النصف إنّمـا يغفلون عن الحوادث التى تشـهدها الأجرام السـماوية، سيما أنّهم ينامون بعد منتصف الليل. وعليه فسوف لن يشهد الحادثة أكثر من ربع العالم. ثالثاً: ما الضير فى أن تكون السماء ملبـدة بـالغيوم فى مختلف نقـاط العالم حين وقوع تلك الحادثـة. رابعاً: أنّ الحوادث السـماوية التى تجلب انتباه الأفراد حين تكون من قبيـل الصاعقـة المصـحوبة بالرعـد أو الخسوف والكسوف اللـذين يرافقهمـا قلّة الضوء ولمـدّة طويلـة نسبياً. وقلما تلفت تلك الحادثة المفاجئـة والعـابرة والتى لم يرافقهـا بعض الآثـار انتبـاه الأفراد، فهل هنالك من دافع لتأمل السـماء فى الليالى الاعتياديـة التى يطلع فيها القمر ويغيب؟ خامساً: كانت وسائل النشـر والتـدوين التاريخى آنـذاك محدودة جدّاً ولم تكن كما هى اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۴۷ عليه اليوم بحيث تنتشـر حادثة كهذه كسـرعة البرق. سادساً: لا يبدو التاريخ القديم واضـحاً فى أغلب معالمه، بل هو مليئ بالنقاط الغامضـة والمبهمـة، فمثلًا (زرادشت) أحـد الشخصـيات التاريخية المعروفة والذى امتد نفوذه إلى مناطق شاسـعة آنذاک، لكن مازالت تفاصـيل ولادته ووفاته وموضع ولادته وسائر خصائص حياته مجهولة إلى اليوم، بل ينكر البعض حتى وجوده. فإن كانت تلك البلدان القريبـة العهـد غافلة إلى هذه الدرجة عن تدوين تاريخها، فما بالک بتدوين تلك الحادثة آنذاک من قبل البلدان الأوربية. أضف إلى ذلك لم تكن هناک من خطة للمؤرخين فى تدوين الأحداث كافّة، لأننا نقطع بأنّ تاريخ البشرية شهد وقوع مئات الزلازل والعواصف الكاسـحة التى دمرت العديد من المناطق، بينما لم يفرد لها التاريخ سـطوراً فى صـفحاته ولو عدنا لتفسـير الطبرى لرأينا ۳۰ رواية بشأن معجزة شق القمر، إلّاأنّ صاحب هـذا التفسـير الذى دون تاريخه المعروف بتاريخ الطبرى لم يتطرق إلى هذه الحادثة. وعلى هذا الضوء فإنّ عـدم ذكر هـذه الحادثـة فى التواريخ لا يبدو مسـتغرباً، كما لا يعتبر دليلًا على عدم وقوعها. جدير بالذكر فقد أفاد بعض المحققين أنّ هذه الحادثة وردت فى بعض التواريخ، على سبيل المثال جاء فى كتاب «تاريخ الملائكة» فى المقالة الحادية عشرة أنّ أهالى منطقة ميلبار الهنديـة شـهدوا واقعة شق القمر على عهد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله وذكروا فى كتبهم أنّ حاكم تلك المنطقة ثبت له بعد

التحقيقات التى أجريت بهذا الشأن أنّ الموضوع المذكور كان أحد معاجز نبى الإسلام صلى الله عليه و آله؛ وعليه فلا يمكن القول إنّ الحادثة لم تذكر فى التاريخ. كان ما سبق خلاصة البحث بشأن مسألة شق القمر التى يمكن إثارتها بهذا الخصوص «۱».

القسم الثالث أوصياء النبى صلى الله عليه و آله

۱ كيف التفت على عليه السلام فى صلاته للسائل؟

سؤال: ورد فى سيرة أمير المؤمنين على عليه السلام أنّه لم يلتفت فى صلاته لسهم سل من رجله من شدة الخشوع و التوجه الى اللَّه، لكننا نسمع أنّه كان واقفاً للصلاة وقد التفت إلى سؤال فقير فتصدق بخاتمه؛ فكيف الجمع بين الحالتين؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى الفارق الكبير بين «سل السهم من الرجل» و «التصدق بالخاتم على الفقير»؛ لأنّ سل السهم من الرجل له بعد شخصى ومادى صرف وبعيد عن التوجه التام للَّه والاستغراق فى ذاته. أمّا الإلتفات إلى الفقير المحروم فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله والذى كان يسترحم ويستغيث، إنّما كان عملًا ربانياً وتقربياً وينسجم مع التوجه للَّه. فالواقع أنّه لم يكن متوجها لنفسه؛ لأنّ التوجه إلى الفقير، توجه للَّهلا ـ للنفس. بعبارة أخرى أنّ إغاثة عباد اللَّه وإعانة الفقراء والضعفاء يعدّ من العبادات الكبرى وهومن سنخ الصلاة تلك الشعيرة العظمى؛ وعليه فليس من العجيب أن ينفذ ذلك الفقير بصرخاته الموجعة إلى قلب على عليه السلام أثناء الصلاة، لينهمك تلك العبادة بأخرى تهدف إلى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۲ رضى اللَّه، وقد كان على درجة من الاخلاص بحيث نزلت فيه آية بحق على عليه السلام «۱».

۲ هل نزلت هذه الآية بحق على عليه السلام؟

سؤال: يعتقد علماء الشيعة وأغلب علماء العامة أنّ الآية الشريفة: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ...» «۱» نزلت يوم الغدير، فى حين يتحدث صدر و عجز الآية عن بيان أحكام الحلال والحرام؛ فكيف ينسب مطلب خلال الآية لقضية ليس لها أدنى ارتباط بصدرها وعجزها؟ الجواب: لقد أذعن أغلب رواة الحديث والسير والتاريخ، مثل: الطبرى وابن مردويه وأبى نعيم الأصفهانى والخطيب البغدادى وأبى سعيد السجستانى وأبى الحسن المغازلى وأبى القاسم الحاكم الحسكانى وابن عساكر الدمشقى والخطيب الخوارزمى وابن الجوزى وشيخ الإسلام الحموينى وابن كثير الشامى و ... بنزول الآية فى يوم «الغدير» وهم من الرواة والمؤرخين المعتبرين لدى العامة؛ فإن أضفنا هذه الروايات إلى الأخبار الواردة عن أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله يصبح نزول الآية فى الغدير قطعياً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۴ أمّا مسألة ترتيب الآيات الذى خلق العديد من المشاكل للمفسّرين فى مباحثهم فلا يبدو على درجة من الغرابة؛ ذلك لأنّ ترتيب نزول السور والآيات القرآنية يختلف تماماً مع ترتيبها الفعلى؛ مثلًا، السور التى نزلت فى المدينة والتى ينبغى أن تعقب السور المكية والعكس بالعكس، بينما القضية ليست كذلك حتى أنّ بعض الآيات فى السورة نزلت فى مكة وبعضها الآخر فى المدينة، وربّما كانت هنالك فاصلة زمانية تمتد لسنوات خلال نزول آيتين من السورة. ولو تأملنا سبب نزول الآيات أو التفتنا على الاقل إلى ما كتب اعلى السور القرآنية لاستغنينا عن أى ايضاح؛ فهنالك بعض السور التى يصطلح عليها بالسور المدنية، فى حين نزلت بعض آياتها فى «مكة»، كسورة الأنفال المدنية بجميع آياتها سوى الآيات من ۲۰ إلى ۲۶ نزلت فى مكة، والعكس كثير أيضاً كسورة الشعراء والكهف وأمثالهما. وعليه فترتيب الآيات وإرتباطها مع بعضها لا يعدّ بالنسبة لنا سنداً محكماً إزاء الروايات والأحاديث القطعية. وهذا هو نهج الأعلام فى تفسير القرآن، وتؤيده شواهد كثيرة. فالقرآن ليس على غرار التأليف البشرى بحيث يخوض فى موضوع ويتابعه إلى آخره، بل القرآن مجموعة من الآيات التى نزلت من اللَّه بالتدريج وحسب الأحداث المتنوعة ولتحقيق أهداف مختلفة، فلربّما تضمّ السورة مواضيع مختلفة ومقاصد متعددة، ومن هنا لا يمكن جعل ما

قبل الآية وما بعدها دليلًا على موضوع معين، كما يمكن أن تكون جميع آيات السورة كسلسلة متصلة الحلقات، بينما لا تكون كذلك أحياناً، وعلى هذا الأساس فإنّ المشكلة تبدو محلولة، فأغلب الآيات وسط السورة قد لا تبدو مناسبة مع بدايتها ونهايتها. «۱» وإن سعى بعض المفسرين لإيجاد حالة من التناسب والإرتباط، ولعل الأمر لا يخلو من تكلّف، لأنّ جميع آيات السورة- على فرض نزولها في مكة أو المدينة- لم تنزل دفعة واحدة، بل نزلت على ضوء بعض المقتضيات، ولربّما كان لكل آية سبب نزول. وعليه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۵ فليس هنالك من مبرر لأن ترتبط جميع آيات السورة مع بعضها لتبدو كسلسلة متصلة. ولعل هناك من يقول: ما ذكر لحد الآن يختص بإرتباط السور والآيات مع بعضها البعض، إلّاأنّ الآية تتضمن خصوصية لا يمكن حلّها من خلال الشرح السابق وهي: إنّ الشرح المذكور أثبت عدم ضرورة إرتباط آيات سورة معينة، ولكن لا يثبت عدم ترابط عبارات الآية الواحدة. والآية التي نبحثها من هذا القبيل، فإن كانت العبارة «اليوم اكملت لكم» نزلت في ولاية علي عليه السلام، فارتباطها مقطوع بصدر الآية وعجزها الوارد في بيان أحكام الحلال والحرام، وعلى هذا الأساس لا يبدو التوضيح السابق كافياً لرفع الإشكال. ولتوضيح الجواب نرى ضرورة ذكر هذه الآية (بدايتها ووسطها ونهايتها): ۱- (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ ...» «۱». ۲- «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ...» «۲». ۳- «فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» «۳». ومرادنا من الإتيان بالآيات الثلاث أنّ القسم الثاني- سواء كانت الآية نازلة في علي عليه السلام أم في موضوع آخر، وسواء نزلت يوم الغدير أو عرفة- كلام مستقل وسط الآية. وإليك بعض القرائن التي تؤيد هذا المطلب: ۱- لو رفع القسم الثاني من هذه الأقسام الثلاثة، فسوف لن يكون له أي تأثير على إرتباط القسم الأول بالثالث. والخلاصة بضم ذيل الآية إلى صدرها تكون هنالك آية كاملة برفع الآية الثانية فليس هنالك من مساس بارتباط الآية، وهذه شهادة أنّ القسم المذكور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۶ كلام مستقل ومنفصل (بغض النظر عن الموضوع النازل فيه) وسط الآية. ۲- تكرر مضمون هذه الآية في سورة البقرة والأنعام والنحل، ولم يرد القسم الثاني في هذه الآية في السور المذكورة. ونورد هنا بعض النماذج: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» «۱» . وتشتمل هذه الآية على أكثر ما ذكر في القسم الأول والثالث من الآية المذكورة للبحث، ولكن لم يرد شيء عن القسم الثاني وهذا القسم مستقل ليس له من علاقة بما قبله وبعده. ۳- الروايات المتكفلة بسبب نزول الآيات بينت انفصال القسم الثاني عن صدر الآية وذيلها، فقالت مثلًا: «اليوم يئس ...» نزلت يوم الغدير أو عرفة وهذا دليل على استقلاليتها. وعلى هذا الأساس فإن صرحت الروايات الصحيحة عن الفريقين بأنّ هذه الآية نزلت يوم الغدير بشأن ولاية علي عليه السلام فإنّ صدر وذيل الآية لا يمكنه صدنا عن الاعتقاد بمضمون الأحاديث؛ لأنّ هذا القسم كلام مستقل وارد في موضوع ليس له من إرتباط بما قبله وبعده. ۴- إنّ تدبر مضمون الآية يرشدنا إلى أنّه لا يصدق سوى على الولاية ولا يحفظ إرتباط عبارات القسم الثاني إلّافي حالة اعتبارنا أنّ سبب نزولها هو الإمامة. فالقسم الثاني للآية يتضمّن مطلبين وهما: أنّه خلال يوم معين يئس الكفّار من التغلب على المسلمين، كما كمل فيه دين اللّه، والآن لابدّ من ملاحظة ماكان ذلك اليوم الذي شهد وقوع حادثين؟ ونورد هنا ما قيل في ذلك اليوم أو ما يساور الذهن بشأنه: أ) يوم البعثة: قطعاً لم يقع الحادثان في هذا اليوم؛ ذلك لأنّ الكفّار لم ييأسوا آنذاك، كما لم يكتمل الدين فضلًا عن بيان أحكامه. ب) يوم فتح مكة: هذا الاحتمال كسابقه، لأنّ فتح مكة كان في السنة الرابعة للهجرة، والحال كانت أغلب العهود التي عقدها المسلمون مع الكفّار قائمة، وكان الكفّار يقيمون مراسمهم الجاهلية في الحج، وعليه لم يكن اليأس مستولياً على الكفّار، كما لم يكمل الدين اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۷ آنذاك، ولدينا بعض الأحكام التي بينت بعد فتح مكة. ج) يوم البراءة: اليوم الذي تلي فيه علي عليه السلام سورة براءة على المشركين، ورغم يأس المشركين في شبه الجزيرة عن تحقيق أي نصر، إلّاأنّ بيان الأحكام لم يكتمل في ذلك اليوم؛ فبعض الأحكام كالحدود والقصاص نزلت لاحقاً في هذه السورة- المائدة- وعلينا أن نعرض يوماً وقعت فيه الحادثتان. د) يوم

عرفة: هذا ما اختاره أغلب مفسّرى العامة واستدلوا عليه ببعض الروايات؛ إلّا أننا نعتقد أنّ ذلك اليوم هو الآخر لم يستوعب الحادثتين، حيث لابدّ أن نرى هوية الكفّار الذين يئسوا من غلبة المسلمين، فإن كان المراد كفّار قريش أو عامة كفّار شبه الجزيرة، فمما لا شك فيه أنّ يأسهم كان فى يوم آخر؛ ذلك لأنّ قريش يئست يوم فتح مكة وسائر الكفّار بعد قراءة سورة براءة، لا فى يوم عرفة، وإن كان المراد الكفّار على الأرض كافّة- سواء فى الجزيرة العربية أو غيرها- فالحق لم يشعر أحد بهذا اليأس الشامل حتى الدقائق الأخيرة من عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. وبغض النظر عن ذلك، ما المراد من تكميل الدين؟ هل المقصود تعليم أحكام الحج؟ فمن الواضح أنّ الدين لا يكتمل بتعليم واجبات عمل معين. أم أنّ المراد بيان الحلال والحرام المبين فى هذه السورة (المائدة)؟ والحال تعرّف المسلمون على ضوء أقوال العامة على أغلب الأحكام كارث الكلالة والربا بعد يوم عرفة. وعليه لابدّ من الإعتراف بأنّ المراد يأس معين مصحوب بإكمال الدين، وقد حصل هذان الموضوعان بنصب الوحى فقط، ذلك لأنّ أغلب الآيات القرآنية تشهد على أنّ الكفّار كانوا يطمعون على الدوام بدين المسلمين، وكان حلمهم الأخير صدهم عن دينهم وإعادتهم إلى دين أبائهم «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ...» «۱» وهنالك العديد من الآيات بهذا الخصوص. إلّاأنّ أتباع الدين كانوا فى ازدياد والكفّار فى تراجع، وكان أملهم الأخير السيطرة على مقدرات المسلمين حيث لا عقب لصاحب الرسالة؛ وعليه سينهار صرح الحكومة الإسلامية عقب وفاته وتعود لهم العزة و الغلبة كما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۸ كانوا فى السابق. وقد صور القرآن هذه الحقيقة نقلًا عن المشركين إذ قال: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» «۱» . كانت هذه الأطروحة الأخيرة التى تحقق أمانى الكفّار، ولكن كان اليوم الذى نصب فيه وصيه من بعده قد ملأ أركان الكفر باليأس وخيبة الأمل، وإضافة إلى اليأس الذى خيم آنذاك على المشركين والكفّار فقد تجذر الإسلام واكتسب ديمومته وبقاءه، وهكذا أكمل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله دين اللّه من خلال ترسيخه لعوامل استقراره وبقائه- أى نصب الإمام- ومن هنا يتضح معنى القسم الثانى من الآيات وإرتباطها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۹

۳ هل انطلق على عليه السلام من المدينة إلى المدائن فى ليلة واحدة؟

سؤال: ورد فى بعض الأخبار أنّ أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام انطلق خلال ليلة واحدة بطى الأرض من المدينة إلى المدائن حين وفاة سلمان الفارسى رحمه الله فغسله ودفنه، وعاد صباحاً إلى المدينة، فهل يمكن هذا مع أنّ المسافة بين المدينة والمدائن أكثر من مئة فرسخ؟ الجواب: نعلم أنّ سرعة حركة الأجسام ليست متساوية فسرعة الفرس أقل من سرعة السيارة والقطار، وسرعة السيارة لا يمكن مقارنتها بسرعة الطائرة، وليس سرعة الطائرة بشىء إزاء سرعة حركة الأرض حول الشمس (الحركة الانتقالية) التى تبلغ ثلاثين كيلومتراً بالثانية؛ وبالتالى ليس هنالك من نسبة لمقارنة سرعة الأرض بسرعة الضوء البالغة ثلاثمئة ألف كيلومتر بالثانية. طبعاً قبيل اختراع السيارة والقطار والطائرة كان الناس لا يؤمنون بسرعة تبلغ عشرات أو مئات الفراسخ فى الساعة، ومن الواضح أنّ هذا المحال عادى لا عقلى، ومن الممكن أن يخترع فى المستقبل جهاز تبلغ سرعته سرعة حركة الأرض حول الشمس أو حركة الألكترون حول النواة المركزية للذرة أو أكبر من ذلك. وحين اتضح أنّ هذا المحال اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۰ ليس عقلياً، فمن المسلم به أنّ اللّه قادر بلطفه وعنايته على أن يحمل شخصاً خلال ليلة من المدينة إلى المدائن ويعيده ثانية، بل إننا لنؤمن حسب المصادر الدينية المعتبرة فى المعراج الجسمانى لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، ونقر بذلك على قدرة اللّه المطلقة الغنية عن الحدود. وإننا لنؤمن بالكثير من المطالب التى ذكرها القرآن على أساس هذه القدرة؛ فمثلًا قبل أن تصل بلقيس ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام، أراد سليمان عليه السلام أن يريها معجزة ليشدّ قلبها إلى اللّه، فقال لمن حوله «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى» «۱». وبالطبع لا يمكن التعامل مع المعجزات

والكرامـات من خلال المعـايير الماديـة والإمكانات البشـرية المحـدودة؛ فالإعجاز أمر خارق للعادة وينطلق عن قـدرة اللّه اللامتناهيـة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۱

۴ هل هبط نجم على سطح دار على عليه السلام؟

سؤال: لقد سـمعنا مراراً أنّ الرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله أخبر أنّ نجماً سـيهبط فى ليلة معينة فمن حط على سطح داره فهو زوج ابنته الزهراء عليهـا السـلام، وأنّ ذلـك النجم هبط فى تلك الليلـة على سـطح دار على عليه السـلام، بينما نعلم أنّ النجوم تكبر الأرض بكثير، فما المراد من هذه الرواية؟ الجواب: على فرض صـحة الرواية، ربّما يكون المراد هبوط شهاب صغير لا نجم وكرة سماوية، لأننا نعلم بعدم إمكانية ذلك.

۵ ما فلسفة صلح الإمام الحسن عليه السلام وقتال الإمام الحسين عليه السلام؟

سؤال: إنّ الأئمّة عليهم السـلام و اولياء الدين أوصونا بالدفاع عن حقّنا قدر المسـتطاع وأن لا نرضخ للظلم ونواصل حياتنا بكرامة، فقد قال الإمام الحسـين عليه السـلام: «إنّ الدعى ابن الدعى ركز فينا بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منّا الذلة». ومن الواضح أنّ مراده من كلمـة «منّا» نهـج أهل بيت العصـمة والطهارة. فكيف صبر أخوه الحسن عليه السـلام على ممارسات معاويـة الذى لا يقل فساداً عن يزيد؟ الجواب: للوقوف على نهضة الإمام الحسـين عليه السـلام وصلح أخيه الإمام الحسن عليه السلام لابدّ من تأمل الجوانب التاريخية كافّة وأوضاع وظروف زمانيهما، لتتضـح أسـرار ذلك «الصـلح» وتلك «النهضـة». صـحيح أنّ معاويـة لم يكن أحسن من يزيـد، إلّاأنّ التاريـخ يشـهد بأنّ معاويـة كان مخادعاً ومراوغاً، وكان يسـعى للتغطيـة على أفعاله وتضـليل العوام. ولعل أحد نماذج ذلك منعه تلك الهزيمـة المنكرة فى صـفين حين حملوا المصاحف على الرماح؛ أمّا خليفته الطائش والساذج- يزيـد- فقـد كان يفتقر إلى كيفية إدارة شؤون الأمّـة، فضـلًا عن عدم إيمانه اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۶۴ بمبادئ الإسـلام، فلم يراع حتى ذلك الحـد الأدنى الـذى كان يراعيه معاويـة. فقـد كـان ينتهك أحكام الـدين علانيـة ولا يأبه بالمقـدّسات ويمارس المنكرات بكل وقاحـة. وفى ظل هـذه الظروف تأهب عموم المسـلمين للقيام والإطاحـة بجهاز بنى أمية. وعلى هذا الضوء نهض الإمام الحسـين عليه السـلام ليفضح هذه السـلالة أمام الرأى العام وليطردها من أذهان المسـلمين، غير أنّ الأوضاع لم تكن كذلك على عهد معاوية. ولو كان الإمام الحسن عليه السـلام فى عصـر يزيد لنهض بالأمر، ولو كان الحسين عليه السلام على عهد معاوية لعقد الصلح كما يرى ذلك بعض العلماء. والدليل على ذلك أنّ الإمام الحسـين عليه السلام صبر على معاوية عشر سنوات بعد أخيه ولم يشهر سيفه عليه، لكنه ما أن سمع بوفاة معاوية وخلافة يزيد حتى بدأ نهضـته وأعلن قتاله منذ رفض مبايعته، ولم يسـتقر حتى ضحى بنفسه فى رمضاء كربلاء لإعلاء كلمة الدين والقضاء على بنى أمية. ويتضح ممّا سبق أنّ السـكوت إزاء حكومة معاوية الذى كان يراعى نسبياً الحدود الإسـلامية- وحفظاً لدماء المسـلمين- لم يكن من مصـاديق الذلـة. والموضوع المهم الآـخر والـذى ينبغى إضـافته إلى ما سـبق: أنّه طبق شواهـد التاريـخ فإن وضع السـياسة الخارجية للمسـلمين على عهـد معاويـة كـانت تقتضـى ذلـك الصـلح؛ ذلـك لأـنّ امبراطور رومـا الشـرقية كان يتابع عن كثب الإقتتال الـداخلى للمسـلمين ويعدّ العدة لاختراق حدود البلاد الإسـلامية ثأراً لهزائمه السابقة أن تجدد القتال بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، ولو حدث ذلك لكانت ضربة قاصمة توجه إلى الإسلام والمسلمين. حقاً أنّ تلك الظروف دفعت بالإمام المجتبى عليه السلام لعقد الصلح وإفشال مخططات الأعداء. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۵

۶ هل كان للإمام المجتبى عليه السلام عدّة زوجات

سؤال: لقـد نسب طائفـة من المؤرخين والمحدثين للإمام المجتبى عليه السـلام قضـية تعدد الزوجات، فذكروا أنّه كان كثير التزوج من

النساء فيتزوج الواحدة تلو الأخرى بعد طلاقها، فذهبوا على هذا الأساس إلى شهرته بين الناس بتعدد الزوجات، فهل من صحة لهذا الموضوع؟ الجواب: لما كانت دراسة الجوانب الشخصية لكل فرد تساعد على إدراك خصائص حياته وما يكتنفها من غموض، نرانا مطالبين بتسليط الضوء قبل كل شيء على الجوانب الخلقية للإمام الحسن المجتبى عليه السلام- ولو على سبيل الاختصار- لنميط اللثام عن واقع الإمام بغية ايضاح الموضوع- لقد ترعرع هذا الإمام فى أطهر وأسمى أسرة ليتربى فى أحضان الزهراء البتول عليها السلام وأمير المؤمنين على عليه السلام. فكانت له بعض الخصائص الفريدة والخصال السامية. وكان وليّاً ربانياً يستغل إمكاناته كافّة لاعانة الضعفاء والفقراء ونيل رضى اللّه. حج بيت اللّه خمساً وعشرين مرّة ماشياً رغم ما كان له من راحلة ليعيش أدب الخشوع والتواضع للّه. «۱» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۶ وكان أعبد أهل زمانه، كما كان يتغير لونه إن ذكر اللّه أو يوم القيامة وما بعد الموت. وكان يرتجف كالسعفة حين يقف بين يدى اللّه ويناجى اللّه بما يكشف عن عمق خشيته وحبّه للّه الذى لا يغيب عنه أبداً «۱». هذا غيض من فيض سمو الإمام المجتبى عليه السلام والذى وردت تفاصيله فى كتب السيرة وعلى ضوء ما تقدم فلا يبدو من الصحيح التسليم بأنّ هذا الإمام الذى يتصف بكل هذه الخصال ويعيش تلك العبودية المحضة أن يشهد ذلك الإقبال على الزواج الذى يفوق الحد المعقول كما ذكر بعض المؤرخين. أبناء الإمام الحسن عليه السلام: يلزم من الزعم المذكور أن يكون للإمام العديد من الأولاد، ولم يكن الأمر كذلك، ولعل العدد الاعظم الذى ذكره المؤرخون بلغ الثلاثة والعشرين «۲». فقال اليعقوبى و كان للحسن من الولد ۸ ذكور «۳». وابن شهر آشوب «۱۳» «۴». وابن خشاب «۱۱» «۵». والطبرسى «۱۶» «۶». وبينما ذكر المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله المعروف بدقّته فى هذه الأبحاث أنّ أبناء الإمام من البنين والبنات هم «۱۵» «۷». وقال بذلك صاحب كتاب العدد نقلًا عن المرحوم العلامة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۷ المجلسى والذى يقول بتعدد زوجات الإمام عليه السلام «۱». وعليه فإنّ أكبر عدد ذكره المؤرخون لأولاد الإمام عليه السلام هو «۲۳». وهذا يدل على أن لا أساس لموضوع تعدد الزوجات المنسوب للإمام فى بعض الكتب- ولعلنا نرى بعض الأفراد ممن لهم العديد من الأولاد- دون تعدد زوجاتهم- واحتمال تعدد زوجات الإمام عليه السلام لكنهنّ عقيمات ضعيف، ولا قيمة لمثل هذه الاحتمالات فى مناقشة القضايا التاريخية. وعلى ضوء هذا العدد المذكور من الأولاد، أفلا تبدو قضية نسب مئات الزوجات للإمام عليه السلام تهمة كاذبة؟ ثم ألا تدعونا هذه الوثائق التاريخية إلى الاعتقاد بأنّ هذه الأخبار من وضع عناصر بنى أمية ممن لهم تجربة بهذا الخصوص؟ ومن هنا ينبغى علينا التحفظ فى ترويج هذه الأخبار التى تخدم أعداء أهل البيت عليهم السلام. وإضافة إلى عدم إقرار المؤرخين بتعدد زوجات الإمام عليه السلام، فليس هنالك مَن احصى أسماءهن، بينما اكتفوا بذكر طائفة محدودة، وسنشير هنا إلى كيفية زواج الإمام عليه السلام منهن. ولعل المضحك ما نسبه بعض المحدثين للإمام عليه السلام أنّه تزوج من عشرات النساء، وذكروا أنّهنّ سرن حفاة خلف جنازة الإمام عليه السلام بعد شهادته «۲». وبالطبع فإنّ خواء هذا الزعم يبدو واضحاً من خلال نظرة الإسلام لكشف المرأة عن قدمها وسط الأجانب. فلو حدث ذلك فى أجواء المدينة لتذرع به فقهاء العامة الذين يتربصون الدوائر بأهل البيت عليهم السلام. أضف إلى ذلك فإنّ عصمة الزوجية تنقطع بالطلاق، فكيف تشترك هؤلاء النسوة فى تشييع جنازة الإمام عليه السلام وقد طلقهنّ قبل وفاته؟ أفلا يدلنا هذا الأمر على أنّ تعدد زوجات الإمام عليه السلام من هذا القبيل من الأخبار؟ حل المسألة: لو افترضنا حقيقة ما نسب للإمام عليه السلام من تعدد الزوجات، فلابدّ أن نقول بأنّ مسلمى ذلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۸ العصر كانوا يشعرون بالفخر والإعتزاز من مصاهرة نبى الإسلام، ومن هنا كانوا يتبركون بتزويج بناتهم من سبطه فيكتفون بالعقود الشرعية، وعليه فهؤلاء النساء كن يفتخرن بعقدهن على الإمام عليه السلام لغرض تحقيق الهدف المذكور. والاحتمال السائد أيضاً أنّ عدد من الزوجات اللاتى نسبن إلى الإمام عليه السلام كن من النساء اللاتى لا مأوى لهن وقد كفلهن الإمام عليه السلام فتزوج بهنّ ظاهرياً بغية تفادى استحقار الآخرين لهنّ «۱». وأحد الشواهد على ذلك ما ذكره ابن الجوزى من أنّ عبداللّه بن عامر طلق زوجته، فلما انتهت عدتها تزوجها الإمام عليه السلام، وبعد مدّة أتاها لاسترداد أمانة كانت لديها، فقال له الإمام عليه السلام: لقد تزوجت مطلقتك حتى تزول خلال هذه المدّة ما بينكم من عداوة، ولك أن تتزوجها الآن «۲». اجوبة المسائل الشرعية،

ص: ۱۶۹

۷ لماذا نحارب الفساد؟

إنّ أحد شروط ظهور المهدى عليه السلام اتساع الفساد فى الأرض فلماذا نحارب الفساد؟ سؤال: ورد فى الأحاديث المتواترة «۱»: أنّ المهدى عليه السلام سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعد أن تمتلئ ظلماً وجوراً وفساداً. وعليه سيكون ظهور الإمام حين انتشار الفساد فى العالم، ومن هنا فلابدّ لنا من تمهيد السبيل لظهور الإمام عليه السلام وذلك من خلال الإسهام فى توسيع رقعة الفساد، وإلّا فإننا سنسهم فى تأخير انطلاقة نهضة ذلك المصلح الغائب! الجواب: أولًا: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ شرط ظهور الإمام عليه السلام لا يقتصر فقط على اتساع حجم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۰ الفساد فى صفوف المجتمع البشرى، بل يستحق المجتمع ظهور الإمام عليه السلام إن بلغ المرحلة المطلوبة من النضج الفكرى والسمو الروحى. وقد استفاضت كتب العقائد والمذاهب بالعوامل التى تحول دون الظهور والتى تتمثل فى الاستعدادات الفكرية والروحية ولو زالت هذه العوامل لزالت أسباب الغيبة ولظهر الإمام عليه السلام. وللفيلسوف العلّامة المرحوم نصير الدين الطوسى ثلاث عبارات بهذا الشأن فى كتابه «تجريد العقائد» نوردها مع توضيح مختصر: ۱- وجوده لطف فوجود الإمام المعصوم- ظاهراً كان أم غائباً- نعمة معنوية على المجتمع البشرى ووسيلة للتقريب من طاعة اللَّه وعبوديته؛ ذلك لأنّ الإمام هو الهادى إلى اللَّه، كما أنّه الواسطة فى وصول الفيض الإلهى، وهداية الإمام- وإن كان غائباً- للأفراد المستحقين متواصلة وإن لم يروه ويعرفوه. ۲- وتصرفه لطف آخر وإن ظهر الإمام عليه السلام وخاض فى الإرشاد والهداية وتسلم زمام الأمور فإنّ ذلك يعدّ نعمة أخرى وهنا لا تنتفع بوجوده طائفة فحسب، بل المجتمع البشرى كافّة الذى يتمتع بوجوده بصفته مظهر العدل والقسط ومطبق الأحكام الإسلامية. ۳- وعدم ظهوره بسببنا وإن لم يمارس دوره فى شؤون المجتمع وظلّ فى غيبته فذلك لبعض الموانع التى يزرعها الناس فى طريقه، والناس هم السبب فى سلب هذه النعمة، ولو استعد الناس للحكومة العالمية- القائمة على أساس الفضيلة والأخلاق والعدل والقسط ورعاية الحقوق والأحكام الشرعية- لظهر قطعاً، وليس هنالك من توقف للفيض الالهى، بل المجتمع هو الذى يؤخر الظهور والحكومة الحقة. «۱» وعليه فاتساع الفساد وسيادة الانحراف لا يعد شرطاً منحصراً لظهور الإمام، بحيث لا نفكر سوى فيه ونسعى لنشره، بل هنالك سبيل أقرب اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۱ يتمثل فى التحلى بالاستعداد والأهلية لدى المجتمع. وبعبارة أخرى هنالك شرطان للزعامة هما: ۱- وجود الزعيم. ۲- إستعداد المجتمع للتفاعل مع الزعيم. والحق لو تحقق الشرط الثانى من قبل المجتمع، لتكفل اللَّه بايجاد الشرط الأول. ثانياً: إنّ اتّساع الفساد فى صفوف المجتمع البشرى ليس الهدف الأصلى، بل هو عامل لظهور المهدى عليه السلام وإصلاح المجتمع؛ لأنّه حين يعم الظلم والجور الأرض ويعانى المجتمع من مختلف الانحرافات والمفاسد وتعصف به الخطوب والمحن ويعيش مختلف التجارب التى تفيد عجز الإنسان عن حل تلك المشاكل من خلال اعتماده على قوته وما يسنّه من قوانين تعجز عن إيصاله إلى العدل والاستقرار، آنذاك يعيش الاستعداد الفكرى التام للتفاعل مع مشروع الزعيم الربّانى الذى يشفيه من كل داء ويأخذ بيده إلى السعادة والفلاح. يبدو أنّه ليس هنالك من نهضة إصلاحية دون قاعدّة فكرية خصبة، وقانون «العرض والطلب» الاقتصادى سارى المفعول فى الجانب الاجتماعى، فما لم يكن لدى المجتمع طلب، لا- يبدو لأىعرض معنوى ومادى من ثمن. ولكن هل القاعدّة الفكرية والاستعداد الروحى يكفيان للنهضة الإصلاحية والعالمية التى تهدف تحقيق الحكومة العالمية على أساس العدل والقسط والقيم الأخلاقية ورعاية المقررات والأحكام الشرعية، أم أنّ هذه الأرضية الفكرية بحاجة إلى قاعدّة أخرى تحيل هذا التغيير الفكرى إلى انقلاب يزيل الموانع كافّة التى تعترض سبيل النهضة. ولا تؤيد ذلك التجارب فحسب، بل أغلب الروايات الواردة بشأن نهضة هذا المصلح العالمى تفيد صراحة أنّ ثورة آخر حجة للَّهبعد التاهب الفكرى، تتطلب قوة تزول فى ظلها الموانع كافّة التى تعترض سبيل النهضة، حتى صرحت بذلك الأحاديث التى تحدثت عن الأنصار والأصحاب وعددهم، واقتران نهضة الإمام بالقوة والقدرة التامة- ومن هنا يتوجب علينا تفعيل الشرط الثانى فى إعداد الأعوان والأنصار والجند

المضحين الذين يحملون أرواحهم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۲ على أكفّهم فى سبيل تحقيق الأهداف السماوية، ولا يتحقق هذا الهدف إلّامن خلال تظافر جهود جميع المصلحين، والتفانى من أجل رفد المجتمع بالأفراد الصالحين. ثالثاً: بغض النظر عمّا سبق، لابدّ أن نعين موقعنا من تلك النهضة. ومن الطبيعى أننا إن أسهمنا فى إفساد المجتمع، فسنكون من أولئك الذين ستحطمهم ثورة المهدى عليه السلام، وإن أسهمنا فى إصلاح المجتمع، فسنكون من جند الإمام عليه السلام. وعليه فلو سلّمنا بأنّ إشاعة الفساد ستمهد السبيل إلى ظهور الإمام، فالواقع أنّ ذلك الظهور سيشكل خطراً علينا. أوَليس نهضة الإمام تهدف إلى القضاء على الفساد والظلم؟ فكيف ننتفع بنهضته من خلال إشاعة الفساد؟ ونخلص ممّا سبق إلى أنّ الإسهام فى إشاعة الفساد أو السكوت عليه بغية ظهور المهدى عليه السلام لا- يبدو صحيحاً. ولعل هذه النظرة والمغالطة إنّما يسوقها أولئك الذين يسعون إلى الهروب من المسؤولية ومقارفة أنواع المفاسد. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۳

۸ هل يتنافى نشوب حرب عالمية ثالثة مع ظهور المصلح العالمى؟

سؤال: كثُر الجدل فى الأوساط العالمية بشأن مخاطر الحرب العالمية الثالثة، وأنّ هذه الحرب إن قامت فسوف لن تبقى كائناً حياً فى العالم، وغالباً ما يرد هذا الكلام على لسان زعامات بلدان الشرق والغرب. وانطلاقاً من الإيمان بالقدرة المطلقة للَّه، فهل يمكن لبعض الأفراد عديمى الإيمان أن يحيلوا الدنيا إلى تراب إرضاء لأحلامهم التوسعية، وهل يتنافى ذلك مع عقيدة المسلمين بصورة عامة والشيعة خاصة يتطلعون إلى عالمية الإسلام، ويرون أنّ المصلح الحقيقى – إمام العصر أرواحناه فداه– سيصلح هذا العالم الفاسد؟ الجواب: غالباً ما تنطوى التكهنات بشأن وقوع الحرب النووية على جانب الحدس والتخمين، وطالما كانت الأحداث السياسية خارجة عن نطاق القانون، فإنّه يتعذر التكهن قطعياً بهذا الأمر. والقدر المسلم به احتمالية وقوع الحرب العالمية الثالثة فى الظروفف الراهنة، كما لا- يستبعد أن تكون هذه الحرب نووية، إلّاأنّ أحداً لا يستطيع الزعم بأنّه يمكن تفادى هذه الحرب، كما لا يمكن الجزم بأنّ هذه الحرب ستكون نووية، ذلك أنّ اللَّه قد يعيد زعامات اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۴ البلدان إلى رشدهم، فيتأملوا الأحداث فيتورعوا عن كل ما من شانه تاجيج هذه الحرب، أو يحرمون على الأقل الاستفادة من الأسلحة الذرية. وعليه ليس هنالك من منافاة بين هذه التكهنات بشأن نشوب حرب عالمية ثالثة و عقيدة عامة المسلمين وبخاصة الشيعة على ضوء المصادر الدينية المعتبرة فى انتظار المصلح العالمى الذى ينهض بهذه المهمّة من جانب اللَّه فيرسى قواعد الحكومة العالمية ويملأ الأرض بالعدل بعد أن يجتث جذور الظلم؛ ذلك لأنّه حسب ما ذكرنا أنّ تلك التكهنات لا- تستند إلى أساس قطعى، وهى مجرّد احتمالات تفرزها الظروف السائدة، وكما أشرنا سابقاً فإنّه لا يستبعد أن تكون الاضطرابات والإرباكات القائمة بغية تأهب عالم البشرية للانفتاح على الحكومة الربّانية، ذلك لأنّ العالم المادى سيضطر للتفاعل مع الحكومة الربّانية بعد أن يلمس عجز المدارس المادية عن إصلاح المجتمع البشرى، فضلًا عن تفاقم الأوضاع تدريجياً، وإن تحدثنا من حين لآخر عن احتمال نشوب الحرب العالمية الثالثة، فعلى أساس احتمالية هذا الأمر إن تركت مقدرات الإنسان لهذه الأجواء المادية، ولعل هذا الاحتمال كاف لسوق الإنسان لإعادة النظر فى الطريق الذى يسلكه اليوم.

۹ هل تتنافى هذه الآية مع طول عمر إمام الزمان عليه السلام؟

سؤال: قال تعالى فى الآية ۶۸ من سورة يس: «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ» فكيف تنسجم هذه الآية مع طول عمر إمام العصر والزمان عليه السلام؟ الجواب: إنّ الآية المذكورة توضح حقيقة قانوناً إلهياً وقضية طبيعية؛ أى أنّ الإنسان بعد أن يبلغ مرحلة من مسيرته التكاملية، يعود شيئاً فشيئاً إلى فقدان قواه الواحدة بعد الأخرى والرجوع إلى يومه الأول فى العجز والضعف. ويمثل «منحنى الضعف والقدرة قانوناً عاماً لجميع الكائنات الحيّة والتى سيكون هذا مصيرها على أساس مسيرتها الطبيعية، إلّاأنّ قضية طول العمر–

رغم ثبوت إمكانها على ضوء القوانين العلمية- تنطوى على بعد استثنائى. بعبارة أخرى أنّ العمر الذى يناهز الألف سنة وأكثر للإنسان لا- يبدو محالًا طبقاً للقوانين العلمية، بدليل أنّ العلماء منهمكون ببعض المطالعات بشأن قضية إطالة عمر الإنسان ويبشروننا أنّهم سيوفقون يوماً لمضاعفة عمر الإنسان بالأساليب والطرق العلمية، وهذا بحدّ ذاته دليل على كون مسألة طول العمر ممكنة ومعقولة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۶ ولكن لا- يمكن التنكر إلى أنّ لطول العمر هذا بُعداً استثنائياً، ولم يوفق لها الإنسان لحد الآن من خلال الطرق الاعتيادية، وبناء على هذا فإنّ اللّه تعالى وهب أحد صفوته طول العمر لإصلاح المجتمع البشرى وسينهض ويجعل العالم واحة للعدل والقسط. ومن الواضح أنّ الآية المذكورة الواردة بشأن عامة الأفراد لا تشمل هذا الفرد الذى يتمتع بوضع استثنائى بعيد عن القضايا العادية. والخلاصة فإنّ اللّه الذى منح ذلك الفرد مثل هذا العمر وحفظه طيلة هذه المدّة، هو الذى يحول دون آثار طول العمر من ضعف وعجز وعودة إلى الوراء، وهذا لا يتنافى قط والآية المذكورة التى تتعامل مع الأفراد العاديين.

۱۰ ما المراد ب «الغيبة الصغرى» و «الغيبة الكبرى»؟

سؤال: إننا نسمع من الخطباء ونقرأ فى الكتب الدينية أنّ لإمام الزمان عليه السلام غيبتين صغرى وكبرى، فما المراد بهاتين الغيبتين؟ ولم سميت إحداهما بالصغرى والأخرى بالكبرى؟ الجواب: توفى الإمام الحادى عشر لدى الشيعة الحسن العسكرى عليه السلام سنة ۲۶۰ ه، فانتقلت الإمامة وزعامة الأُمّة بأمر اللّه تعالى إلى ولده الموعود عليه السلام. ولم يبلغ من العمر أكثر من ست سنوات حين توفى والده، وقد غاب بإذن اللّه لأنّ أعداء الإمام عزموا على قتله مهما كان الثمن. وكان باستطاعة خواص شيعته أن يطرحوا عليه أسئلتهم ويحصلون على أجوبتها من خلال سفرائه الأربعة، واستمر هذا الوضع حتى عام ۳۲۹ ه وانتهت السفارة بوفاة السفير الرابع، فأسندت مهمّة بيان الأحكام الشرعية وشؤون الأمّة كافّة إلى كبار الفقهاء بصفتهم نواب الإمام واختتمت النيابة الخاصة المحصورة فى فرد معين. وقد بدأت الغيبة الصغرى من عام ۲۶۰ ه- وهو العام الذى توفى فيه الإمام العسكرى عليه السلام- وانتهت عام ۳۲۹ ه- وهو العام الذى توفى فيه آخر سفرائه- فيصطلح على غيبته منذ ذلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۸ اليوم لحد الآن بالغيبة الكبرى، وعلة التسمية واضحة؛ لأنّ الشيعة فى الغيبة الأولى وإن حرموا من مشاهدة الإمام، إلّاأنّ خواص الإمام كانوا يتصلون به ويعرضون عليه مختلف الأمور، بالإضافة إلى أنّها كانت قصيرة، ومن هنا يطلق على هذه الغيبة بالصغرى. ولكن بعد وفاة آخر السفراء، فقد أغلق هذا الطريق على الأمّة وأصبح الفقهاء مراجع الأمّة فى شؤونها الدينية والدنيوية، وإثر انقطاع الإتصالات الخاصة كافّة وطول مدّة زمان غيبة الإمام فقد أطلق عليها الغيبة الكبرى. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۹

۱۱ من هم نواب إمام الزمان «عج»؟

سؤال: يقال إنّ لولى العصر عليه السلام بعض السفراء فى الغيبة الصغرى يوصلون المستجدات والأمور الضرورية للإمام. رجاء بينوا لنا نبذة عنهم؟ الجواب: كان الإمام عليه السلام يتصل بالأمّة فى غيبته الصغرى من خلال سفرائه الأربعة و يقضى أغلب حاجاتهم عن طريق وكلائه. وهم: ۱- عثمان بن سعيد العمرى من قبيلة بنى عمرو بن عامر. كان من أتباع الأئمّة منذ الحادية عشرة فصحب الإمامين الهادى والعسكرى عليهما السلام، كما كان الوكيل الخاص للإمام العسكرى عليه السلام. كان ثقة الإمام عليه السلام وخلفه ولده محمد بن عثمان، حتى قال فيه عليه السلام: «العمرى وابنه ثقتان فما أدّيا إليك عنّى فعنى يؤدّيان وما قالاه لك فعنى يقولان، فاسمع لهما واطعهما فهما الثقتان المأمونان». وكان الإمام العسكرى عليه السلام قلّما يأذن لأحد برؤية المهدى عليه السلام، وكان العمرى ممن رآه كراراً فى داره. ومن أراد الوقوف على سيرته فليراجع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۰ كتب الرجال «۱»، وبالطبع لا يوجد تاريخ دقيق لوفاته «۲». ۲- محمد بن عثمان بن سعيد، وهو ابن السفير الأول والذى يعدّ السفير الثانى ووكيل الإمام عليه السلام حيث أدرك الإمام العسكرى عليه السلام وكما ورد فى الحديث السابق فإنّه وأباه ثقتا الإمام. وكانت مدّة سفارته أطول وأوسع وكان يوصل

رسائل الشيعة دائماً إلى الإمام عليه السلام ويأتيهم بالأجوبة التحريرية، وتوفى عام ۳۰۴ أو ۳۰۵ ه «۳». ۳- حسين بن روح الذى اشتهر فى زمانه بالعقل والدراية، وكان من مقرّبى سفير الإمام الثانى محمد بن عثمان؛ وقد فوض إليه مهمّة السفارة وتوفى عام ۳۲۶ ه «۴». ۴- على بن محمد السمرى وهو آخر سفراء الإمام عليه السلام حيث كتب له الإمام كتاباً صرح فيه أنّه آخر سفرائه وليس له نصب أحد بعده! توفى فى النصف من شعبان عام ۳۲۹ ه وأغلقت السفارة بوفاته لتبدأ الغيبة الكبرى، «۵» ومنذ ذلك الحين كان الإمام عليه السلام يفند أى زعم بالنيابة الخاصة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۱

۱۲ فلسفة غيبة المهدى عليه السلام

سؤال: نعلم أنّ المهدى- الحجّة بن الحسن العسكرى عليه السلام- غاب عن الأنظار عام ۲۶۰ ه وقد مرّت لحد الآن ألف سنة على هذه الغيبة؛ والذى نريد أن نعرفه: ما فلسفة هذه الغيبة الطويلة؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات بادئ الأمر إلى أنّ غيبة الإمام عن أنظارنا لا تعنى أنّه يعيش فى عالم آخر غير عالمنا، أو تبدل وجوده الجسمى إلى وجود غير مرئى كأمواج الأثير؛ بل معنى غيبته أنّه يعيش بين الناس وأنّهم يرونه، لكنهم لا يعرفونه، وهو يعيش عيشة طبيعية. أمّا لماذا طالت غيبته وما فلسفة ذلك؟ فلابدّ من القول: هنالك اختلاف كلى بين مشروع الإمام ومشروع الأنبياء وسائر الأوصياء، فمشروعه ليس تشريعياً، بل مشروعه إجرائى للعالم كافّة؛ بمعنى له مهمّة تطبيق جميع المبادئ الإسلامية فى العالم وبسط العدل والقسط بين صفوفه. صحيح أنّ الأنبياء والأوصياء نفذوا جانباً من هذا المشروع، إلّاأنّ هذه القضية لم تتخذ بعداً عالمياً وشمولياً بفعل غياب الاستعداد عن أغلب ابناء العالم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۲ ومن الواضح أنّ تطبيق هذا المشروع الثورى العالمى الذى يهدف إلى بسط العدل والقسط وإشاعة الحق إنّما يتطلب بعض الشرائط والمقدمات التى لاـ تتحقق سوى من خلال تقادم الزمان وتكاملها من جميع الجوانب، ونشير إليها هنا وهى: ۱- الاستعداد الروحى لابدّ أن يكون المجتمع البشرى متعطشاً لتطبيق المبادئ المذكورة، وما لم يكن لدى الناس «طلب» فسوف لن يكون هنالك أى تأثير لأىمشروع مادى ومعنوى. وبالطبع فإنّ قانون العرض والطلب لا يقتصر على الصعيد الاقتصادى، بل هو نافذ فى المجالات الاجتماعية والسياسية. طبعاً إنّ تقادم الزمان وفشل القوانين المادية وظهور الأزمات العالمية الخانقة واتجاه البشرية نحو الحرب سيتعب البشرية ويفهمها هذه الحقيقة حيث أنّ القوانين المادية والمنظمات التى يصطلح عليها بالدولية ليست عاجزة عن حل مشاكلها ومعاناتها وبسط العدل والقسط فى ربوع العالم فحسب، بل إنّ هذا التعب واليأس سيعدّها للتفاعل مع الثورة الشاملة، ونعلم أنّ هذا الموضوع بحاجة إلى وقت لتثبت التجارب المريرة عجز الأنظمة المادية والمدارس البشرية كافّة فى بسط العدل وإحقاق الحق وإرساء قواعد الأمن والإستقرار، وبالتالى سيظهر لدى البشرية هذا الطلب إثر ذلك الياس والإحباط لتحقيق الأهداف الربّانية ويتمهد السبيل لخوض ثورة عالمية من قبل رجل ربانى «۱». ۲- تكامل العلوم والثقافات البشرية من جانب آخر هنالك حاجة ماسة لرقى العلوم والثقافات الاجتماعية بغية قيام حكومة عالمية على أساس العدل والقسط؛ وهذا لا يتحقق دون التقدم الفكرى وتقادم الزمان. حيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۳ يتعذر انبثاق الحكومة العالمية التى يسود العدل والقانون فيها أنحاء العالم كافّة وتتمتع البشرية فيها بالامتيازات الإسلامية الفردية والاجتماعية كافّة دون وجود ثقافة تقدمية فى جميع الشؤون الإنسانية، وهذا بدوره يتطلب مزيداً من الوقت. ۳- تكامل وسائل الإتصالات وتتطلب هذه الحكومة أيضاً وسائل إتصالات متكاملة ليمكن من خلالها اطلاع المجتمعات على المقررات والمبادئ الإنسانية من خلال عدّة طرق وبأقصى مدّة زمنية؛ وهذا ما لا يتحقق دون رقى العجلة الصناعية ومرور الزمان. ۴- استقطاب الطاقات البشرية بغض النظر عن كل ما سبق فإنّ النهوض بهذا الهدف والتخطيط لهذه الثورة يتطلب طاقات بشرية فاعلة، تشكل فى الواقع جيش الثورة العالمية، كما أنّ تشكيل هكذا جيش وظهور هؤلاء الأفراد المضحين إنّما يتوقف أيضاً على تقادم الزمان. ولعل ما ورد فى الروايات بشأن فلسفة طول مدة غيبة الإمام فى اختبار الناس وتمحيصهم إشارة إلى هذا الأمر؛ ذلك لأنّ الامتحان على ضوء المنطق الإسلامى لا يعنى كشف الأمور الخفية على غرار الامتحانات العادية، بل المراد منه إعداد الأفراد وخلق الصفات السامية لديهم «۱».

وبالتالى فإنّ هـذه العوامل الأربعة «۲» بحاجـة إلى مرور زمان مديـد وتطور فى كافّة مرافق الحياة واسـتعداد روحى وفكرى لدى الناس بغيـة قبول الحكومـة العالمية القائمة على أساس الحق والعدالة؛ ومن ثم ينفذ هذا المشـروع من قبل الإمام المهدى عليه السـلام والحال يمكنه أن اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۸۴ يعيش بصورة طبيعيـة حتى يأذن له اللّه بممارسـة الثورة العالميـة؟ وهناأن نقول إنّ الإمام يعيش بصورة طبيعيـة كسائر الناس، لكنه يتمتع بعمر طويل، والفرق بينه وبين جميع الأئمّـة عليهم السـلام، أنّه حين كان يأفل نجم إمام يبزغ نجم آخر، بينما ليس الأمر كـذلك بالنسبة للمهـدى عليه السـلام، فهو آخر الأوصـياء والمـدخر لتطبيق المشـروع. وعليه لابـدّ أن يعيش بصورة مجهولـة حتى ينهض بهذه المهمّة. طبعاً ما ذكرناه كان بشأن فلسـفة غيبة الإمام «عج» وعلة معيشـته بصورة مجهولة، وأمّا منـافع غيبـة الإمـام وكيف يسـتفيد منه النـاس فهـذا موضوع آخر خـارج البحث و خـارج عن تطـاق السؤال المـذكور. اجوبـة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۵

۱۳ هل يشبه دعاء الندبة عقائد الكيسانية؟!

سؤال: قرأنا فى كتاب أنّ فى دعاء الندبـة عبارات لا تنسـجم مع عقائـد الشـيعة الإماميـة وتشـبه عقائـد الفرق الكيسانيـة. وإليك العبارة الواردة فى الكتـاب: أشـير فى دعـاء الندبـة إلى هـذه المسألـة حيث يسأل: «ليت شـعرى اين اسـتقر بك النوى، بل أى أرض تقلك أو ثرى؟ أبرضوى أم ذى طوى ...؟». لا أدرى لماذا يبحث هذا الدعاء الذى يقرأ اليوم فى أغلب المحافل الدينية ويخاطب فيه إمام الزمان «و قـد شـاع كثيراً فى السـنوات الاخيرة و شـكلت حلقات خاصـة لهـذا الامر» فلماذا يطلب المهـدى فى ذى طوى ورضوى الـذى يعتبر موضوع محمـد بن الحنفية (إمام زمان الفرقة الكيسانية) حيث تعتقد هذه الفرقة أنّه غاب عن الأنظار فى هذا الجبل وسـيظهر منه فيندبه أتباعه ويتضـرعون عند هذا الجبل ليقوم بالأمر. وبغض النظر عن عدم إرتباط قضـية المهدى عليه السلام بهذا الجبل سواء فى حياته أو غيبته الصـغرى أو الكبرى أو ما بعد الظهور، فإنّ غيبته ليست بمعنى لجوئه إلى مكان معين، بل له حضور فى كل مكان ونحن الذين لا نتعرف عليه، وبناء على ذلك فالسؤال عن مكانه الخفى لا ينسـجم ظاهراً مع غيبة المهدى الموعود عليه السلام لدى الإمامية والمطالعة الدقيقـة لمتن دعاء الندبـة الـذى يـذكر ائمتنا صـراحة و حسب ترتيب اسـمائهم، و بعدالامير عليه السـلام والحديث عن اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۸۶ فضـائله ومنـاقبه يخـاطب فجأة ودون واسـطة الامام الغائب، فيلـح فى طرح هـذا السؤال. على كل حال نطرح هـذا السؤال كمطلب علمى فقـط و ليس حكمـاً قطعيـاً. الجواب: إنّ دعاء الندبـة حقّاً من الأدعيـة العميقـة والساميـة. فهو غايـة فى الفصاحة والبلاغة من حيث المضـمون فلابدّ من القول أنّه دعاء علمى وثورى وعقائدى وسياسـى وفى نفس الوقت مفعم بالأحاسيس المرهفة، فإن أُدركت مفاهيمه يمكن أن تلهم الأمّـة مقومات المواجهـة الاجتماعيـة ومناهضة الظلم (طبعاً بشـرط الإدراك، لا بصـيغة التحذير). فقد استهل الدعاء بالإشارة إلى فلسفة بعثة الأنبياء، ومن ثم إشارة عابرة إلى سيرتهم واختلاف درجاتهم، مروراً إلى فلسفة بعثة الأنبياء، ومن ثم إشارة عابرة إلى سـيرتهم واختلاف درجاتهم، مروراً بالتركيز على نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وعظم منزلته، إلى الإسهاب فى إمامـة وصـى النبى صـلى الله عليه و آله على عليه السـلام على ضوء الأدلـة القاطعـة والروايـات والآيات المتفق عليها من قبل الفرق الإسلامية كافّة، كما وردت الإشارة إلى أسباب قيام جماعة من الأمّة ضد أهل البيت عليهم السلام وبالتالى ما تعرضوا له من قتل ونفى ودعوة الأئمّـة الواحـد تلو الآخر، بحيث تشـد القلوب نحو نهضـة المهدى عليه السـلام، ومن ثم يبدأ خطاب الإمام عليه السـلام بسـياق يفيض بالحب والحنان والعواطف الإنسانية، ويختتم الدعاء بشـرح المشـروع الإصـلاحى والثورى للإمام عليه السلام وشىء من التضرع والاسـتغاثة. هذا من حيث مضامين الدعاء. أمّا ما تصوره البعض من أنّ هذا الدعاء يشـبه عقائد الكيسانية فمرفوض تماماً. وهنا لابدّ من تسـليط الضوء على بعض خصائص الفرقـة الكيسانية، ومن ثم نرد من مضـمون الدعاء على التصور السابق: «الكيسانية»: كما وردت فى بعض كتب العقائد والمذاهب، كانت فرقة شـيعية إمامية، اعتقدت بامامة محمد بن الحنفية بعد الإمام الحسـين عليه السلام، وقيل سموا بالكيسانية نسـبة لأحد أنصار هذه الفرقة ويدعى «كيسان» الذى كان يزعم حبّ على عليه السـلام، وقيل إنّ كيسان أحد اجوبة المسائل

الشرعية، ص: ۱۸۷ ألقاب المختار بن أبى عبيدة أحد أتباع هذه الفرقة. ورغم تفرع هذه الفرقة، إلّاأنّ الطائفة المشهورة منها تعتقد بأنّ محمد بن الحنفية حى الآن ويعيش فى جبل «رضوى» أطراف المدينة، وهو المهدى الموعود. وأنشد شاعرهم «كثير» بهذا الشأن: ألا إنّ الأئمّة من قريشٍ وُلاةُ الحق أربعة سواءُ علىٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاءُ وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها الولاءُ يُغيّب لا يُرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماءُ أشار الشاعر فى أبياته إلى على عليه السلام وأبنائه الثلاثة، ثم أشار إلى غيبة محمد الحنفية فى جبل «رصوى». طبعاً أتباع هذه الفرقة اليوم قلائل، وغالباً ما نعثر على أسمائهم فى كتب تاريخ الأديان. ونعود الآن إلى أصل الموضوع: فدعاء الندبة يفند عقائد الكيسانية وينسجم تماماً مع عقائد الشيعة الإمامية: ۱- نقرأ فى ثلاث عبارات من دعاء الندبة بشأن نسب المهدى «عج»: «وابن خديجة الغراء» و «ابن فاطمة الكبرى» و «جدته الصديقة الكبرى فاطمة بنت محمد». فهو ابن خديجة وفاطمة عليها السلام. والحال ليست هنالك من نسبة لمحمد بن الحنفية بخديجة وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه و آله، فأمّه «خولة الحنفية بنت جعفر بن قيس، ولا رابطة لها بخديجة أو فاطمة الزهراء عليها السلام». وعليه فمن العجيب أن يُشبّه دعاء الندبة بعقائد الكيسانية، ولو فرضنا الشبهة لكلمة «رضوى»- وليس من شأنها إثارة شبهة كما سترى- فإنّ هذه العبارات الثلاث يمكنها آزالة أيّة شبهة. ۲- ورد فى هذا الدعاء بعد عبارة ابن أبناء الحسين «صالح بعد صالح وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل، أين الخيرة بعد الخيرة، أين الشموس الطالعة، أين الأقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهرة، أين أعلام الدين وقواعد العلم، أين بقية اللّه ...؟». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۸ فهذه العبارات تقول صراحة إنّ بعد الإمام الحسين عليه السلام عدّة أئمّة سينهض الواحد تلو الآخر لإصلاح الأمّة والدعوة إلى اللّه وبسط العلم والمعرفة حتى يصل آخر حجة ليخاطب بصيغة المفرد. فهل هناك من شبه بعقائد الكيسانية، الذين لا يرون لولد الحسين عليه السلام من مقام ولا يعترفون بامام بعد محمد بن الحنفية؟ أوَليسَ من العجب أن يقال انقطع الموضوع بعد ذكر ولاية على عليه السلام وأغمض عن الأئمّة واقتصر الكلام على المهدى وهذا ينسجم مع عقائد الكيسانية! أو لا تكفى هذه العبارات العشر المتسلسلة سائر الأئمّة كونها لا تصرح بأسماء الأئمّة عليهم السلام؟ وهل عشر عبارات قليلة فى ردّ عقائد الكيسانية؟! ۳- إننا نخاطب ولى العصر فى هذا الدعاء قائلين: «بنفسى أنت من مغيب لم يخل منّا، بنفسى أنت من نازح ما نزح عنّا» فنراه بيننا وقريب منّا، وهذا يشير إلى أنّ غيبته ليست من قبيل وجود لا مرئى وغائب عن الأنظار فى مكان معين، بل يتردد بصورة غير معروفة فى الأوساط دون أن يكون له مكان ثابت. ۴- اتضح ممّا ذكرنا أنّ فقرات هذا الدعاء تفند الواحدة تلو الأخرى العقائد الخرافية للفرقة الكيسانية، وتنطبق تماماً على عقائد الشيعة الإمامية. ولا تبقى سوى كلمة «رضوى» فى إحدى عبارات الدعاء والتى تتضح من خلال الرجوع إلى المصادر الإسلامية (لابدّ من التأمل). توضيح ذلك: كتب صاحب معجم البلدان ياقوت الحموى: إنّ «رضوى ... جبل فى أطراف المدينة ورضوى (على وزن رجبى) منسوب إليه، وقال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن هذا الجبل: رضوى جبل رضى اللّه عنه. ثم قال بعد أن ذكر سائر الجبال المقدسة: قال عرام بن أصبع السلمى: رضوى جبل يبعد مسيرة يوم عن ينبع وسبعة منازل عن المدينة وقد أخبرنى من سار إلى هذا الجبل أنّ فيه ماءً كثيراً ونخيلًا وهذا هو الجبل الذى تعتقد الكيسانية: أنّ محمد بن الحنفية مقيم فيه وهو حى». وأمّا «ذى طوى» الذى ورد بعد جبل رضوى فى دعاء الندبة، فأحد الجبال الواقعة أطراف مكة على طريق «تنعيم» ويبعد فرسخاً عن مكة وترى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۹ منه بيوت مكة. وجاء فى الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ القائم عليه السلام يرد مكة عن طريق ذى طوى فيجتمع عند الكعبة بصحبه بعدد جنود بدر ومن هنالك يبدأ نهضته. ونستنتج ممّا سبق أنّ رضوى جبل مقدّس وورد فى أحاديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «وقدسية أرض أو جبل أو الحجر الأسود مثلًا بسبب الأحداث المهمّة التى شهدها طيلة التاريخ ويرتبط بتضحيات أولياء اللّه هناك». وعليه فإنّ جبل رضوى ورد فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله قبل أن يرد فى عقائد الكيسانية. بل لعل اختيار الكيسانية لهذا الجبل بغية إضفاء القدسية على عقائدهم الباطلة. وعليه فإن وردت كلمة رضوى فى دعاء الندبة فلابدّ من إعادتها إلى جذورها الأصلية فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله لا عقيدة الكيسانية. والشاهد الآخر على هذا الكلام ذكر جبل «ذى طوى» القريب من مكة؛ فليس هنالك من علاقة لذى

طوى بعقائد الكيسانية، وبغض النظر عمّا سبق فإنّ كلمة «أم غيرها» الواردة فى دعاء الندبة دليل على أن ليس للمهدى «عج» من موضع خاص خلافاً لعقائد الكيسانية ويتردد على بقاع العالم كافّة وعلى غرار جدّه النبى صلى الله عليه و آله الذى كان يتردد أحياناً على جبل النور وغار حراء، وأحياناً أخرى عنـد الكعبـة وبين المسـلمين فى مكـة والمدينة؛ فالمهدى عليه السـلام أحياناً هنا وهناك وأخرى بيننا. وأخيراً نأمل فى المسـتقبل ممن يحاول إثارة مثل هذه الشـبهات فى أن يبدى حسن نيّته بالرجوع إلى المختصين بهذا الشأن ممن بذلوا فيه جهودهم فـإن لم يتلقوا منهم الاجابات الشافيـة، فلهم أن يثيروها بكل حريـة، ولكن إن سـمعوا أجوبتها فلا يمسّوا الرأى العام. وهنا تجدر الإشارة إلى طبع كتيب هوجم فيه سـند الدعاء ومتنه وهذا ما يثير الدهشة. فقد أورد صاحب الكتيب بعض الإشـكالات بأسـلوب مستهجن لا يبدو أى منها صحيحاً، وحيث لا تتطلب بعض الأبحاث العلمية فإننا نكتفى باستعراض نماذج منها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۰ الإشـكال الأول على نص دعاء الندبة: لم ورد فى الدعاء بشأن إبراهيم عليه السلام: «وسألك لسان صدق فى الآخرين فأجبته وجعلت ذلـك عليـاً» ثم أشـكل بأنّ العبارة جعلت ذلك علياً ولا تنسـجم قط مع العبارة السابقـة (وكأنّ المستشـكل تصور أنّ المراد به على عليه السـلام). إلّا أنّ معنى العبـارتين يبـدو واضـحاً تماماً من خلال القرآن؛ فالقرآن يفيـد أن إبراهيم سأل اللَّه تعالى: «وَاجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ» «۱». وقال فى موضع آخر بشأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً» «۲» والعبارة الواردة فى الـدعاء تتضـمن هـاتين الآيتين. فما العيب فى هـذا الاقتباس؟ وهل هنالك من مجال للإشـكال؟ الإشـكال الآخر على نص الـدعاء: العبارة: «ثم جعلت أجر محمد صـلواتك عليه وآله مودّتهم فى كتابك فقلت لا أسألكم عليه اجراً إلّاالمودة فى القربى»، تتناقض مع ما ورد فى القرآن «قُلْ لاأَسأَلُكُم عَلَيهِ أجراً» «۳». والطريف أن العبـارة القادمـة فى الـدعاء ردت على هـذا الإشـكال بالآيـة: «وقلت: «مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ»» «۴» ؛ ذلك لأنّ مودة أهل البيت عليهم السـلام وسـيلة لكسب علومهم ومعارفهم وهداهم. فالواقع أنّ النبى صلى الله عليه و آله لم يسأل النـاس أجراً على الرسالـة ومـا سـأله فنفعه لهم. وخلاصـة القـول إنّ متن الـدعاء فصيح ولا ـ محـل لهـذه الإشكالات. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۱

۱۴ الإسلام والشفاعة

سؤال: هل فى الإسـلام شفاعة أم لا؟ إن كانت هناك شفاعة فكيف سبيلها إلى اللَّه؟ فلعل الشفاعة نوع من الواسطة! ونتيجتها الحصول على موقع دون اسـتحقاق. الجواب: هنالك شـفاعة فى الإسـلام وهى من المفاهيم الإسـلامية المسلّمة، ويعلم كل من لديه أدنى معرفة بالقرآن والسـنّة بقطعيـة الشـفاعة لمن يسـتحقها ولا مجال للشك والريب فيها. وقبل الخوض فى الأدلـة النقليـة على الشـفاعة، لابدّ من توضـيح حقيقتها ليعلم فرقها عن الواسـطة. فالشـفاعة لغـة تعنى ضم شـىء لآخر، واصـطلاحاً بمعنى مساعـدّة أولياء اللَّه (الأنبياء والأئمّة والصـلحاء) لانقـاذ الأـفراد الـذين ارتكبوا الأخطـاء طيلـة حياتهم. وبالطبع فإنّ المساعـدّة لانقاذ المـذنبين لها صورتان: إحـداهما تشـبه الواسـطة التى تدعو إلى الظلم، والأخرى درس وتهذيب ونافذة أمل ووسـيلة تكامل. فإن كان الفرد المشـمول بالشفاعة يفتقر لأىأهلية واستحقاق فهذا نوع من الظلم وتشجيع على الخطيئة وممارسة الجريمة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۲ وهذه شفاعة مرفوضة والأمل بهـذه الشـفاعة يـدفع بالأفراد إلى عدم التورع عن ارتكاب أيّة جناية، ومن المسـلم به أنّ الآيات لا تنشد مثل هذه الشـفاعة التى يدينها العقل والمنطق. أما إن شـمل بعض المـذنبين بشـفاعة الشـفعاء يوم القيامة لإيمانهم باللَّه وعلاقتهم بأوليائه، فإنّ هذه الشـفاعة لا تنطوى على أى ظلم، بل هى عين العدل ووسـيلة تربوية وعودة الأفراد المذنبين عن حالة التذبذب. وتوضـيح ذلك: إنّ شـفاعة أولياء اللَّه كما يصرح القرآن تتوقف على إذن اللَّه وليس لأحد من شفاعة دون إذن اللَّه تعالى. ومن هنا يتضح أنّ إذن اللَّه سبحانه ليس اعتباطاً، وهذا الإذن يشـمل من يستحق العفو والصفح، وإن قارف بعض الذنوب فإنّها لا تصل إلى حدّ الطغيان والتجبر، وإن ضعفت علاقته باللَّه فهى لم تنقطع. وعليه فالبشارة بالشـفاعة بهذا المعنى تحذير للأفراد الذين يقارفون أحياناً بعض المعاصـى بالعودة إلى ذاتهم والكفّ بأسـرع وقت عن ممارساتهم وديمومة علاقتهم بربّهم وعدم الابتعاد عن قبس الشفاعة، وإلّا فليس هنالك من سبيل للنجاة. ولا يخفى تأثير هذا

الشعور فی عودة الأفراد إلی الطریق المستقیم وإعادة النظر فی أعمالهم الخاطئة، فهو بمثابة الأمل فی إضاءة الحیاة ممّا علق بها من ظلام. وقد دلت التجربة علی أنّ نافذة الأمل إن فتحت بوجه المجرمین وشعروا بالأمل أو النجاة إن هم أعادوا النظر فی أعمالهم الخاطئة فإنّ أغلبهم سوف یقلع عمّا هو علیه ویعود إلی رشده وصوابه. ولعلنا نلمس ذلک فی قوانین العقوبات العالمیة التی تتضمن قوانین العفو عن السجناء وکبار المجرمین المحکومین بالسجن المؤبد، وسرّ ذلک فسح المجال أمام الآخرین للکفّ عن أخطائهم، ولولا هذا الأمل لما کان هناک ما یدعو هؤلاء الأفراد للاقلاع عن الجریمة. فالشفاعة بالنسبة للأفراد المستحقین لا تعدو کونها بارقة أمل بغیة إعادة النظر فی الحیاة الدینیة والأخلاقیة، وتختص بأولئک الذین أبقوا علی علاقتهم باللَّه وأولیائه، بینما لا تشمل هذه الشفاعة أولئک الذین أدبروا عن اللَّه وأفنوا أعمارهم فی مقارفة الذنوب والمعاصی. ویمکن بیان الفارق بین هذین الصنفین بالمثال التالی: أفرض أنّ جنوداً أُمروا اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۳ بفتح قلعة علی سفح جبل حیث تحظی هذه القلعة بأهمیّة فی حفظ بلدهم من العدوان الخارجی، وقد زودهم آمر ماهر بکل الوسائل التی یحتاجونها فی الصعود إلی الجبل وفتح القلعة فأمرهم بالصعود. فکانت هنالک فئة من الجنود استقرت عند بدایة الجبل ولم تطع الأوامر، وأخری إمتثلت الأمر وباشرت الصعود فکان فیها بعض الأفراد الضعاف الذین یتوقفون فی بعض المواقع ویصعب علیهم بمفردهم تجاوز بعض النقاط الصعبة، فما کان من هذا الآمر إلّاأن مدّ ید العون لأولئک الضعاف وأخذ بأیدیهم لیعبروا تلک النقاط الصعبة. فهذه المساعدّة والمعونة شفاعة نحو الأفراد السائرین علی الطریق، ولا مانع من أن یعلن الآمر قبل الصعود بأنّه سیقف إلی جانبهم فی المواقع الصعبة حتی یحققوا الهدف. فهذا الإعلان المسبق یبعث الأمل فی نفوسهم نحو تحقیق الهدف. فهل الشفاعة بقصد إنقاذ الأفراد حثّ علی الذنب ونوع من الظلم! القرآن والشفاعة: یمکن تقسیم الآیات الواردة فی الشفاعة إلی ثلاث طوائف: ۱- الآیات النافیة للشفاعة مثل: «وَاتَّقُوا یَوْماً لَاتَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ» «۱». ۲- الآیات التی تقتصر بالشفاعة علی اللَّه تعالی: «مَا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِیٍّ وَلَا شَفِیع ...» «۲». ۳- الآیات التی تصرح بوجود الشفعاء الذین یشفعون بإذن اللَّه تعالی: «مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...» «۳» . و «یَوْمَئِذٍ لَاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۴ لَهُ قَوْلًا» «۱» . فهذه الآیات تثبت وجود الشفعاء یوم القیامة الذین یشفعون بإذن اللَّه للمذنبین وأنّ اللَّه سیقبل شفاعتهم «۲». وهکذا یتضح موقف من یشکل أو ینفی الشفاعة علی ضوء الآیات القرآنیة الواردة فی الشفاعة. الآیات النافیة للشفاعة: یتضح الهدف من الطائفة الأُولی من الآیات التی تنفی الشفاعة من خلال الأخذ بنظر الاعتبار العقائد الخرافیة السائدة لدی الوثنیین بشأن شفاعة الأصنام؛ حیث کان یزعم أولئک أنّ الأصنام شفعاؤهم عند اللَّه: «وَیَقُولُونَ هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» «۳». وأغلب الآیات التی تنفی أساس الشفاعة ترتبط بهذا النوع الذی کان یؤمن به عرب الجاهلیة. ومن هنا حین نقل القرآن فی الآیة ۴۳ و ۴۴ من سورة الزمر شفاعة الأوثان فندها وذکر الشفاعة للَّه: «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ...* قُلْ للَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِیعاً ...». أمّا هدف سائر الآیات التی تنفی حسب الظاهر الشفاعة فهو إدانة التصورات الباطلة للیهود؛ لأنّ هؤلاء کانوا یتصورون أنّهم سینالون شفاعة أخیارهم لأنّهم کانوا أنبیاء ومهما ارتکبوا من ذنوب. وکانوا یتصورون بإمکانهم فداء ذنوبهم، علی غرار سلوکهم فی الدنیا عن طریق الرشوة والهدیة لتزویر الحقیقة وتغییر رأی القاضی. فالقرآن الکریم یفند هذا الزعم لیعلن عدم وجود الواسطة والشفاعة والفداء یوم القیامة ولیس هنالک ما ینجی الإنسان سوی عمله فیقول: « «وَاتَّقُوا یَوْماً لَاتَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ» «۴» . وعلیه اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۵ فآیات الطائفة الأولی والثانیة ناظرة لعقائد الجاهلیة والیهود بقرینة ما قبلها وما بعدها من الآیات، وهی منفصلة عن الطائفة الثالثة التی تثبت الشفاعة إجمالًا. ولیست هنالک من منافاة بین تلک الطائفة من الآیات (الطائفة الثانیة) التی تعتبر الشفاعة من اللَّه تعالی والطائفة الثالثة التی تشیر إلی وجود الشفعاء الذین یشفعون بإذن اللَّه تعالی لأنّ الشفاعة أساساً من اللَّه وللآخرین بإذنه. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۷

۱۵ هل استدل أمیر المؤمنین علیه السلام علی خلافته بحدیث الغدیر؟

سؤال: كلّنـا نعلم أنّ رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله أعلن يوم الغـدير خلافـة أمير المؤمنين عليه السـلام وأوجب على جميع المسـلمين طـاعته، وهنا يرد هـذا السؤال: إن كان الأمر كـذلك فلماذا لم يسـتدل الإمام بهـذا الحـديث على إثبات إمامته؟ الجواب: خلافاً لفرض السؤال فإنّ الإمام استدل بهذا الحديث فى أكثر من موقع على خلافته، فكان يذكره كلّما سنحت الفرصة حتى رسخه فى قلوب الناس. ولم يقتصـر ذلك على الإمام، بل اسـتدل بحديث الغدير الزهراء عليها السـلام والحسن والحسـين عليهما السـلام وكبار المسلمين مثل، عبداللَّه بن جعفر وعمار بن ياسر والأصبغ بن نباتة وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز والخليفة العباسى المأمون وحتى الخصوم كعمرو بن العاص و ... وعليه فالاسـتدلال بحـديث الغـدير كان منـذ عهد الإمام عليه السـلام وما تلاه. ونشـير هنا إلى بعض الاسـتدلالات: ۱- تحـدّث الإمام عليه السـلام يوم الشورى (التى عينها الخليفـة الثانى وكانت بالشـكل الـذى لا تكون الخلافة من نصـيب على، حين مال عبـدالرحمن بن عوف إلى عثمان، عن بطلان رأى اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۹۸ الشورى فقال: أقول ما لا يسع أحـد انكاره حتى قـال: ناشـدتكم اللَّه هل فيكم من قال فيه رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله: «من كنتُ مولاه فهـذا على مولاه، اللّهم وال من والاه وانصر من نصـره ليبلغ الشاهد الغائب» «۱» طبعاً لا يقتصـر اسـتدلال الإمام بحديث الغدير على هذه الواقعة. ۲- ذات يوم خطب الناس بالكوفة وقال: ناشدتكم اللَّه من شـهد يوم الغدير وسمع مقالة النبى صلى الله عليه و آله فليشهد. فنهض ثلاثون وشهدوا أنّهم سمعوه من رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله. وهنا لابـدّ من الإلتفات إلى أنّ ذلك اليوم كان بعـد خمس و عشـرين سـنة من يوم الغـدير. بالإضافة إلى أنّ بعض الصـحابة لم يكونوا فى الكوفـة أو توفوا قبـل ذلك، ولعل البعض تحفظ عن الشـهادة لبعض الأسـباب وإلّا لكان العـدد أكثر من ذلك. وقـد ذكر المرحوم العلّامـة الأمينى فى كتابه «الغـدير» مصادر هـذا الحـديث فمن أرادها فليراجع (كتاب الغدير) «۲». ۳- اجتمع على عهـد عثمـان مئتـان- مـن المهـاجرين والأنصـار- فى مسـجد النـبى وتحـدثوا فى عـدّة أمـور، حـتى بلغـوا فضائـل قريش وسـوابق المهـاجرين، وكـان كـل يفتخر ببعض رجالات قريش. وكـان على عليه السـلام يسـمع ولاـ يتكلم. فأقبل الناس عليه وسألوه أن يتكلّم. فخطـب وتحـدث عـن قرابتـه من رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله ثم قـال: إنّ رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله قـال: عهـد اللَّه إلىَّ أمراً وأخشـى أن يكـذبنى بعض النـاس، ألاـ إنّ اللَّه أمرنى بالابلاغ: أيّها الناس: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسـهم، ثم أخـذ بيـدى وقال: «من كنت مولاـه فهـذا على مولاـه اللهم وال من والاـه وعـاد من عاداه» فهل سـمعتم ذلك. قالوا: بلى. فقام سـلمان وسأل رسول اللَّه: كيف ولايـة على علينـا؟ فقـال صـلى الله عليـه و آلـه: «ولاـؤه كولاـئى من كنت أولى به من نفسه فعلى اولى به من نفسه» «۳». ۴- واستدلت الزهراء عليهـا السـلام بالحـديث حين دافعت عن حقّها فى ذلك اليوم التاريخى، ثم اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۱۹۹ قالت لصحابة النبى: أنسـيتم يوم الغـدير حين قال النبى صـلى الله عليه و آله لعلىّ: «من كنت مولاه فهذا على مولاه»؟ «۱» ۵- لما عزم الحسن بن على عليه السـلام على صـلح معاويـة خطب النـاس وقال: ان اللَّه اكرمنا أهل البيت بالاسـلام و طهرنا من الرجس ثم قال: ناشـدتكم اللَّه هل سمعتم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لعلى: انت منى كهارون من موسى. كما سمع المسلمون و رأوا انه اخذ بيد على عليه السلام يوم الغـدير و قـال: من كنت مولاـه فعلى مولاـه، اللهم وال من والاـه و عـاد من عاداه «۲». ۶- خطب الحسـين عليه السـلام حين خطب الصـحابة فى مكة فقال ناشدتكم اللَّه هل سمعتم ما قال النبى لعلى يوم الغدير و نصبه للإمامة وقال: ليشهد الحاضر الغائب. فقالوا: بلى. اضف الى ذلك فقد اسـتدل بهذا الحديث على خلافة الامام طائفة من صـحابة النبى صـلى الله عليه و آله مثل عمار بن ياسر و زيد بن ارقم و عبداللَّه بن جعفر والاصبغ بن نباته وغيرهم «۳». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۰

القسم الرابع القيامة والمعاد

۱ لِمَ يعاقب اللَّه عباده؟

سؤال: لِمَ يعـذب اللَّه المـذنبين فى جهنم رغم غناه المطلق وقاهريته، وما الهـدف من هـذا العـذاب فى الآخرة؟ الجواب: أولًا: لابـدّ من

الإلتفات إلى أنّ الثواب والعقاب يوم القيامة على ضوء الآيات والروايات نتيجة قطعية لأعمالنا الدنيوية وسنلمس هذه النتيجة شئنا أم أبينا. على غرار أعمال البشر فى هذا العالم التى تنطوى على سلسلة من الملازمات الضرورية، مثلًا الشخص الذى يدمن المخدرات لابدّ أن يعيش المعاناة طيلة حياته، كما لابدّ أن يعانى مدمن الخمر من بعض الأمراض التى تصيب قلبه وكبده، وهكذا فإنّ لأعمالنا الصالحة والطالحة آثاراً ولوازمَ ستنكشف فى ذلك اليوم، وعليه فإنّ جانباً مهمّاً من الثواب والعقاب وليد أعمالنا وأثر مباشر لممارساتنا وليس لنا حق الإعتراض، ولو أسّسنا حياتنا على أُسس صحيحة وسليمة فسوف لن نشهد أيّة نتيجة مريرة، وكما لا تتنافى نتائج أعمالنا فى هذا العالم مع غنى اللّه ورحمته، فإنّ نتائج أعمالنا ستكون كذلك يوم القيامة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۴ ثانياً: إنّ الثواب والعقاب يوم الجزاء ضامن تطبيق التعاليم السماوية وينطوى على بعد تربوى، فاللّه تعالى بوعده ووعيده الحق دعى عباده لأفعال الخير وحذرهم من أفعال الشر. ولن يكون لهذا الوعد من فاعلية إلّاحين يكون حتمياً، ولو احتمل عدم الوقوع لفقد دوره التربوى، وسوف لن يكون هنالك من مسوغ لأن يحتمل الفرد بعض التكاليف الثقيلة ويبادر إلى الخيرات أو يمتنع عن أكثر القبائح. فالثواب والعقاب الالهى يمكنه ضمان اجراء احكام السماء و تعاليمها حين تكون وعود قطعية تأبى الخلف و دون ان يتسلل إليها أىنوع من احتمال التخلف و ان اللّه منزه عن عدم العمل بوعده. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۵

۲ هل القيامة قيامة جميع الأمم فى يوم واحد؟

سؤال: نعلم أنّ قروناً كثيرة مرّت على البشرية وانقرضت عدّة أقوام وأُمم، فهل من شاهد على قيام قيامتهم، أم أنّ قيامة الجميع واحدة، والخلاصة هل قيامة الأُمم كافّة فى يوم واحد، أم أنّ لكلٍ قيامته؟ الجواب: هنالك عدّة آيات تشير إلى أنّ قيامة الجميع فى يوم واحد. وإليك بعض نماذج الآيات: «إنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إلَّا آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً» «۱». ويقول أيضاً: «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلَى الرَّحْمنِ وَفْداً* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلَى جَهَنَّمَ وِرْداً» «۲» بالإضافة إلى سائر الآيات. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۷

۳ كيف سيكون موقف الجهال يوم القيامة؟

سؤال: كيف سيكون مصير الأشخاص الذين يعيشون فى بعض المناطق الأوربية والأمريكية ولم يسمعوا منذ ولدوا سوى عقائد آبائهم، وليس لديهم أى علم بما وراء بلدانهم؟ الجواب: طبعاً هؤلاء الأفراد سوف لا يعذورن إن كانت لهم فرصة للتحقيق عن الدين الحق وقصّروا فى استغلالها، نعم يعذورن إن لم تكن لديهم فرصة، أو سعوا قدر استطاعتهم للتعرف على الدين الحق لكنهم لم يبلغوه، أى أنّ اللّه سوف لن يعاقبهم إلّاأنّهم مكلّفون بالعمل بما علموا من حقائق، مثلًا لابدّ أن يعملوا على أساس ما يشهد به عقلهم من وجود اللّه، وقبح الظلم وحسن العدل وسوء الفساد والانحراف الأخلاقى. وعادة ما يطلق على هؤلاء الأفراد «المستضعفون» وللمفسرين عدّة أبحاث بشأن هذه الطائفة، كما وردت عدّة روايات بهذا الشأن، فمن أراد المزيد فليراجع المصادر «۱».

۴ هل يمكن أن يكون اليوم الواحد خمسين ألف سنة؟

سؤال: هل صحيح ما يقال إنّ يوم القيامة خمسين الف سنة؟ كيف يكون اليوم الواحد خمسين ألف سنة؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ الليل والنهار والسنة لا يقتصر على مقدار الزمان فى الظروف الفعلية لسكان الأرض، بل هنالك فارق كبير بالنسبة لهذا الزمان فى العوالم الأخرى مثلًا فى «عطارد» أقرب السيارات للشمس فإنّ السنة فيه بمقدار ثمان وثمانين يوماً لدينا (أى أنّ عطارد تدور حول الأرض مرّة كل ثمان و ثمانين يوماً) وفى «الزهرة» المجاورة للأرض فإنّ السنة فيها تعدل مئة وخمسة وعشرين يوماً. وفى كوكب «نبتون» ثامن سيارة لمنظومتنا الشمسية فإنّ السنة فيه تعدل سنتنا بمئتين وتسع وأربعين مرّة، وهنالك فارق كبير حتى فى قطبنا الشمالى

والجنوبی فی اللیل والنهار مع سائر المناطق، وکل یوم ولیل تقریباً ستة أشهر، واللیل والنهار فی القمر خمسة عشر یوماً تقریباً. وعلی هذا الأساس لا یستبعد أن تکون الأوضاع فی ظل ظروف القیامة بحیث اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۲۱۰ یکون الیوم بمقدار خمسین ألف سنة کما فی حسابنا الزمنی، کما أشار إلی ذلک القرآن الکریم. فالمستفاد من الآیات أنّ تغییراً جذریاً یصیب الکون یوم القیامة «یَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَیْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ...» «۱». اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۲۱۱

۵ المعاد الجسمانی والروحانی «۱»

سؤال: لم یرفض الفقهاء «المعاد» و «المعراج» الروحی بینما قال بذلک بعض قدماء الفلاسفة وأقاموا علیه الأدلة والبراهین؟ الجواب: طبعاً لیس مراد من ینکر المعاد الروحی اقتصاره علی الجسمانی، بل المراد المعاد الروحی والجسمی، أی ستعود الروح والجسم یوم القیامة وتذوقان الثواب والعقاب ونتائج الأعمال. وقد اعتبر هذا الأمر من المسلمات لدی الفلاسفة المتأخرین. وهنالک عدّة آیات صرحت بالمعاد الجسمی الذی ورد شرحه فی الکتب العقائدیة، ومن تلک الآیات أواخر سورة یس التی بیّنت الموضوع بعدّة طرق. أمّا بشأن انکار المعراج الجسمانی فلابدّ من الإلتفات إلی أنّ هذه النظریة کانت علی أساس فرضیة (بطلیموس) فی الأفلاک، حیث کان یعتقد بأنّ الأفلاک التسعة کطبقات البصل بعضها فوق بعض تأبی الاجتیاز ویستحیل فیها الشق، ومن هنا فقد اعتقدوا باستحالة اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۲۱۲ عبورها بهذا البدن المادی، ومن الطبیعی أن تبطل هذه العقیدة علی ضوء بطلان الفرقیة المذکورة وظهور النظریات الجدیدة.

۶ هل یؤجر المفکرون والمخترعون یوم القیامة؟

سؤال: هنالک جهود جبارة بذلها بعض العلماء والمفکرین، فالعالم (فادیسون) اکتشف الکهرباء و (غالیلو) التلسکوب وقضایا مهمّة فی الهیئة و (غوتمبرک) الطباعة فأسدوا خدمات جلیلة للبشریة فهل یؤجرون علیها یوم القیامة، أم لا أجر لهم کونهم لیسوا مسلمین؟ الجواب: قبل أن نبیّن رأی الإسلام بهذا الخصوص، لا بأس فی أن نشیر إلی بعض الآراء بهذا الشأن: ۱- یری البعض حقّ الأجر لکل عمل یعود بالنفع علی المجتمع، ولا فرق فی ذلک بین الموحد والمشرک والمسلم وغیر المسلم، وأنّ اللَّه لا یفرّق بین عباده بهذا الشان. فهؤلاء یقولون: لیس للإیمان باللَّه ورسالة خاتم الأنبیاء تأثیر فی العمل، والعمل الصالح یعود بالنفع علی المجتمع دائماً سواء صدر من مسلم أم مشرک. ۲- بالمقابل هناک طائفة أخری تنفی أدنی أجر لهذه الأعمال وإن کانت بنیّة صافیة لأنّها لا تنطلق من عقائد سلیمة، وعلیه فلیست هنالک من قیمة لهذه الأعمال. ولکن یبدو الرأیین اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۲۱۴ المتقابلین غیر صحیحین، وهنالک الرأی الثالث المنطقی وهو: لکل عمل صالح بعدان: ۱- بعد شخصی ونفعی یعود لنفس الإنسان. ۲- بعد اجتماعی یعود نفعه علی عامة الناس. فإن کان هدف المخترعین الذین بذلوا ویبذلون جبارة للتوصل إلی اختراع معین، هو الحصول علی شهرة بین الناس أو الحصول علی عائدات مادیة إزاء الاختراع، فقد حصلوا علی ما یرومون وحققوا هدفهم، ولا داعی لأن ینتظروا أجراً یوم القیامة، ذلک لأنّهم بهذا الهدف لم ینشدوا رضی اللَّه وخدمة المجتمع، بل کانت الشهرة والمادة هما الدافع من وراء ذلک الجهد وقد ظفروا بهما- أمّا إن کان الدافع فی تلک الأنشطة العلمیة والجهود الفکریة والخدمات الاجتماعیة هو القیام ببعض المنجزات فی سبیل رفاهیة عباد اللَّه والقضاء علی الصعوبات التی تواجههم فی حیاتهم والتخفیف من أعبائهم، فمما لا شک فیه أنّ لهم أجرهم وثوابهم یوم القیامة، والعدل الإلهی یقتضی إثابتهم. وقد ورد فی الأخبار أنّ حاتم الطائی سیؤجر یوم القیامة رغم أنّه کان وثنیاً ولم یؤمن بالأدیان السماویة، کونه یرعی المحروم ویغیث المحتاج ویُقرء الضیف. «۱» طبعاً هنالک عدّة طرق تمکننا من الوقوف علی نیّة المخترع لنعلم هل کان الدافع الذی یقف وراء أنشطته مادیاً وشخصیاً أم معنویاً وإنسانیاً. فالعلماء الذین إذا اقترح علیهم العمل فی مصانع إنتاج الأسلحة الجرثومیة والإبادة الجماعیة مقابل دخل أکثر من دخلهم، إن عملوا فی صناعة الأدویة، فلبوا الاقتراح، فإنّ مثل

هؤلاء الأفراد سوف لن يؤجروا عند اللَّه مهما اكتشفوا واخترعوا، ذلك لأنّهم يفتقرون إلى الدوافع الربّانية والإنسانية وأمّا إن ضحّوا بتلك الإغراءات المالية وواصلوا أعمالهم خدمة للمجتمع فسوف يؤجرون ويثابون.

القسم الخامس فلسفة الأحكام والمسائل الفقهية

۱ هل يحق لنا السؤال عن فلسفة الأحكام؟

إن كان لنا مثل هذا الحق فهل له حدود؟ يعتبر بحث فلسفة الأحكام والمقررات الشرعية الإسلامية من أهم الأبحاث المطروحة اليوم وتشكل القسم الأعظم من أسئلتنا وأجوبتنا. فكل شخص يسأل نفسه لماذا أصلى وأحج بيت اللَّه، لماذا الربا محرم في الإسلام، ما فلسفة حرمة لحم الخنزير، لماذا يجيز الإسلام تعدد الزوجات، وما علة استعمال الأواني الذهبية والفضية و ...؟ لقد طرح هذا البحث سابقاً في مجلة المدرسة الإسلامية وكتب بعض الأعلام عدّة أبحاث رائعة ومفيدة بهذا الشأن، ويعتقد البعض أنّه لا ينبغي البحث عن فلسفة الأحكام، بينما يرى البعض الآخر العكس وأنّ هنالك ضرورة في إدراك فلسفة الأحكام. وأمّا رأينا إن لم تستغربوا صحة الرأيين السابقين. فإننا نمتلك ولا نمتلك هذا الحق، أي أنّ استدلال كل طائفة صحيح ومقبول في قسم معين لا بصورة كلية. توضيح ذلك: تشير مطالعة المتون الإسلامية- القرآن وأحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام- وكلمات الصحابة إلى أنّ بحث فلسفة الأحكام كان سائداً بينهم في عصرهم، ولابدّ أن يكون كذلك. ذلك لأنّهم يرون الأسلوب القرآني أسلوباً منطقياً واستدلالياً فيعطون لأنفسهم الحق في التحري عن فلسفة الأحكام. والإسلام يتحدث عن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۸ اللَّه الوجود المطلق واللامتناهي من حيث العلم والقدرة والغنى عن كل ما سواه، وكل أفعاله تستند إلى حكمة معينة- علمنا أم لم نعلم- ولا يشوبها أي عبث ولغو ولهو وقد بعث الأنبياء لدعوة الناس إلى الحق والعدل- ولعل هذه الصورة التي يقدمها الإسلام تشجعنا على تحري فلسفة الأحكام والأسرار الدخيلة في مصيرنا وسعادتنا. وبالطبع فإننا نخطيء أن تصورنا اقتصار أسلوب القرآن على الاستدلال في «أصول الدين» والقضايا العقائدية دون «فروع الدين» و «المسائل العلمية» فنحن نرى القرآن يردف تشريع الصوم بالقول: «لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ» «۱» فيذكر فلسفة الصوم على أنها التقوى من الذنب والتي تحصل في ظل تربية النفس من تلك الرياضة الإسلامية. ويقول بشأن المسافرين المعفوين من الصوم: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» «۲» فيذكر فلسفة ذلك بنفي العسر والحرج والمشقة. ويقول بشأن تحريم القمار والخمر: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ» «۳» . ويقول بشأن التعفف عن النظر إلى الأجنبية: «ذَلِكَ أزكى لَهُم» «۴». وبشأن عدم دخول المشركين إلى المسجد الحرام: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ...» «۵». وبشأن الفيء (بعض أموال بيت المال) وعلة اختصاصه ببيت المال وصرفه في موارد عامة: «كَيْ لَايَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» «۶» . وهكذا سائر الأمور التي لا مجال لذكرها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۹ كما تشير السنّة إلى أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا يخوضون في ذكر أسرار وفلسفة الأحكام بادیء الأمر أو بعد السؤال، وكتاب علل الشرائع للمحدث المرحوم الصدوق- كما يبدو من اسمه- مجموعة من هذه الأخبار. وعليه فحين ترى القرآن والأئمّة الذين يخوضون في أكثر من موقع في بيان فلسفة الأحكام، فإنّ ذلك دليلًا على منحنا الحق في الخوض في هذه الأمور. ونخلص إلى هنا في حقنا بالسؤال عن أسرار الأحكام على ضوء القرآن والسنّة وروايات الأئمّة عليهم السلام. ولو تصور أن ذكر فلسفة الأحكام يمكن أن تحد من أهميتها وصرامتها وعموميتها فإنّ ذلك التصور خاطیء، بل بالعكس فإنّ إشباع تطلعات عقل الإنسان وروحه تجعل تلك الأحكام جزءاً من ضرورياته واحتياجاته لا بصفتها أحكام تعبدية جافّة. ومن جانب آخر فإننا نعلم بأنّ معلوماتنا محدودة مهما تقادم الزمان، فنحن لا نعلم كل شيء، ولو كنّا نعلم لتوقفت قافلة العلم، وعدم علمنا هذا هو الذي يدفع العلماء لحث الجهود بغية كشف المجهولات. ونعلم أنّ

الأحكام الشرعية تصدر من علم اللّه اللامتناهى، من ذلك المبدأ المنفتح على حقائق الوجود كافّة وسيان عنده الماضى والمستقبل والغيب والشهود. وعلى هذا الأساس فهل يسعنا توقع إدراك فلسفة الأحكام كافّة؟ فإن كان الأمر كذلك فما الحاجة إلى تشريع الأنبياء للأحكام؟ وهل نعلم بكل أسرار الوجود والقوانين التى تحكمه؟ والأحكام التشريعية ليست منفصلة عن حقائق الخلق والتكوين، فمعلوماتنا فى المجالين محدودة. ونستنتج من البحثين: إنّنا نستطيع إدراك الفلسفة الإلهيّة فى كل عصر وزمان على ضوء ما لدينا من معلومات. ومفهوم ذلك إننا لا نستطيع تعليق طاعة الأحكام الشرعية على إدراك فلسفتها، ذلك لأننا نكون قد زعمنا عدم محدودية علمنا وجعلناه بمصاف علم اللّه وهذا ما لا ينسجم مع أىّ منطق. وزبدة الكلام: البحث عن فلسفة الأحكام شىء وطاعة هذه الأحكام شىء آخر ولا ـ يتوقف الثانى على الأول أبداً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۰ وإننا نبحث فى فلسفة الأحكام لنقف على آثارها وأهميتها، لا لنرى هل ينبغى العمل بها أم لا؟ فالقضية أشبه بالطبيب الحاذق الذى يقدم بعض الايضاحات لأدوية معينة، لنقبل عليها ونتفاعل معها، لأنّ استعمالها مشروط بذلك التوضيح، ذلك لأنّه ينبغى أن نكون أطباء أيضاً. جدير بالذكر أنّ المراد من دراسة أسرار الأحكام أن تحوك بعض الخيالات لتفسير بعض الأحكام الشرعية وتزعم أنّ هذه هى فلسفة وأسرار هذا الحكم أو ذاك، كأن نعتبر الصلاة مثلًا رياضة بدنية وحركات سويدية والأذان وسيلة لتقوية الحبال الصوتية والصوم كنظام لإضعاف البدن والحج وسيلة لمساعدة البدو والركوع والسجود رياضة للعمود الفقرى! كلا ـ ليس المراد ذلك؛ ذلك لأنّ هذه الخزعبلات المضحكة لا تشدّ أحداً إلى الأحكام، بل تدفع لفقدانها قيمتها واعتبارها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۱

۲ كيف نتعامل مع فلسفة الأحكام

يفيد منطق القرآن الكريم ونهج الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّ لكل مسلم الحق فى تحرى أسرار وفلسفة الأحكام. إلّاأنّ هذا لا يعنى أن نعرض بعض الأمور التى تساور أذهاننا كفلسفة لحكم دون أيّة ضابطة ودليل. ذلك أنّ الكلام العبثى فى الواقع عبارة جافة ومقيتة. إذن كيف نتعامل مع هذه القضية؟ ما يجدر ذكره أنّ إمتثال الأحكام الشرعية كما نعلم لا يضيف شيئاً إلى جلال اللّه وكبريائه ولا تحط المعصية من عظمته، كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام: «لا تضرّه معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه». فهو مطلق الوجود، وكل ما لدينا منه، وهو الغنى عن كل شىء، وكل ما يأتينا من خزائنه وبمقدار معين كما يراه: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» «۱» فهل يسع القطرة أن تضيف شيئاً إلى البحر، أم هل يسع مرآة صغيرة إفاضة الضوء على الشمس. وعليه فإن كانت هنالك من فائدة فى هذه الأحكام فهى لنا. ومن جانب آخر لسنا جسماً فقط ليكون كل حكم من اللّه لتربية أجسامنا وصحتنا، ولا روحاً فقط ليكون الهدف المعنوى هو فلسفة تشريعها. بل نحن جسم وروح والأحكام تتعامل معهما. وعليه فنحن نتحرّى الفوائد الطبية أو الموانع الاقتصادية والمادية فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۲ الأحكام الشرعية ونرى حتى الصلاة والدعاء والمناجاة كوسيلة لتسكين آلامنا الروحية واضطراباتنا ومعاناتنا ومن يبحث عن شىء آخر فهو على خطأ، كما يخطىء ذلك الذى يتصور حتى استحباب لبس الثياب النظيفة وتقليم الأظافر وإزالة آثار العنكبوت وعدم الشرب من الآنية المكسورة يتعلق بالآثار الأخلاقية والمعنوية والروحية، بل بعض الأحكام الإسلامية شرعت لأمور أخلاقية وتكامل روحى، وبعضها الآخر لنظم الحياة المادية، وأغلبها تنطوى على البعدين. نعود الآن لأصل الموضوع لنرى الضابطة التى ينبغى اعتمادها فى التعامل مع فلسفة الأحكام. فالأحكام الشرعية تقسم إلى أربعة: ۱- الأحكام الواضحة فلسفتها للجميع منذ بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وكلّ أدرك بعضها حسب علمه، وقد تقننت بغية إمتثالها من قبل الجميع، كحرمة الكذب والخيانة والتهمة وقتل النفس والسرقة والظلم والاحتكار والتطفيف فى الميزان والأمر بالعدالة والصدق وإعانة الضعفاء والعمل والمثابرة وبر الوالدين والإحسان إلى الجار وما شابه ذلك، والتى يدرك فلسفتها كل فرد بغض النظر عن معلوماته. ۲- الأحكام التى لم تتضح فلسفتها للناس- وأحياناً لعلمائهم آنذاك- وقد أشير إليها فى القرآن أو كلمات الأئمّة، مثلًا ربّما لا يعلم الناس آنذاك الفلسفة الثلاثية الأبعاد (الأخلاقية والاجتماعية والصحية) للصوم لذلك أشار

القرآن إلى تـأثيره التربوى والأخلاقى فقال: «لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ» «١» وأشار الإمام الصادق عليه السـلام إلى تأثيره الاجتماعى فقال: «ليستوى به الفقير والغنى» وقال النبى صـلى الله عليه و آله: «صوموا تصـحوا». ونظير هذه الأحكام كثير ممّا وردت الإشارة إلى أسرارها فى متون الآيات وأحاديث النبى صـلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السـلام، وكما أشرنا سابقاً هناك كتاب بهذا الخصوص «علل الشرائع» لأحد كبار المحدثين «الشيخ الصدوق»، كما ذكر المحدث المعروف «الشيخ الحر العاملى» فى بداية كل فصل من كتابه وسائل الشيعة فلسفة بعض الأحكـام. اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ٢٢٣ ولكـن لابـدّ من الإلتفـات إلى أنّ ذكر هـذه الأسـرار والمنـافع اسـتناداً لتناسـبه مع المسـتوى الفكرى للناس ليس بمعنى انحصار تلك الفلسـفة فى ما ذكر ولا يمنع من اسـتثارة الفكر لإدراك المزيـد. ٣- الأحكام التى تنكشف فلسـفتها بفعل التقدم والرقى البشـرى ومرور الزمان ويسعنا اعتبارها دليلًا على عظمة وأصالة هذه الأحكام السماوية. مثلًا الآثار البدنيـة والروحيـة والاجتماعيـة الضـارة للمشـروبات الكحوليـة إلى جـانب تأثيرهـا على الجينـات والجنين والتى كشـفها اليوم العلم، أو الاختلالات العصبيـة والوفيـات الناشـئة من جلسات القمار، أو الأخطار التى يفرزها التقسـيم غير العادل للثروات، والاضـرار الاقتصادية والأخلاقية للربا والتى أحصـتها المصادر ذات الصـلة. ولكن لابدّ من الإلتفات إلى موضوع فى غاية الأهميّة وهو أنّ أى إفراط وأحكام خاطئة وضـيق أفق ورؤى كاذبة والأهم من كل ذلك تحميل القوانين المسـلمة بعض الفرضـيات غير المبرهنة علمياً، إنّما يبعدنا فراسخ عن الحقيقـة ويقودنا إلى متاهات كبيرة بـدل تعريفنا بأسـرار وفلسـفة الأحكام. وعليه فما لم يبرهن العلم على ويكسـبه صـيغة حسـية لا ينبغى جعله أساساً فى توضـيح فلسـفة الأحكام. ۴- الطائفـة الأخيرة من الأحكام التى لم تكن واضـحة منـذ بـدايتها، كما لم ترد إشارة إليها فى المتون الإسـلامية ولم تظفر بأسـرارها لحـدّ الآن ونماذج ذلك عدد ركعات الصـلاة وحد نصاب موارد الزكاة التسـعة وبعض مناسك الحـج. هل سـتميط الأجيال القادمة اللثام عنها بتقدم العلم والمعرفة؟ هل كلف آخر أوصـياء النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله بتوضـيحها وتفسيرها؟ هل لهذه الأحكام بعد انضباطى؟ هل هى أسرار لا يسع حتى العلم فى المستقبل سبر أغوارها؟ ... ليس لدينا أى علم بـذلك؛ وكل ما نعلمه أنّ الطائفـة الرابعـة من الأحكام وعلى غرار سابقاتها واجبـة التنفيذ ... فهى تسـتند جميعاً إلى مصدر واحد. وأدلة إمتثالها ثابتة بالأدلة القطعية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٢٢٥

٣ لماذا نقلد فى المسائل الدينية؟

يفتح الإنسان عينه على هذا العالم ولا يعلم شـيئاً، فيضطر إلى الاستفادة من تجارب الآخرين ويغترف من علومهم ومعارفهم، ذلك لأنّه بحاجـة إلى هـذا العلم فى مسـيرته الشائكـة فى هـذه الحيـاة. ولعل الحياة تقوم على أساس محورين؛ العلم والعمل، والعمل يحتاج إلى العلم، وعليه فـالخطوة الأولى تبـدأ بالعلم. وهنا يسـتمد الإنسان من إحـدى غرائزه والتى تكشف له طريق الكمال والسـعادة وهى غريزة «الاقتباس» و «التقليـد» يتعلم من والـديه شـيئاً فشـيئاً النطق وآداب الجلوس والقيام ويطوى كل يوم مرحلة من مراحل الحياة وينفتح كل يوم على العلوم والمعـارف وأفكـار الآـخرين ليتعرف على موجودات هـذا العـالم ويقف على وظـائفه. لكن لابـدّ من الإلتفات إلى أنّ التقليـد لأفكار الآخرين بصورة كليـة ليس صـحيحاً، بل للتقليد أقسام هى: ١- تقليـد الجاهل للجاهل من الواضـح أنّ هذا التقليد بغض النظر عن عـدم إيصـاله الإنسـان إلى السـعادة، فهو يهوى به إلى البؤس والشـقاء، والمؤسف أنّ فى مجتمعنـا العديـد من الأفراد الـذين يقلدون سائر الأُمم فى أخلاقها بصورة عمياء. فهم يقلدونهم فى إرتداء الثياب وتناول الأطعمة وتسـمية الأولاد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٢٢۶ و ... بالإضافة إلى اتباعهم فى إشاعة الفواحش والمنكرات وأسلوب التفكير والإعتقاد تحت مسميات شتى. وقد وردت عدّة آيات فى ذمّ هـذا النوع من التقليـد، ومنها ما قاله الوثنيون لرسـلهم: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» «١». ٢- تقليد العـالم للجاهـل وواضـح أنّ هـذا القسم أسوأ من سـابقه وأخطر، ذلـك لأنّ العالم يجب أن ينطلق من علمه ليعمل بوظيفته وهـذا أقبح تقليـد بـأن يتخلى العالم عن علمه ويتبع الآخرين. ٣- تقليـد العـالم للعـالم طبعاً لا ينبغى أن يقلـد العالم آخر مثله فى العلم وينبغى عليه العمـل بعلمه، ومن هنـا ذكر الفقهاء، إن بلغ العالم الاجتهاد يعمل باجتهاده. ولـذلك يكتبون فى إجازات الاجتهاد «يحرم عليه التقليـد»

ولابـدّ أن يعمل حسب رأيه، وبالطبع هذا لا يتنافى مع استشارته لسائر العلماء فى المسائل العلمية، بل المراد اسـتقلالية العالم فى القرار وعدم الاستسـلام لآراء الآخرين دون تريث. ۴- تقليـد الجاهل للعالم هذا القسم من التقليد ما تقتضيـه الفطرة والعقل والمنطق السـليم، وعلى أسـاس هـذا العقـل والمنطـق تـذهب إلى المعمـار فى بنـاء عمـارة وإلى الخيـاط لخياطـة الملابـس وإلى الطـبيب حيـن المرض. والخلاصة فإنّ العقل والمنطق والفطرة يرشدنا إلى كل مختص بمجاله. وهذا هو المنطق الذى يدعونا للرجوع إلى الفقهاء لتقليدهم فى الأحكام الشـرعية. الفقهاء الـذين أجهدوا أنفسـهم لسـنوات فى كسب العلوم والمعارف حتى نالوا مرتبة الاجتهاد، أى أصـبحت لديهم القدرة على اسـتنباط الأحكام الشرعية وتزويد الناس بها. وهم الفقهاء المنصبون من قبل أئمّة الدين بغية ضمان سعادة الناس وفلاحهم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٢٢٧ جدير بالذكر، للعلوم البشرية عدّة فروع، وربّما ينبغ العالم فى فروع دون أن يعلم شيئاً عن فرع آخر، وعليه لابدّ له من الرجوع فى ذلك الفرع إلى المختص به. فالطبيب أو المهندس البارع فى تخصصه، ربّما يرد منطقة ويبحث عن زقاق فلا يجـده فينبغى أن يسأل الآخرين ليـدلّوه عليه. أو مثلًا، يمرض شـخص مختص بعلم الفلك، فلابـدّ له من مراجعة الطبيب، كما يجب عليه إمتثال أوامر الطبيب دون نقاش. ويتضح مما سـبق علية ضـرورة تبعية الناس للمجتهد، ذلك لأنّ المجتهد متخصص فى عدّة علوم أساسـية فى الاجتهاد والفقاهة من قبيل الصـرف والنحو واللغة والكلام والمنطق والتفسـير والرجال والدراية والحديث والأصول والفقه. ولعلك ترى كتاباً صـغيراً يسـمى (الرسالة العملية) ولا تدرى أنّ هذه الرسالة حصـيلة عمر الفقيه وقد سطرها بجهود جبارة ومعاناة شاقة ووضـعها تحت تصـرف الأمّة. فالاجتهاد ليس قضـية سـهلة، بل الاجتهاد يعنى المعرفة بالأحكام السماوية كافّة ذات التأثير المباشر على الحياة الفردية والاجتماعية. الشـيخ مرتضـى الأنصارى رحمه الله الذى يعتبر أحد العظماء ومن مفاخر مراجع مدرسة الإسلامية يقول فى كتـابه (الرسائـل) بشـأن الاجتهـاد: «رزقنـا اللَّه الاجتهـاد الـذى هو أشـدّ من طول الجهاد». يـذكر أنّ تقليـد المجتهـد يختص بالفروع لا الأـصول، بعبارة أخرى لابـدّ أن يقف المكلّف بنفسه على دليل معرفـة اللَّه سـبحانه والنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله لأنّها من أصول الـدين، ولكن بعـد قبول هـذه الأصول على أساس الـدليل والمنطق يأتى دور الفروع وعليه أن يرجع إلى المتخصصـين بالعلوم الدينية، حيث يتعذر عليه إدراك المصادر الدينية كالقرآن والحديث وسائر المصادر. كما أنّ تقليد المجتهدين لا يصح فى المسائل الإسلامية القطعيـة كوجوب الصـلاة والحـج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحرمة الكذب والخيانة وشـرب الخمر والقمار، ذلك لأنّها من الأمور المعلومـة للجميع ولا تحتاج إلى تقليـد، وعليه فالتقليـد يقتصـر على الأحكام الفرعيـة غير القطعية. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ٢٢٩

۴ لماذا نعبد اللَّه ما فلسفة الصلاة والصوم والحج؟

سؤال: لم نعبـد اللَّه ونعلم أنّ اللَّه ليس بحاجـة إلى عبادة أحد؟ إنّه غنى عن الجميع، والجميع محتاج إليه، ولو احتاج لعبادتنا فإنّ ذلك لا ينسـجم مع مقام اللَّه. الجواب: يمكن الاجابـة عن هـذا السؤال بصورتين «إجمالية» و «مفصـلة». الاجابة المجملة: إن كان الهدف من عبادتنا تلبيـة حاجـة للَّهوإيصال نفع إليه، يرد السؤال المـذكور فى أنّ اللَّه وجود مطلق ولا متناهٍ ومنزّه من كل نقص وحاجة، فما حاجته لعبادتنا؛ ولكن إن كان الهدف من عبادته تكاملنا، فسيكون أمره بالعبادة لطف ورحمة وإرشاد إلى الكمال والسعادة. الاجابة المفصلة: لكـل عبـادة وعمـل يهـدف رضـى اللَّه سلسـلة من الآثار الفرديـة والاجتماعيـة القيمـة، وهى فى الواقع أعظم وسـيلة تربويـة وأخلاقيـة، للأسباب التالية: أولًا: إنّ العبادة تثير لدى الإنسان الشـعور بالشـكر والتقدير، فشـكره للنعم التى زوده بها اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ٢٣٠ اللَّه دليل جـدارته بما أفيض عليه من ألطاف. ثانياً: إنّ العبادة والخضوع للَّهأساس تكامل الإنسان الروحى، فأى تكامل أسـمى من أن ترتبط روحنا بالكمال المطلق «اللَّه» وتسـتلهم قـدرته اللامتناهيـة فى القيام بوظائف العبوديـة فتؤهله لمناجاة اللَّه. وتظهر هـذه المزايا التى أشـرنا إليهـا باختصـار فى العبادات كافّة التى تتمّ بصورة صـحيحة، مع العلم أنّ لكل عبادة كالصـلاة والصوم والحـج و ... آثارها وميزاتها الخاصة بها، ونشـير هنا إلى بعض أسرار هذه العبادات على نحو الاختصار لتتضح لنا فائدة هذه العبادات والتى لا يحتاجها اللَّه.

أسرار الصلاة: ۱- الصلاة توجب ذكر اللَّه إنّ ذكر اللَّه أفضل وسيلة للسيطرة على الغرائز الجامحة والحيلولة دون روح الطغيان. فالمصلى يذكر اللَّه دائماً؛ اللَّه العليم بكل صغيرة وكبيرة، والعليم بكل ما يساور أذهاننا ويخطر على قلوبنا، وإنّ أقل ما يفعله هذا الذكر اعادة الاعتدال إلى اهوائنا وتطلعاتنا، كما أنّ الغفلة عن ذكر اللَّه وتناسى ثوابه وعقابه توجب ظلمة العقل والتفكير. فالإنسان الغافل لا يفكر فى عاقبة أفعاله ولا يعرف من حدود لارضاء غرائزه الجامحة ورغباته، والصلاة هى التى تذكره خمس مرّات يومياً باللَّه وتدفع عنه ظلمة الغفلة. حقاً إنّ ذكر اللَّه أفضل السبل للسيطرة على غرائز الإنسان المتجذرة فى أعماقه فيعيده إلى رشده وصوابه، ومن هنا يعرض القرآن لأحد أسرار ذكر اللَّه فيقول: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِتِذِكرِى» «۱». ۲- الابتعاد عن المعصية إنّ المصلى مضطر لاجتناب أغلب المعاصى بغية صحّة صلاته وقبولها، فمثلًا أحد شرائط الصلاة إباحة الوسائل المستعملة فى الصلاة من قبيل ماء الوضوء والغسل والثياب اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۱ والمكان، وهذا يدفعه لمجانبة الحرام والجد فى كسب الحلال، ذلك لأنّه من الصعف أن يتقيد الإنسان بحلّية ما له صلة بالصلاة ويهمل الأمور الأخرى وهذا ما أشارت له الآية الشريفة «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ» «۱». سيما إن إلتفت المصلى إلى أنّ شرط قبول الصلاة التزام المصلى بأداء الزكاة والحقوق الشرعية واجتناب الغيبة والكبر والحسد وشرب الخمر، واستحضار النيّة والتوجه إلى اللَّه. ومن هنا شبّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الصلاة بعين الماء التى يغتسل منها الإنسان كل يوم خمس مرّات فهل يبقى عليه شىء من الدرن. وهكذا من يصلى كل يوم خمس مرّات يطهر قلبه من الرجس والدرن. ۳- النظافة والصحة يعمد المصلى إلى الوضوء عدّة مرّات كل يوم وأحياناً الغسل، وعليه سيكون بالتالى فرداً نظيفاً بعيداً عن كل وساخة. وعليه فالصلاة عامل مساعد للأمور الصحية. ۴- الانضباط والدقّة لكل صلاة وقت معين، وعلى المصلى أن يأتى بصلاته فى تلك الأوقات، ومن هنا فإنّ هذه الشعيرة الإسلامية تساعد على الإنضباط والدقّة فى الوقت. خاصة أنّ المصلى ينبغى أن ينهض لصلاة الصبح قبل طلوع الشمس، فهو يستهل يومه بنشاط فضلًا عن الهواء الطلق والنقى الذى يستنشقه. ولا تقتصر الآثار التربوية الفردية للصلاة فى ما ذكر، وليس ذلك إلّا غيض من فيض أسرار هذه العبادة العظيمة. الأسرار الاجتماعية للصلاة: إنّ الصلاة فى الأوقات المعيّنة نموذج لوحدة الأمّة الإسلامية ولحمتها؛ ذلك لأنّ المسلمين كافّة يستقبلون القبلة فى أوقات معينة وبآداب خاصة، وهذا بدوره يكشف عن اتحاد الأمّة بفضل تلك الشعيرة. وعلل هذه الوحدة تتضح أكثر فى صلاة الجماعة وانتظام اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۲ صفوفها، ولسنا بحاجة لتوضيح أهميّة هذا الاتحاد المعنوى. ورغم عدم إقتصار الأسرار والفوائد الاجتماعية والتربوية للصلاة على ما ذكر، إلّاأنّ ذلك يكفى لبيان عظمة أسرار هذه الفريضة. قبسات من أسرار الصوم: الصوم أحد الفرائض الإسلامية، ولعل أحد آثاره التربوية أنّه يضع حدّاً «لحكومة العادة والشهوة» على الإنسان وينقذه من عبوديته للرغبات النفسانية. فأخطر وأسوأ الحكومات حكومة الرغبة السيئة وعبودية النفس، ولعل أبسط رغبة- كإدمان التدخين- يسىء إلى عزّة النفس فضلًا عن سائر الرغبات. والإنسان الحر من لا تحكمه آية عادة شاذة، ويقمع بإرادته كل نوع من هذه العادات، ومثل هذه الحرية والإرادة بحاجة إلى صمود ومقاومة إنّما يفرزها الصوم. وبغض النظر عن ذلك فإنّ الصوم إحياء للعواطف الإنسانية. فالفرد الثرى الذى يقضى عامه على الموائد الغناء ولا يعلم بالجائع الذى يعيش سنته جائعاً كالصائم، إنّما يتذكر هذا الفرد حين صومه وجوعه طيلة النهار فيدرك وضعه، وبالتالى تتفعل عواطفه الإنسانية فيفكر فى ردم هذه الهوة وإعانة الفقراء والضعفاء. حقاً أنّ صوم شهر رمضان أحد ملامح المساواة والاتحاد؛ ذلك لأنّ جميع الطبقات- بما فيها الغنى والفقير- تولى ظهرها لرغباتها وغرائزها طيلة هذا الشهر الشريف. فلسفة الحج: العبادة العظيمة الأخرى «الحج»، والحج شعيرة اجتماعية تؤدّى فى أيّام معينة وأماكن معينة من السنة. ويغض النظر عن ترسيخ هذه العبادة لعلاقة العبد بربّه، فإنّها يمكن أن تعود على المجتمع الإسلامى بمختلف المنافع، وذلك لأنّه: أولًا: إنّ هذه العبادة تبدأ بتجرّد تام من خلال ارتداء قطعتين متواضعتين من القماش اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۳ لتفعل مساواة العباد عند اللَّه، ولعل هذا أعظم حلم إنسانى فى أن يأتى اليوم الذى تزول فيه عوامل التفاضل الكاذبة من قبيل العِرق واللون واللغة والثروة ويعيش فيه الجميع حالة المساواة أمام اللَّه سبحانه. فالحج يسوق المؤمنين للتخلى عن الإمتيازات الاجتماعية ويشعرهم أنّها ليست وسيلة للتفاضل. ثانياً: إنّ ذلك الاجتماع العظيم الذى يعدّ أعضائه الممثلين الحقيقيين

للشعوب الإسلامية يعتبر مؤتمراً سنوياً لمسلمى العالم والذى يعقد كل سنة فى هذه الأرض المباركة. والإسلام ليس سلسلة من القوانين الأخلاقية والسنن التربوية التى لا تنشد سوى إصلاح روح الآخرين لينأى بنفسه بعيداً عن المؤتمرات والتجمعات السنوية والاجتماعات الاسبوعية واليومية للأحزاب السياسة ودعوته لتشكيل هذا المؤتمر السنوى فى هذه الأرض الطيبة. وبالطبع فإنّ هذا المؤتمر سينضوى تحته الأحزاب والحركات السياسة العالمية، غاية الأمر أنّ الزعماء السياسيين التفتوا أخيراً إلى أهميّة هذه الموضوعات، بينما سبقهم الإسلام أربعة عشر قرناً حين خطط لمثل هذه المؤتمرات. والمفكرون الذين يحضرون الاجتماع المذكور يسعهم الاطلاع على آخر التطورات التى يشهدها العالم الإسلامى، فيتدارسوا كيفية تحسين أوضاع المسلمين وتطهير البلاد الاسلامية من العناصر المناهضة للحرية والاستقلال و بالتالى رقيهم فى المجالات كافّة. وليت شعرى أى اجتماع أفضل من أن يكون أعظم حلقة وصل لمسلمى العالم كافّة بحيث يطلع زعماء الدين على أوضاع الأمّة الإسلامية لمعالجة مشاكلها ومواجهة المؤامرات التى تحاك ضدّها. لا شك فى أنّ هذا المؤتمر يمكنه أن يلعب دوراً فى خدمة الوضع الاقتصادى والثقافى للمسلمين؛ ذلك لأنّ المفكرين والمختصين يمكنهم- بعد أداء فريضة الحج- الجلوس فى موقع هادىء لتبادل الآراء وطرح الخطط اللازمة بشأن الأمور الاقتصادية والثقافية الإسلامية. إنّ مؤتمر الحج كان وما زال ملهماً لأغلب الحركات التحررية والنهضات اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۴ العظيمة التى قام بها أبناء الإسلام؛ ذلك لأنّ نطفة أغلب الثورات الإسلامية التى هدفت إلى الاطاحة بحكومات الظلم إنّما عُقدت فى رحم أيّام الحج. كانت هذه قبسات من أسرار الحج، وما زال الوقت مبكراً لأن يقف العالم على أسرار الحج وأهميّته كما قال أحد الأعلام. ونستنتج ممّا سبق أنّ لكل الشعائر الإسلامية أسراراً تعود مباشرة على الإنسان الذى يأتى بها أو المجتمع الذى يعيش فيه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۵

۵ لماذا يجب تقليد الأعلم؟

سؤال: ورد فى الرسائل العملية وجوب تقليد الأعلم، فما منشأ هذا الحكم؟ الجواب: موضوع تقليد الأعلم من المسائل المعروفة بين مشهور الفقهاء وقد ذكروا له عدّة أدلة، إليك بعض نماذجها الواضحة. فتقليد الجاهل للعالم ناشىء من السيرة العقلائية العالمية، بمعنى رجوع الأفراد فى الأُمم كافّة إلى الآخرين من أصحاب الاختصاص فى المسائل التى لا يحيطون بها علماً؛ مثلًا، الأفراد الذين ليس لديهم علم بالأمور الطبية إن مرضوا كان عليهم الرجوع إلى الطبيب، والأفراد الذين لا يجيدون فن العمارة إنّما يرجعون إلى المهندس المعمارى فى بناء العمارات. ومن الطبيعى إن برز خلاف فى وجهات النظر بين متخصصين، كأن يعتقد طبيب بعلاج معين لمرض ما ويعتقد طبيب آخر بعلاج آخر لنفس المرض، فمن المعلوم أنّ المريض إنّما يتبع الطبيب الذى بتمتع بالمزيد من المعلومات الطبية وعمق التجربة مقارنة بغيره، وبالتالى الأعلم من غيره. وهذا أسلوب منطقى اتفقت عليه الشعوب كافّة. وهذا أحد أدلة لزوم تقليد الأعلم، كما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۶ ذكر الفقهاء أدلة أخرى لا مجال لذكرها.

۶ لما نورد أذكار الصلاة بالعربية؟

سؤال: لماذا يجب أن نؤدّى الصلاة بالعربية والحال لكل أمّة لغتها التى تستطيع بها مناجاة اللّه، إلّا يتنافى هذا الأمر مع عالمية الإسلام؟ الجواب: يبدو أنّ أداء الصلاة بالعربية أحد ملامح عالمية الإسلام، ذلك لأنّ الجماعة التى تنتظم فى صف واحد وتعمل فى جبهة واحدة لابدّ لها من لغة موحدة تتفاهم بها؛ أى لابدّ أن تكون لهم «لغة عامة» بالإضافة إلى لغتهم الأُم، ولا تتمّ وحدة الجماعة دون ذلك. ويرى بعض المفكّرين أنّ البشرية لن تذوق السعادة ما لم ينتظم العالم كبلد، ولتفعيل هذا الموضوع طرحت بعض المشاريع ومنها اقتراح لغة عالمية- والخلاصة فإنّ أداء الصلاة بلغة واحدة من قبل جميع المسلمين هو رمز وحدة المسلمين ولحمتهم، وبالنظر إلى أنّ اللغة العربية باعتراف المعنيين أوسع وأشمل اللغات فإنّ المسلمين كافّة يمكنهم اعتبارها اللغة العالمية والوسيلة المتحدة للتفاهم، أضف إلى ذلك فإنّ أداء الصلاة بصيغة معينة يصونها من التحريف ومن حشوها بالخرافات والمطالب الجوفاء، ومن هنا

يتوجب على كل مسلم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۸ التعرف على هذه اللغة قدر استطاعته، ليعلم ماذا يناجى ربّه. وخلاصة الكلام كما تعتبر مسألة التوحيد إحدى أسس الأصول الدينية فإنّ الصلاة باتّجاه قبلة واحدة وفى أوقات معينة وبلغة موحدة، نموذج لهذه الوحدة. ولو تأملنا مؤتمر الحج وتلك الجماعة الكبيرة التى تصرخ مع بعضها رغم اختلاف السنتها وألوانها «اللَّه أكبر» لوقفنا على عمق هذه الشعيرة، ولك أن تتصور مدى الفوضى والهرج والمرج لو نطق بها كل فرد حسب لغته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۹

۷ لماذا يجب علينا استقبال القبلة عند الصلاة؟

سؤال: لماذا يجب علينا استقبال القبلة عند الصلاة بينما نحن نعلم أنّ اللَّه فى كل مكان؟ الجواب: استقبال القبلة فى الصلاة لا يعنى أنّ اللَّه يوجد فى مكان معين، فقد صرّح بذلك القرآن ضمن الآيات المتعلقة بالقبلة «وَللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» «۱» والآية «قُلْ للَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» «۲» ؛ بل كون الإنسان جسماً ومن خصائصه الاتجاه نحو جهة معينة عند الصلاة، مع ذلك سعى الإسلام لتوظيف هذه المسألة لصالح هذه العبادة (الصلاة)، فنحن نعلم أنّ الكعبة أقدم مركز توحيدى، والبيت الذى بناه إبراهيم الخليل عليه السلام بطل التوحيد وشدّت إليه الأنبياء والأولياء كافّة، فالتوجه إلى هذا المركز التوحيدى توجه للَّه- صحيح أنّه ليس للَّهمكان، إلّاأنّ من يقف أمام هذا المركز فهو أقرب إلى اللَّه من عدّة جهات وكأنّه يرى نفسه حاضرة عنده. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۰ إضافة إلى ذلك فإنّ توجه مسلمى العالم كافّة إلى هذا المكان المقدّس خمس مرّات يومياً يرسخ فى نفوسهم روح الوحدة والإلفة ويربط الشرق الإسلامى بغربه ويبرز عظمة المسلمين، وبالتالى يعكس جوهر التعاليم الإسلامية بصيغة وحدة هدف وعقيدة.

۸ لِمَ نصلى الصلوات الخمس فى ثلاثة أوقات؟

سؤال: لم نجمع بين الظهرين والعشائين، بينما لكل صلاة وقت معين، وكان أولياء الدين يأتون بكل صلاة فى وقتها، أى فى خمسة أوقات؟ الجواب: لا ريب ولا شك فى أنّ إقامة الصلوة فى خمسة أوقات وأداء كل صلاة فى وقت الفضيلة كانت منهج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام وعامة المسلمين الأوائل، فكانوا غالباً ما يصلون فى خمسة أوقات. لا نقاش فى هذا الأمر، ولكن هل «التفريق» بين الصلوات- كما يقول بذلك أغلب علماء العامة- واجب أم مستحب كسائر المستحبات التى يكون فيها الإنسان مخيّراً بين الإتيان بها أو تركها ويعتقد علماء الشيعة وعلى ضوء الأحاديث الواردة بشأن فعل النبى صلى الله عليه و آله وروايات الأئمّة عليهم السلام وتبعاً لظواهر القرآن أنّ التفريق بين الصلوات مستحب وكانوا يوصون الآخرين بالتفريق بين الصلوات فإنّ أداء كل صلاة فى وقت فضيلتها مستحب وهو أفضل، مع ذلك يمكن ترك هذا المستحب، وهذا هو معنى المستحب. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۲ وبالطبع فإنّ الجمع بين الصلوات لا يعنى أننا نصلى الواحدة فى وقت الأخرى مثلًا لو جمعنا العشائين، فهذا لا يعنى أننا أدّينا العشاء فى غير وقتها، بل أدّينا الصلاتين فى وقتهما المشترك؛ ذلك لأنّ وقت الصلاتين منذ أول الغروب إلى منتصف الليل (سوى أنّ أول الغروب بمقدار ثلاث ركعات يختص بصلاة المغرب، ومن الأخير بمقدار أربع ركعات يختص بصلاة العشاء وسائر الأوقات مشتركة بين الصلاتين) فإن صلّينا العشاء مع المغرب- أى أول الليل- أو أخرنا المغرب إلى آخر الليل مع العشاء فإنّنا نكون بذلك قد صلّينا المغرب والعشاء فى وقتهما، ولكن يستحب للمصلى أن يأتى بصلاة المغرب أول الليل وصلاة العشاء بعد زوال الشفق، وإن لم يلتزم بهذا الشرط فقد ترك مستحبّاً. لماذا يجوز الجمع بين الصلاتين؟ دليلنا على جواز الجمع بين الصلوات، الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام «۱». ولكن ينبغى الإلتفات إلى أنّ نقل هذه الأحاديث والروايات لا يقتصر على محدثى الشيعة، بل روى محدّثو العامة أحاديث جواز الجمع- حتى بدون عذر- عن النبى صلى الله عليه و آله واسندوا أكثر من عشر روايات إلى ابن عباس ومعاذ بن جبل وعبداللَّه بن مسعود وعبداللَّه بن عمر، نكتفى هنا بالإشارة إلى بعضها: ۱- روى احمد بن حنبل عن ابن عباس «صلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر» «۲». ۲- كما روى عن طريق جابر

بن زيد قال: «صلّيتُ مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله الظهر والعصر والمغرب والعشاء جميعاً» كما روى هذا الحديث عن ابن عباس بعبارات مختلفة. ۳- وروى فى كتابه عن عبداللّه الشقيق أنّ ابن عباس خطب الناس حتى ظهرت النجوم فنهض رجل من بنى تميم وقال: الصلاة الصلاة. فقال له ابن عباس: أنا أعرف بسنّة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۳ النبى صلى الله عليه و آله، فقد رأيت النبى صلى الله عليه و آله وقد جمع الظهرين والعشائين. قال الراوى: أصابنى الشك فسألت أبا هريرة فصدق ما رواه ابن عباس «۱». ۴- أفرد المحدّث المعروف مسلم بن الحجاج القشرى المتوفى سنة ۲۶۱ ه فى صحيحه باباً أسماه «جمع الصلاة فى الحضر» وذكر أربع روايات أسند ثلاثاً منها لابن عباس وأخرى لمعاذ بن جبل. «۲» ومضمون هذه الروايات مشابه لما أوردنا، بالإضافة إلى هذه النقطة أنّ الراوى سأل عن علة الجمع، فأجاب «أراد أن لا يحرج أمّته». وورد هذا التعليل فى روايات الشيعة وكذلك ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام فى هذا الباب «۳». ۵- لا يقتصر رواة هذه المسألة (الجمع بين الصلاتين) على ابن عباس ومعاذ بن جبل، بل روى «الطبرانى» عن «عبداللّه بن مسعود» أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله جمع الظهرين والعشائين حتى لا يحرج أمّته «۴»: كما روى ذلك عن عبداللّه بن عمر وقال: صلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله جمعاً من غير سفر حتى لا يحرج أمّته «۵». هذه طائفة من الأحاديث التى رواها العامة فى مصادرهم والتى تفيد أنّ التفريق بين الصلوات أمر مستحب، ولو شعرنا بأنّ مراعاة هذا الاستحباب يقدح بأصل أداء الفريضة سنتركه بأمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله ونجمع بينهما. ولعل الأوضاع السائدة اليوم فى أغلب المناطق تشير إلى حرج من جرّاء الالتزام بهذا الاستحباب، وربّما يؤدّى ذلك إلى استثقال البعض للصلاة. واستناداً إلى سنّة النبى صلى الله عليه و آله يمكن مراعاة «الأهم» وترك مسألة التفريق، وهذا ما عليه الآن أغلب فقهاء العامة، إلّاأنّهم يتحفظون عن ابداء آرائهم مراعاة لبعض الأمور «۶». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۵

۹ كيف تصدّ الصلاةُ الإنسانَ عن الذنب؟

سؤال: أحد آثار الصلاة على ضوء القرآن أنّها تصدّ الإنسان عن المعاصى حيث قال تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» «۱» مع ذلك يلاحظ أغلب المصلين الذين يقارفون الفحشاء ولم تؤثر الصلاة على أقوالهم وأفعالهم، فكيف تفسرون الآية؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ العامل الأساسى الذى يصدّ الإنسان عن الفاحشة والمنكر هو الإيمان وذكر اللّه. فالإنسان الغافل لا يفكر فى عاقبة أفعاله ولا يرى من حدود لارضاء رغباته وغرائزه. وبالعكس فإنّ الذكر يحول دون طغياننا وانتهاكنا للحدود، فاللّه يعلم بكل صغيرة وكبيرة تصدر منّا. فذكر اللّه هو العامل الطبيعى والفاعل الذى يسيطر على غرائزنا وتطلعاتنا اللامشروعة، وهكذا ذكر مقام أولياء اللّه والعقاب والثواب. فالقرآن الكريم يصف أولياء اللّه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۶ بالقول: «رِجَالٌ لَّاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» «۱» وبالطبع فإنّ الغفلة عن اللّه توجب ظلمة العقل والوجدان. قال أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الذكر: «إنّ اللّه جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة» «۲» . فالإمام عليه السلام يعتبر الغفلة نوعاً من صمم القلوب وعمادها والتى توجب معاداة الإنسان للحق وتمرده عليه، بينما يرى الذكر نور البصيرة ووعى القلوب الذى يكبح الغريزة ويصدها عن الطغيان. وبناءً على هذا فإنّ الغافل عن اللّه وثوابه وعقابه كالأعمى والأصم الذى يركب الفرس، فمما لا شك فيه أنّ الفرس سيرمى به وسط الوديان والمتاهات، أمّا أصحاب الذكر فهم يرون نتائج أعمالهم فيستمعون الحق ويجانبون الباطل. وقد أوصى الإمام الباقر عليه السلام أحد أصحابه فقال: «ذكر اللّه على كل حال وهو أن يذكر اللّه عند المعصية يهم بها فيحول ذكر اللّه بينه وبين المعصية» «۳». وقال الأصبغ بن نباتة قال أمير المؤمنين على عليه السلام: «أذكر اللّه فى موضعين، عند المصيبة وعند المعصية فإنّ ذكر اللّه يحول بين الإنسان وبين المعصية». طبعا ذكر اللّه على درجات، فأحياناً يبلغ الذكر مرحلة يحصن الإنسان من كل معصية فيصبح ارتكاب الذنب محالًا عادياً، ويتصف هؤلاء الأفراد بقلوب واعية ونفوس طيبة وبصائر عالية وآذان صاغية وأرواح طائعة، ولعل أغلب الناس يحرزون متوسط الذكر، فمثلًا هنالك بعض الأفراد الذين يرتكبون بعض المعاصى لكنهم لا

يسفكون دماً أو يأكلون مال يتيم أو ينتهكون عرض أحد؛ لأنهم يعلمون عذاب اللَّه الأليم على هذه المعاصى فلديهم مقاومهٔ لمثل هذه المعاصى. وأحياناً يكون ذكر اللَّه على درجهٔ من الضعف بحيث لا يحجز اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۴۷ الإنسان عن كثير من المعاصى. حيث يكون الذكر مجرّد أرضيهٔ لترك الذنب، إلّاأنّها سرعان ما تزول بفعل بعض العوامل القويهٔ. الصلاهٔ وسيلهٔ الذكر: إنّ أحد أسرار الصلاهٔ أنّها تذكر الإنسان باللَّه، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم حين قال «وأَقِمْ الصَّلاهَٔ لِذِكرى» «۱» . طبعا لما كانت الصلاهٔ عبادهٔ ولابدّ من الإتيان بها بقصد القربهٔ فهى توجب ذكر اللَّه. وبغض النظر عن ذلك فإنّ المصلى يتلفظ بأذكار كلها تدعو إلى ذكر اللَّه؛ فمثلًا نقرأ سورهٔ الفاتحهٔ فى الصلاهٔ التى تتضمن حمد اللَّه وبيان صفاته وأفعاله، ومن ثم طلبات عباده، وسائر أذكار الصلاهٔ على هذا المنوال. والأثر الذى تتركه الصلاهٔ فى أرواحنا وقلوبنا هو تقويهٔ روح الإيمان والتوجه إلى اللَّه، ولهذا التوجه بالطبع درجات وهو لا- يعدو أكثر من أرضيهٔ لدى الأفراد الذين لا يتورعون عن الذنوب وليس علّهٔ تامهٔ. بعبارهٔ أخرى مراد القرآن من قوله: «إِنَّ الصَّلاهَٔ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنكَرِ» «۲» ليس عصمهٔ جميع المصلين من الفاحشهٔ، بل المراد أنّ الصلاهٔ توجب ذكر اللَّه والتوجه إلى مقام الربوبيهٔ والأثر الطبيعى لمثل هذا التوجه حث الإنسان على الطاعهٔ وترك المعصيهٔ، ولكن ربّما كانت هنالك بعض العوامل التى تقضى على ذلك الأثر بسبب ضعف التوجه إلى اللَّه. «۳» والخلاصهٔ لو كانت الصلاهٔ صلاهٔ حقيقيهٔ لحالت دون الفواحش والمنكرات، وكلّما كانت الصلاهٔ أكمل كان تأثيرها أعظم. وناهيك عما سبق فإنّ الصلاهٔ تصد المصلّى عملياً عن أغلب الذنوب، كما تخلق لديه الأرضيهٔ لترك الذنوب، لأنّ المصلّى مضطر لاجتناب معظم الذنوب بغيهٔ قبول صلاته، فأحد اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۴۸ شرائط الصلاهٔ مثلًا اباحهٔ ماء الوضوء ولباس المصلى ومكان الصلاهٔ، وهذا ما يؤدّى به بالتدريج لتفادى الذنب وترك الكسب الحرام، فقلّما نجد من يتقيد بحليهٔ الصلاهٔ ومقارفهٔ حرمهٔ ما. والشاهد على ذلك أنّ تاركى الصلاهٔ إنّما يتركون سائر الفرائض كالصوم والحج والزكاهٔ ولا- يميزون بين الحلال والحرام والطاهر والنجس «۱». والخلاصهٔ فإنّ للصلاهٔ أثر تربوى- سواء كان قوياً أم ضعيفاً- فى المصلين، والذى يعتمد على كيفيهٔ الالتزام بالصلاهٔ والمحافظهٔ على أدائها وروحها. اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۴۹

۱۰ ما عليّهٔ صلاهٔ الآيات؟

سؤال: لماذا تجب صلاهٔ الآيات عند الخسوف والكسوف والزلزلهٔ والصاعقهٔ وشدّهٔ الرياح والأصوات السماويهٔ الرهيبهٔ؟ الجواب: هنالك أمران لتشريع صلاهٔ الآيات حين الكسوف والخسوف: ۱- يرى الإنسان أنّ للشمس والقمر والمنظومهٔ الشمسيهٔ نظاماً عجيباً، فالشمس تبعث بأشعتها إلى الاحياء كافّهٔ لتنمو وتتكامل، والقمر يضىء لنا الليل ويحصى لنا الزمان بحركته المنتظمهٔ؛ الأمر الذى جعل الإنسان البسيط يعتقد بحكومهٔ هذين الكوكبين لعالم النباتات والجمادات والكائنات الحيهٔ، ومن هنا ظهرت عبادهٔ الشمس والقمر، حيث اعتقد البعض أنّ الحاكميهٔ المطلقهٔ للشمس والقمر بدل حاكميهٔ اللَّه. وقد وجه بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام أشدّ صفعهٔ لعقيدهٔ هؤلاء من خلال إثباته لانقياد هذه الكرات للقوانين التى تحكم الوجود «۱» واستدل على كونها مخلوقهٔ من خلال افولها (غروبها) وخفائها عن الأنظار، والكسوف والخسوف علامهٔ أخرى على مخلوقيتها اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۵۰ ومحدوديتها إزاء الخالق، وتفيد أنّها لا تملك أيّهٔ استقلاليهٔ فى ارسالها لأشعتها، وبالتالى هنالك من يسيرها ويسيطر عليها. وعليه فالكسوف والخسوف أفضل دليل على مخلوقيهٔ ومحدوديهٔ الشمس والقمر إزاء الإرادهٔ المطلقهٔ التى تحكم عالم الوجود. وحين نواجه ظاهرهٔ الخسوف والكسوف- الظاهرهٔ التى ترشدنا إلى الإذعان بانقياد هذه الأجرام إلى الإرادهٔ القاهرهٔ، كما ترسخ لدينا الاعتراف بالخالق المهيمن على كل شىء- يثار لدينا حسن الإيمان فنصلّى صلاهٔ الآيات ونسجد للَّهونعرب عن خضوعنا الباطنى. على غرار بطل التوحيد إبراهيم عليه السلام الذى خلص إلى ذات النتيجهٔ بعد افول تلك الأجرام والتى نخلص إليها فى الكسوف والخسوف فقال: «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۱». ۲- أضف إلى ذلك حين تستجد بعض الأوضاع المخيفهٔ والمفاجئهٔ فى السماء، فإنّ بعض الناس يلجأون إلى سلسلهٔ من الأمور الخرافيهٔ ويرون أنّ هذه الأعمال مؤثرهٔ فى رفع هذه الحادثهٔ، والإسلام بتشريعه

لصلاة الآيات حين الخسوف والكسوف إنّما يصد الناس عن هذه الإنحرافات ويلفت انتباههم إلى المصدر الذى تستند إليه الحوادث والظواهر كافّة، بالإضافة إلى أنّها تمنح الإنسان الأمن والهدوء والسكينة إزاء هذه الحوادث.

۱۱ لِمَ يجب على المرأة ستر بدنها عند الصلاة؟

سؤال: لِمَ يجب على المرأة ستر بدنها عند الصلاة واللَّه عالم بالسر والعلن لكل موجود؟ الجواب: لا شك فى أنّ اللَّه عالم بكل شىء والغيب والشهود لديه سيان، إلّاأنّ الإنسان يرى نفسه حين العبادة بين يدى اللَّه ويناجيه ويتضرع إليه، وعليه لابدّ أن يرتدى أحسن الثياب ومن الواضح أنّ الثوب التام الكامل- أى ثوب العفة والحشمة يعكس جوهرها- هو أنسب لباس عند العبادة. حتى بالنسبة للرجال فإنّ الصلاة بالبدن العريان لا تبطل ولكنّها تنأى به بعيداً عن الخضوع والتواضع للَّهبل الأفضل بالإضافة إلى ستر الواجب أن يصلى بلباس يفيد الاحترام والخضوع، فمثلًا ليس من الصواب الصلاة بالملابس لداخلية ومن الأفضل أن يرتدى بعض الثياب رغم كفايتها.

۱۲ ما علّة نجاسة المشروبات الكحولية؟

سؤال: لم اعتبر الفقهاء فى رسائلهم، المشروبات الكحولية نجسة، والحال أنّ الكحول مضاد للتعفن ويقضى على المكروبات، فما حكمة كونه نجسة؟ الجواب: إنّ ما حكم الإسلام بنجاسته ينطوى على عدّة عوامل: الطائفة الأولى الأشياء النجسة ذاتاً ومصدر العديد من الأمراض- كالبول والدم و ...- فأوجب الإسلام اجتنابها. الطائفة الثانية: الأشياء غير النجسة ظاهرياً، لكنّها نجسة معنوياً، فعدّها الإسلام غير طاهرة- كالكفّار- فربّما يكون الكافر طاهر ونظيف ظاهرياً، ولكن كما قيل فى جواب السؤال السابع عشر حيث له عقائد منحرفة فهو ملوث روحياً ولا يطهر هذا التلوث مهما تنظف ظاهرياً- وقد حكم الإسلام بنجاسته لحفظ عقائد المسلمين ليحول دون الاختلاط به فيحافظون على طهارتهم الروحية، ولو لم يحكم بنجاسته واذن بالارتباطات كافّة به اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۴ لتأثر العديد من الأفراد الضعاف بأفكاره وعقائده «۱». أضف إلى ذلك فإنّ الاختلاط التام به يدعو إلى تغلغله فى المجتمعات الإسلامية وتتسع الخطط الاستعمارية، أمّا الاختلاط المحدود فلم ينه عنه الإسلام واذن بالانفتاح التجارى والعلمى على هذه الطائفة. الطائفة الثالثة: الموضوعات التى لا تتضمن ما سبق لكنها أساس سلسلة من المفاسد الاجتماعية والفردية كالمشروبات الكحولية صحيح أنّ الكحول مضاد للتعفن، إلّاأنّ شرب هذا الكحول يؤدّى إلى العديد من الاختلالات. ولذلك حكم الإسلام بنجاسته ليحول بالتالى دون استعماله من قبل الناس. فالإنسان المسلم إن عَلِم بنجاسة شىء سعى إلى الابتعاد عنه، ومن الواضح أنّ لهذا الأمر تأثير عميق فى عدم التلوث بالمشروبات الكحولية، وهذا بحدّ ذاته حرب شعواء على المشروبات الكحولية «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۵

۱۳ ما الفارق بين العرق والبول؟

سؤال: «البول» و «عرق البدن» كلاهما مواد زائدة، فَلِمَ كان أحدهما نجساً والآخر طاهراً، مع العلم أنّ تركيبهما الكيميائى متشابه؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ البول والعرق متشابهان من حيث التركيب الكيميائى، إلّاأنّهما يختلفان فى عدّة أمور، وهذا الاختلاف يمكن أن يؤدّى إلى اختلافهما فى الحكم، لأنّه كما سنرى أنّ البول يحتوى على بعض المواد السامة التى لا وجود لها فى العرق. توضيح ذلك: يتركب البول من المواد الآتية: ۱- اليوريا ۲- حامض اليوريك ۳- الأورات ۴- الأوروبيلين ۵- حامض الهايبوريك ۶- الاروكرم والأوروبيلين وكلاهما من ألوان البول ۷- المواد المعدنية و «الكلوكوز» فى مرض السكر. ويتركب العرق من المواد الآتية: ۱- اليوريا ۲- حامض اليوريك ۳- الأورات ۴- المواد المعدنية؛ وعليه فالمواد اللونية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۶ وحامض الهايبوريك وكلاهما سام ودرجة سمية فيهما عالية نسبياً ليسا موجودين فى التركيب الكيميائى للعرق، والعرق يخرج

من مسامات الجلد والتبخر مباشرة وهذا التبخر يمنع نشوء المكروبات على سطح البدن، بينما تبقى مختلف المكروبات فى البول. ومن هنا يمكن فهم حكم الشريعة بنجاسة البول وطهارة العرق. لأنّه؛ أولًا: يقتصر وجود المواد السامة على البول، ولا وجود لها فى العرق. ثانياً: مقدار اليوريا فى البول أضعاف ما هو عليه فى العرق والذى يحتوى على مواد سامة. ثالثاً: حيث يتبخر العرق فلا يترك مجالًا للمكروبات على الجسم. رابعاً: تركيبات البول تعدل عشرة أضعاف تركيبات العرق غلظة، ونعلم أنّ هذا الفارق يمكن أن يجعل أحدهما ضارّاً والآخر خالياً من الضرر. وبغض النظر عمّا سبق فإنّ اجتناب العرق أمر فى غاية الصعوبة ويوجب العديد من المعاناة، وليس البول كذلك.

۱۴ ما فلسفة غسل الميت وغسل مسّ الأموات؟

سؤال: ما فلسفة غسل الأموات وغسل مسّ الأموات؟ لم أمر الشرع بغسل من يموت، ومن لمسه قبل الغسل وجب عليه الغسل؟ الجوب: كما ذكرنا كراراً أنّ فلسفة بعض الأحكام الإسلامية ليست واضحة لنا، ولكن بمرور الزمان وتكامل العقل البشرى وتقدم العلوم فإنّ فلسفة العديد من الأحكام ستتضح، وربّما تتضح مستقبلًا فلسفة البعض منها. وأمّا بشأن السؤال فيمكن القول: إنّ أحد أسرار غسل مسّ الميت هو احترام الميت لدى جميع الشعوب على غرار احترامه حين كان على قيد الحياة. ورغم أنّ الإسلام أبطل العديد من الممارسات الإنحرافية للأقوام السابقة إزاء الموتى، لكنّه يعتقد بضرورة رعاية حرمة الأموات بما فيها غسلهم وتكفينهم ودفنهم؛ وعلى هذا الضوء فإنّ موضوع غسل الميت وسائر التشريفات نوع من رعاية حرمة الموتى. بعبارة أخرى إنّ الإسلام ينظر بإكبار إلى الإنسان ويسعى لرفع قيمته بمختلف الوسائل، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۸ بحيث لم يتخلّ عنه حتى بعد حياته، فشرع بعض القوانين التى لا تسمح لأحد بإنتهاك حرمة الميت المسلم، بل لا تسمح بالتجاوز على قبره. أضف إلى ذلك حيث يرى الإسلام أنّ الموت ليس نهاية الحياة، بل نافذة على عالم آخر والنزول فى عالم آخر والنزول جوار الرحمة الإلهيّة، فقد أمر بنظافة وطهارة الموتى وارتدائهم الثياب المتواضعة الطاهرة وتوسد التراب، ليكون هذا العمل رمز بقاء الحياة الحقيقية وامتدادها «هذه فلسفة غسل الميت». غسل مسّ الميت: لابد من ذكر بعض الامور قبل ان نخوض فى أصل الجواب: ۱- عادة ما تثار عواطف وأحاسيس قرابة الميت اثر فقدهم لفرد من أفراد الاسرة العزيز عليهم و عليه فلا يسعهم رؤية قطع ارتباطهم به فجأة. وهؤلاء يفعل أنسهم وحيهم له يرومون حتى بعد الموت تقبيله واخذه باحضانهم الحنونة. ۲- و هذه النقطة واضحة ايضاً فى ان بدن الافراد الميتين يكون ملوثا بانواع المكروبات اثر المرض أو التسمم و فقدان القوة الدفاعية، والاقتراب منه يستيطن عدة مخاطر من الناحية الصحية. ۳- لم ينبر الاسلام قط لمواجهة و منافحة احاسيس الانسان و عواطفه، او يتجاهل نزعاته العطبيعية، بل يوجد تلك العواطف والاحاسيس ضمن مسيرة خاصة. وبالالتفات الى هذه الامور يمكن الاستنتاج: ان الاسلام و بغية الحيلولة دون تلوث كافة الافراد- سيما المتبقين للميت- بانواع المكروبات والاصابة بمختلف الامراض التى يمكن ان تنتقل عدواها إليه من الجسد الخالى من الروح و فى نفس الوقت بتحريم مس الميت لم يتصد لعواطفهم واحاسيسهم المستثارة فقد اورد مشكلة قانونية؛ فقد أمر بالغسل كل من يمس بدن الميت او يتصل بجسده بأى نحو من الانحاء. لاشك ان هذا القانون رغم حده من تماس الاحياء بالاموات و حال دون اصابتهم بانواع الامراض المحتملة، لكنه لم يتجاهل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۹ عواطفهم واحاسيسهم، وكلما تعطل هذا المشكل القانونى المؤثر فى عدم حدوث التماس فان «غسل مس الميت» سيكون أفضل وأبسط اسلوب غسل لدفع المكروبات المحتملة. قد يشكل البعض ان غسل مس الميت ان اوجد مشكلة قانونية و بغية الحيلولة دون الاصابة بالامراض، فلم لايوجب مس بدن الميت بعد غسله والاتصال به الغسل؟ و يبدو ان هذا الاشكال سطحياً و الرد على ذلك واضح، لأن غسل الميت بالماء المخلوط بالسدر والماء المخلوط بالكافور و بالماء الخالص عنصر مؤثر ضد التعفن وتنظيف الميت و على الاقل سوف تنعدم الاخطار المحتملة قبل الغسل لمدة معينة. و من البديهى فى هذه الحالة انهم سيدفنون الميت بعد مدة من الاتيان بالمراسم المذكورة و سينتفى احتمال بروز الميكروبات الجديدة و انتقالها للانسان. و ما قيل فى

غسـل الاـموات و غسـل مس الميت جـانب من فلسـفهٔ هـذه الاحكام؛ و لعل هنالك العديـد من النقاط الخفيـهٔ علينا لحـد الان. اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۶۱

۱۵ لماذا يحرم أبناء الزنا من بعض المناصب؟

سؤال: إننا نعلم بأنّ الأبناء الـذين يولـدون من علاقات غير شـرعيهٔ ليس لهم أی ذنب، مع ذلک ذمّت بعض الروايات الإسـلاميهٔ هؤلاء وحجرت عليهم بعض المناصب الاجتماعيـهٔ المهمّهٔ كالقضاء وإمامهٔ الجماعهٔ والفتوی و ... فكيف يتعرض شـخص لكل هذا الذم وهو لم يرتكب أی ذنب ولمجرّد كون والـديه آثمين! أضف إلی ذلـک فـإنّ البعض يقول إنّ هؤلاـء الأفراد لا يـدخلون الجنّهٔ ولا ينعمون بالسـعادهٔ، فهل هـذا الكلام صـحيح، رغم إننا نعلم بأنّ اللّه حكيم ولا يحاسب أحـداً بـذنب آخر «ولا تزر وازرهٔ وزر أخری ؟ الجواب: نـورد بعض النقـاط المهمّـهٔ فی البحث قبـل الخـوض فی الجواب: ۱- لمـا كـانت الروابط اللامشـروعهٔ تقضـی علی العلاقات الحقوقيهٔ والقضايا الماليهٔ للأب والابن، فإنّ جذور النسبهٔ والعواطف العائليهٔ التی تشـكل أساس المجتمع تصاب بالشـلل؛ فالزانيهٔ لا تعلم بالرجل الـذی عقـد نطفته فی رحمهـا، وبالتالی لا يعرف الولـد من هو أبوه، اجوبـهٔ المسائل الشـرعيهٔ، ص: ۲۶۲ ناهيک عن عشـرات المفاسد الأخلاقيـهٔ والنفسـيهٔ والاجتماعيـهٔ والتربويـهٔ والعائليـهٔ والماليـهٔ والعاطفيهٔ التی يفرزها الزنا، كل ذلک يدعو الأنبياء والمشـرعين بما فيهم المشـرع البشـری إلی تحريم الأعمـال المنافيـهٔ للعفـهٔ وخطر العلاقـات الجنسـيهٔ الشاذهٔ. ۲- هنالـک عـدّهٔ ضوابـط لتنظيم عمليـهٔ الزواج الشـرعی، وعليه فالعلاقـات اللامشـروعهٔ تعـدّ «مخالفـهٔ للقـانون» و «انتهاكـاً لحرمـهٔ إنسانيـهٔ الإنسـان» ولـذلک يشـعر الآـثمون بنوع من الاضـطراب والقلق الذی يفرزه العمل الفاحش، ولو لم يحيه هذا الشعور لاندفع نحو التمرد العلنی وتجاوز القوانين. ۳- إنّ الأبناء وعلی ضوء قانون الوراثهٔ يرثون القضايا النقيهٔ والفكريهٔ لآبائهم وأُمهاتهم، فكما يرثون خصائصـهم البدنيهٔ من قبيل لون العين والشعر والوجه، فإنّهم يرثون خصائصـهم الشخصـيهٔ مثل: الغضب والحـدهٔ والمرونـهٔ والطغيان وما إلی ذلک. والواقع أنّ الوراثـهٔ أساس مسـتقبل الأفراد والصانعـهٔ لجـانب مهم من شخصـيتهم وإعـدادهم لمصيرهم. والـذی نخلص إليه ممّـا سـبق أنّ أبنـاء الزنـا غالباً ما يرثون روح الطغيان والتمرد علی القانون والعصـيان عن آبائهم وأمهاتهم ليكونوا أكثر استعداداً من غيرهم لمقارفهٔ الجريمهٔ وممارسهٔ العدوان، ولذلک فإنّ سوء التعليم الفردی أو الوسط الشاذ يكفی لإثارهٔ روح العـدوان لـديهم وتجسـيدها علی أرض الواقع. أمّا بشأن حرمانهم من المناصـب الاجتماعيهٔ، فإضافهٔ إلی ما قيل سابقاً بخصوص وضعهم الروحی، فالأمر لا يعدو كونه احتياطاً منطقياً بهدف حفظ المصالح الاجتماعيهٔ، إلی جانب كون الإسـلام يولی أهميـهٔ فائقـهٔ للتصـدی لهـذه المناصب الحساسهٔ، ومن هنا لا يسـمح بشـغل هذه المناصب لمن يتصـف ببعض نقاط الضـعف والسوابق السـيئهٔ. ولكن لا ينبغی أن يفهم ممّا سـبق أنّ مجرّد كون الفرد ابن زنا فذلک يعنی حرمانه من السعادهٔ وتعـذر انفتـاحه علی التربيـهٔ الإسـلاميهٔ الصـحيحهٔ. فابن الزنا كسائر الأفراد يمتلک الإرادهٔ فی اختيار الطريق، كما يسـتطيع تنميـهٔ جانب الفضـيلهٔ فی نفسه فيكتب اسـمه فی اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۶۳ الجنان. فهذا الفرد ليس شـرير ومنحرف بالفطرهٔ ولا يسـعه الرفع من شأنه، بل كما قال الإمام الصادق عليه السـلام: «إنّ ولـد الزنا يسـتعمل إن عمل خيراً جزی به وإن عمل شـراً جُزی به». وعليه فالـذم الـذی ساقه الإسـلام بشأن ابن الزنا إنّما يهـدف إلی تحذيره من صـعوبهٔ وخطورهٔ موقفه ويرشده إلی ضـرورهٔ الإلتفات إلی نفسه وبذل الجهود لتجـاوز الأزمـهٔ والوصول إلی شاطیء الأمان والسـعادهٔ، لا أنّ عوامل التعليم والتربيـهٔ لا تجـدی معه نفعاً وأنّه لا محالـهٔ من أهل النار. بعبارهٔ أخری إنّ الأولاد الـذين ينحـدرون من علاقات شاذهٔ علی غرار الأطفال الذين يولدون من آباء مرضـی مصابين بالسل وما شـابه ذلک، فمثل هؤلاء الأطفال أكثر عرضـهٔ للاصابـهٔ بهـذه الأمراض، وعليه لابـدّ لهم من المبادرهٔ إلی علاجها، وأبناء الزنا يمتلكون عادهٔ شـيئاً من الاسـتعداد لانتهاک حرمـهٔ القانون ومقارفهٔ الذنب والمعصـيهٔ فإن غاب التعليم الصـحيح والتربيهٔ وضـعفت لديهم الإرادهٔ والعزم سـقطوا فی وادی الجريمهٔ. وعلی هذا فإنّ المصلحهٔ العامهٔ تقتضی اتخاذ بعض الإجراءات الإحترازيهٔ بما فيها التحفظ عن منحهم بعض المنـاصب الخطيرهٔ. وأمّـا مـا تصوره البعض من أنّ أبنـاء الزنـا سوف لن يـذوقوا طعم السـعادهٔ فهو تصور خـاطیء، بل هم كسائر

الأفراد باستطاعتهم أن يكونوا سعداء أو أشقياء. والجدير بالذكر أنّ أبناء الزنا إن صمدوا إزاء الذنوب والمعاصى كان لهم مقام أرفع من نظرائهم، ذلك لأنّهم جهدوا أنفسهم أكثر وأشمل. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۵

۱۶ أضرار لحم الخنزير

سؤال: ما هى الأضرار الكامنة فى لحكم الخنزير ليحرِّمه الإسلام، مع العلم أنّ المسيحيين يحبّونه حبّاً جمّاً؟ الجواب: ثبت اليوم أنّ لحم الخنزير أخطر ممّا كان يتصور، فهنالك الأخطار الأخلاقية (عن طريق الهورمونات) والأخطار الصحيّة. ونشير هنا إلى أحد أضراره الصحيّة حيث يؤدّى إلى الإصابة بالمرض المعروف وما نذكره هنا ترجمة لمقالة مصدر علمى أمريكى ارسلت لنا من قبل الدكتور محمد غفرانى. *** مرض خطيرنا شيء من لحم الخنزير: فقد تسلّمت المنظمات الطبية عدّة تقارير من الأطباء بشأن المرض المعروف «تريشينوزيس» والخطير فهو مرض طفيلى ناشىء من دودة صغيرة شعرية الشكل. وهذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۶ الدودة تقضى دورة حياتها فى جسد الخنزير وسائر الحيوانات، ولعل كل من تناول لحم خنزير مصاب كان عرضة للإصابة بهذا المرض، إلّاأنّ حساسية الإنسان بهذا الخصوص كبيرة- على سبيل المثال، لو تناول الدب لحم الخنزير فإنّه يصاب بالمرض بسرعة، كما يصاب به من تناول لحم الدب- وعادة ما يصاب الإنسان. إن تناول لحم خنزير ليس بناضج (ولا يسع أحد الزعم أنّه تناول لحم خنزير مطبوخ بصورة تامة) ذلك لأنّه يلاحظ الآن بعض الإصابات إثر تناول اللحم المطبوخ بالوسائل الحديثة وقد إشار إلى ذلك صاحب المقالة. وتفيد بعض الدراسات أنّ فئة صغيرة من بين ۲۵ مليون شخص مصابون بهذا المرض الطفيلى بدت عليهم الأعراض، بنحو بارز بصورة كامراض سريرية بينما بقى مجهولًا لدى الاطباءه كثر من الف اصابة! كما خمن ان ۲۵ مليون حالة مرضية من قبل المرضى الذين ثبت هذا الطفيلى فى عضلات بدنهم ان ۱۶۰۰۰ فقط بينت حالاتهم المرضية بصورة واضحة فى العيادات، بحيث توفى منهم خمسة بالمئة بسبب شدة التلوث. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۷

۱۷ ما علّة نجاسة الكافر؟

سؤال: ما فلسفة حكم الإسلام بنجاسة أتباع سائر الأديان «الكفّار» وعدم جواز الاختلاط المسلمين بهم (والحال ربّما يكونون أكثر مراعاة للنظافة والأمور الصحية من سائر المسلمين)؟ طبعاً لابدّ استبعاد أنّ الاختلاط بهم ربما يؤدّى إلى الانحراف الفكرى لبعض المسلمين، فالإسلام دين الواعين لا- المغفلين!. الجواب: صحيح أنّ الإسلام دين الواعين لا- المغفلين، لكن إن كان المراد أنّه دين جماعة معينة فليس الأمر كذلك، بل هو دين للجميع؛ وإن كان المراد أنّ الواعين أكثر انفتاحاً على التعاليم الإسلامية فذلك صحيح أيضاً، إلّاأنّ ذلك لا يعنى إهمال القوانين الإسلامية للأفراد من ذوى الاطلاع المحدود وعدم الإلتفات إلى أوضاعهم. وكما أشرنا سابقاً فإنّ نجاسة الكفّار قطعاً نجاسة معنوية وباطنية؛ لا تظهر آثارها على أجسامهم، وأحد فوائد ذلك حفظ عقائد أغلب المسلمين من جراء الاختلاط وما يسببه من انحراف وضلال فكرى، وليس فى هذا الأمر من جديد فأغلب المصلحين يوصون عامة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۸ الأفراد بالابتعاد عن الاختلاط بالمنحرفين والضالين، غاية ما هنالك أنّ الإسلام بيّن هذا الموضوع بصيغة الحكم بنجاسة الكفّار، من جانب آخر نرى أنّ الإسلام أذن بإقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية معهم على ضوء بعض الشروط، لكنه لم يسمح بالجلوس معهم على مائدة، بالتالى أراد الاستفادة من منافعهم والحذر من أضرارهم الأخلاقية والعقائدية من جرّاء الاختلاط بهم. طبعاً نحن لا- نقول إنّ الواعين من المسلمين يمكنهم الاختلاط بهم، كلا- فليس فى الأحكام الإسلامية من استثناء وهى عامة، وعموميتها سبب حفظها، وإلّا لزعم كل فرد أنّه مطلع ولا يرى من ضرر فى اختلاطه بالكفّار فينتهك حرمة الأحكام الشرعية (لابدّ من التامل). وبغض النظر عمّا سبق فإنّ أغلب الكفّار لا يتورعون عن النجاسات كالدم ولحم الخنزير والمشروبات الكحولية، وعليه فحياتهم بالتالى مجموعة نجاسات، وبغية تفادى هذه النجاسات عدهم الإسلام نجساً ليتحفظ المسلمون عن الإختلاط بهم حفظاً لهم من

النجاسة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۹

۱۸ لماذا الجزية؟

سؤال: المراد من بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إرشاد الناس وهدايتهم،، إلّاأننا نرى بعض المقررات الإسلامية التى لا تنسجم مع الهدف الأصلى للدين- الإرشاد إلى الصراط المستقيم- من قبيل فرض الجزية على اليهود والنصارى، والحال الجزية قضية مادية، ثم كيف يشجعهم الإسلام على البقاء على معتقداتهم وأديانهم المحرفة؟ الجواب: إنّ أحد امتيازات الإسلام عدم إكراهه الغير على اعتناقه، كما ورد ذلك فى الآية ۲۵۶ من سورة البقرة «لااكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ». وسرّ ذلك واضح فى أنّ الإسلام انطلق فى دعوته منذ اليوم الأول على أساس المنطق والدليل والبرهان ومحاربة الوهم والخرافة، وسلاحه عرض الحقيقة وايقاظ الراى العام، فما حاجته للإكراه وهو يمتلك ذلك السلاح الذى استقطبه الواعون من الأفراد؟ والواقع أنّ العقيدة والإيمان الحقيقى يتطلب مقدمات وأُسساً معينة ما لم تحصل فى ظلّ الإدراك والبصيرة والاختيار، فمن المحال أن يشق الإيمان سبيله إلى القلب، ولو فرض اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۰ بالقوّة لما استقر فى القلب، ولما تجاوز اللسان، وبالتالى ليس لهذا الإيمان من قيمة فى الإسلام. فالإسلام يستقطب الأفراد الأوفياء لمبادئه المقدّسة ولا يتخلون عنها أبداً، وهذا الإيمان لا يفرزه إلّاالمنطق والدليل. أمّا الجزية فهى ضرائب سنوية يدفعها أهل الكتاب للدولة الإسلامية، وسبب فرض هذه الضرائب أنّ بلدانهم تدار من قبل المسلمين، أو أنّهم يعيشون كأقلية فى المجتمع الإسلامى، والدولة الإسلامية مسؤولة عن توفير الأمن والدعم والحماية لهم، ومن هنا ينبغى جباية الضرائب من كل فرد لم يقر بالإسلام لتصرف فى سبيل رفاهه وحفظ ماله وعرضه وحياته، ناهيك عن عدم اشتراك هؤلاء الأفراد فى المعارك التى يخوضها المسلمون ضد أعدائهم. وتفيد الشواهد التاريخية أنّ الأموال التى كانت تجبى من أهل الذمّة لم تؤخذ بالقوة والاكراه واليك نماذج من ذلك: ۱- إنّ «عبادة بن الصامت» حين دعى المصريين والأقباط إلى الإسلام كان يخيّرهم بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية ويؤمنهم على أموالهم وأعراضهم والدفاع عنهم تجاه الأعداء. ۲- حين انتصر المسلمون على الروم انبرى أهل حمص لدفع الجزية ثم أراد المسلمون فسخ عقدهم مع نصارى حمص بموافقة الطرفين، وعرضوا عليهم إعادة ما استلموه منهم من أموال. فرد عليهم أهل حمص بأنّهم لا يرضون بفسخ العقد بعد أن لمسوا عدالتهم وتقواهم التى لا يمتلكها الروم، وأعربوا عن استعدادهم للقتال إلى جانب المسلمين. ۳- إنّ مقدار الجزية التى عينها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالنسبة لنصارى نجران توضح حقيقة الموضوع، حيث تقرر أن يدفعوا سنوياً ثلاثة آلاف «حلّة» وقيمة كل حلّة أربعون درهماً خلال دفعتين، ألفان فى شهر صفر وألف فى رجب، كما صالح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أهل «أذرح» على أن يدفعوا مئة دينار سنوياً. حقاً إنّ هذه الأموال لا تبدو كثيرة إزاء حفظ أموالهم وأعراضهم وأرواحهم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۱

۱۹ ثياب الإحرام

سؤال: لماذا يجب أن تكون ثياب الإحرام متواضعة وغير مخيطة؟ الجواب: مراسم الحج من العبادات الجماعية التى ينبغى أن تتمّ فى ظلّ تجرّد تام، ولذلك اكتفى بقطعتين من القماش ونهى عن ارتداء الثياب المتعارفة التى تعكس الامتياز والاختلاف، وهكذا يتجسد ذلك اليوم الذى تتطلع إليه البشرية فى طرح عوامل الامتياز الفارغة كافّة. بعبارة أخرى الحج أروع مظاهر مساواة الناس أمام اللَّه، ومن هنا كان لابدّ من التخلى عن الثياب المدعاة للتفاخر لتسود المساواة الجميع.

۲۰ لماذا تتلف لحوم الأضحيات؟

سؤال: ما القصد من الذبح فى عيد الأضحى بأرض منى رغم عدم الاستفادة الصحيحة من هذه الأضحيات ودفنها فى التراب؟ الجواب:

نعلم أنّ أحد مناسك الحج نحر الأضحية فى العاشر من ذى الحجة، وهذه فريضة إسلامية صريحة، واحد أسرارها احياء تلك التضحية العظيمة التى قدمها بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام. فقد أمر اللّه نبيّه إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده فى منى قربة إلى اللّه تعالى– طبعاً كان ذلك الأمر امتحاناً ويهدف إلى إثبات جدارة ذلك الولى الربانى، ولذلك حين إمتثل الأمر أمره اللّه سبحانه بذبح كبش بدلًا من ولده. وقد اثبت استعداده لامتثال الأمر وطاعة اللّه. أنّ روح الطاعة والتضحية لديه فى ظلّ الإيمان كانت أقوى حتى من عواطف الأبوة. وحجاج بيت اللّه الحرام إنّما يستحضرون إخلاص إبراهيم وتضحيته ورسوخ إيمانه بذبحهم فى منى، وهكذا يعلم أحدهم الآخر دروس التضحية والإخلاص بهذا العمل، وكأنّهم يقولون عملياً: ولى اللّه من يضحى بكل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۴ شىء فى سبيل اللّه، كما فعل ذلك العبد الصالح، وهذا قبس من أسرار الذبح فى منى. والآن لابدّ أن نرى رأى الإسلام بهذه الأضاحى، وما وظيفة المسلمين بهذا الخصوص؟ للجواب عن هذا السؤال، نرى من الضرورى الرجوع إلى القرآن، حيث تضمّنت سورة الحج آية تأمر جميع من كان فى منى يوم الأضحى بالذبح فقالت: «وَأَطْعِمُوا البائِسَ الفَقيرَ» «۱» ، وفى آية أخرى «فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا القانِعَ وَالمُعْتَرَّ» «۲». وأوصت الرسائل العملية حجاج بيت اللّه الحرام بجعل لحم الشاة ثلاثة أقسام: قسم لهم وآخر للمؤمنين وثالث للمحتاجين. وتفيد هذه التعليمات أنّ المراد من ذبح الحيوانات بالإضافة إلى سلسلة الفوائد المعنوية المذكورة سابقاً، هو أن يكون هنالك استهلاك صحيح لهذه الذبائح وأن لا يفعل ما يؤدّى إلى الاسراف والتبذير. واليوم وظيفة الحجاج والدول الإسلامية اتخاذ بعض التدابير للاستفادة الصحيحة من هذه اللحوم، وهذه الوظيفة الإسلامية تنسجم مع سائر الأهداف. فلابدّ من إنشاء برادات مجهزة بدلًا من دفنها تحت التراب ليتمّ الاستفادة منها كما بين القرآن الكريم. ففى السنوات السابقة التى لم يكن الحجاج بهذا العدد، كانت اللحوم تستهلك بصورة صحيحة، وعليه لما تطورت اليوم وسائل النقل والمواصلات، فلابدّ من توظيف بعض الوسائل الحديثة للحيلولة دون اتلاف هذه اللحوم والأخذ بنظر الاعتبار الأهداف الإسلامية وأن تمنع أنواع التبذير والاسراف كافّة، وإن كان هنالك من تقصير فإنّما يتحمل مسؤوليته المسلمون. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۵

۲۱ لماذا كانت قراءة «الكتب الضالة» حرام؟!

سؤال: إنّ الإسلام دين العلم والمعرفة، فلماذا يُحرّم بعض الكتب «كتب الضلال»؟ الجواب: نعلم أنّ الإسلام دين العلم والمعرفة، ويحث هذا الدين السماوى الناس على كسب العلوم والمعارف، ويعتبر رقى الفرد والمجتمع مرهوناً بالعلم والمعرفة، ولكن فى نفس الوقت يركز الإسلام على نقطة أساسية وهى، كما ينبغى حفظ المجتمع من الأخطار المادية كالأمراض المعدية، فلابدّ من حفظه من عوامل الانحراف الفكرى والمعنوى. والأفراد فى المدنية المعاصرة أحرار فى اعتناق أيّة عقيدة وفكر منحرف ما لم يخل بالنظام المادى للمجتمع، غير أنّ القضية ليست كذلك فى الإسلام، حيث يسعى الإسلام لخلق مجتمع يحث الخطى نحو التكامل المعنوى والأخلاقى. وعلى هذا الأساس يتضح سبب حظر الإسلام لقراءة كتب الضلال التى تمس العقيدة والخلق الأصيل. فلو كانت قراءة هذه الكتب سياحة للجميع فما الضمان لعدم الانحراف الفكرى والأخلاقى؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۶ ومن هنا لم يسمح الإسلام بتداول ونشر كتب الضلال فى الأوساط العامة، بكل حرية و تطالع من قبل عامة الناس مع ذلك وعلى ضوء تبنى هذا الدين للعلم والمعرفة، فإنّ الإسلام لم يحظر مطالعة هذه الكتب على العلماء الذين يمتلكون القدرة على تمييز الحق من الباطل. وليس للعلماء حق مطالعة هذه الكتب فحسب، بل يجب عليهم مطالعتها ليتعرفوا على منطق الخصوم كما ورد فى هذه الكتب فيهبوا لتفنيده بالطرق الصحيحة، والتاريخ الإسلامى حافل بالعديد من الاحتجاجات بين علماء الدين وخصومهم من غير المسلمين، وقد خاض بعض الأعلام فى جمع هذه المناظرات من قبيل صاحب كتاب «الاحتجاج» «۱»، وهذا دليل على أنّ حرمة كتب الضلال فى الإسلام ليست بمعنى قتل حرية الفكر ومناهضة العلم؛ حيث كان أئمة الدين يعتمدون المنطق والبحث الحر فى الردّ على العقائد الخاطئة، لا من خلال خلق الارهاب الفكرى والعقائدى. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۷

۲۲ لماذا لا يمكن اعطاء القرآن لغير المسلم؟

سؤال: بما أنّ كتابنا السماوى القرآن هادى الأُمم ونبراس المجتمعات البشرية، وعليه لابدّ أن ينفتح عليه كافّة الناس- المسلم وغير المسلم- ليستضيئوا بتعاليمه ويهتدوا إلى الحق، إلّا أنّ الكتب الفقهية تشير إلى عدم إمكانية إهدائه للكافر أو تزويده بنسخة منه. الجواب: إن كان الهدف من تزويد غير المسلم بالقرآن يتمثل فى هدايته إلى الإسلام والتعرف على تعاليمه فلا مانع من ذلك، بينما يحظر ذلك ما لم يتضمن الهدف المذكور، ذلك لأنّ أعظم شهادة على أحقية الإسلام والمعجزة الخالدة لنبى الإسلام هو القرآن بصفته الوثيقة الحيّة التى تبعث بأشعتها إلى جميع العصور، وإنّ إحدى طرق الانتفاع به فى أن يطبع بطبعة لطيفة وتوزع فى أنحاء العالم ليتعرف الباحثون عن حقيقة الإسلام من خلال الآيات القرآنية؛ وهذا بحد ذاته شهادة قيمة على مضامين هذا الكتاب الغنى عن الزمان والمكان ويستقطب المجتمعات البشرية. وقد أوصى القرآن الكريم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن استجاره مشرك حتى أثناء القتال بأن يأمنه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۸ حتى يسمع كلام اللَّه وإن أراد العودة وجب عليه إعادته «۱». ومن هنا يتوجب على كل فرد مراعاة حرمة القرآن، وإن احتمل انتهاك حرمته من غير المسلم فليس له أن يعطيه، وإن كان عنده وجب علينا السعى لاستعادته منه. ويبدو أنّ رأى الفقهاء من عدم اعطاء القرآن للكافر على هذا الأساس، لا على أساس أنّه يمكن هدايته. وخلاصة القول لابدّ من استنقاذ القرآن من متناول الأيدى الأثيمة، اللّهم إلّاأنّ احتمل هدايتهم ففى هذه الحالة يمكن تزويدهم بالقرآن الكريم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۹

۲۳ علة التصعب فى إثبات بعض الجرائم

سؤال: لماذا تجب أربع شهادات فى الزنا؟ إلّايدعو هذا إلى ازدياد الأعمال المنافية للعفة على ضوء التصعب فى إثبات الجرم؟ وبغض النظر عن ذلك، لماذا أُلغيت هنا هذه القاعدّة «اقرار العقلاء على أنفسهم جائز» فإن اعترف شخص بالزنا ثلاث مرّات فلا يقبل منه حتى يأتى بالرابعة؟ الجواب: للقانون الإسلامى صورة خاصة بشأن عقوبة الزنا حيث تضمن بعض الأمور؛ يعنى أنّه جعل عقوبة هذه الأفعال شديدة وثقيلة، فمن جانب تبدأ بالجلد والنفى وفى بعض الحالات بالاعدام، ومن جانب آخر تصعب فى طريقة إثبات هذه الجريمة حتى جعل شهود الزنا ضعف شهود سائر الجرائم، كما لم يكتف باقرار الشخص لمرّة واحدة وضم هذين الأمرين لبعضهما- تشديد العقوبة والتصعب فى إثبات الجريمة- أضفى وضعاً خاصاً على هذا القانون الجزائى، بمعنى تحلى هذا القانون بتأثيره النفسى فى الحيلولة دون ارتكاب الأفراد لهذا النوع من الخطايا، وفى نفس الوقت لا يشمل الكثير من الأفراد عملياً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۰ بعبارة أخرى إنّ المراد من وضع هذه القوانين، منع الأفراد من ارتكاب هذه الجريمة، لا إعدامهم والقضاء عليهم. وهذا الأثر يترتب على ثقل نوع العقوبة، ذلك أنّ مرتكب الجريمة يتصور العقوبة الصارمة فتأخذه حالة من الخوف والخشية لما يحتمل من عقاب؛ الأمر الذى يحول دون ارتكابه للذنب. وغالباً ما نرى تعيين بعض العقوبات الشديدة كالإعدام لارتكاب بعض كبار الذنوب- من قبيل بيع المخدرات- ورغم أنّ هذه العقوبات خاصة بظروف معينة، إلّاأنّ احتمال توفر شرائطه يلعب دوراً كبيراً فى روح مرتكبى الجريمة. والخلاصة فإنّ القوانين الجزائية الإسلامية شرعت بالشكل الذى تسهم فى الحيلولة دون ارتكاب الجريمة، وتبعد الكثير فى نفس الوقت عن الشمول بها. وعلى هذا الأساس فإن تنفيذ عقوبة الإعدام فى موضع معين تترك آثارها على أفكار سائر المرتكبين، ذلك أنّ مجرّد احتمال تنفيذ هذه العقوبة بهم يوماً كافٍ لهم.

۲۴ لماذا يذبح الحيوان على أساس بعض الشرائط؟

سؤال: هنالك بعض الشرائط التى ذكرتها الشريعة عند الذبح مثل قطع الأوداج والبسملة بحيث تحرم لحومها دون الإتيان بهذه

الشرائط، بينما يستهلك أغلب الناس هذه اللحوم دون الإلتفات إلى ذلك ولا يشكون من شيء، رجاءً بيّنوا لنا تأثير هذه الشرائط؟ الجواب: يبدو أنّ الشريعة أرادت أن تكفّل ثلاثة أمور بهذه الشرائط: الأول: الابتعاد عن ديدن الوثنيين الذين يذبحون باسم أوثانهم، ومن هنا عدت البسملة إحدى خططها للقضاء على جذور الوثنية. الثاني: اكتشف الطب المعاصر العديد من الأضرار للتغذى على الدم استناداً لبقاء الدم على الذبيحة الخارج منها وبغض النظر عن ذلك فإنّ الدم مليء دائماً بأنواع المكروبات وثبت بالتجربة أنّ التغذى على الدم يخلق ملكات خبيثة عند الإنسان، ومنها ضعف العاطفة والظلم وقسوة القلب. الثالث: الإسراع فى إماتة الحيوان وإبعاده عن التعذيب والذى لا ينسجم مع الروح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۲ الإنسانية. وهذا العمل لا يتسنى إلّامن خلال قطع الأوداج الأربعة. هذه خلاصة للأمور الثلاثة التى تضمن بشرائط الذبح الإسلامى.

۲۵ فلسفة الختان

سؤال: ما فلسفة الختان من الناحية الصحية؟ الجواب: الجواب عن هذا السؤال واضح للأسباب التالية: ۱- غالباً ما يلاحظ التعفن والالتهاب بين الغشاء ورأس العضو التناسلى لدى الأفراد الذين لا يختتنون، فالختان يزيل هذا الالتهاب. ۲- تفيد الاحصاءات الطبية أنّ نسبة الإصابة بسرطان العضو التناسلى أكثر لدى الأفراد الذين لا يختتنون. طبعاً ينبغى الدقّة فى عملية الختان بالنسبة للأطفال الرضع حيث ربّما يؤدّى إلى جرح رأس العضو ممّا يؤدى إلى احتمالية ضيق الفتحة فى منتهى المجارى البولية.

۲۶ فسلفة المحلّل

سؤال: لماذا يحتاج الرجل إذا طلق زوجته ثلاثاً إلى المحلّل؟ الجواب: اتفق علماء الإسلام تبعاً للقرآن على أنّ الرجل إن طلق زوجته ثلاثاً لا يجوز الزواج بها ثانية إلّابعد أن ينكحها رجل آخر. وإلّا فالزوجة حرام عليه ما لم تتمّ هذه العملية. وتبدو فلسفة هذا الشرط واضحة، ذلك لأنّ الأسلام أراد أن يحد من ظاهرة الطلاق بهذا الشرط، وأن لا يتخذ الطرفان هذا الأمر كألعوبة (يطلق بعضهما الآخر متى شاءا ويعودا إلى الزواج متى شاءا) لأنّه: أولًا: حيث يريد الرجل التطليقة الثالثة فلربّما ينصرف عنها إن علم بأنّه إن أراد الزواج منها وجب أن تنكح زوجاً غيره، فالأمل لا ينفك عن الزوج والزوجة فى الرجوع، غير أنّ هذا الأمل يزول فى التطليقة الثالثة. ولعل هذا الأمر هو الذى حال دون اقدام الكثير من الأزواج على التطليقة الثالثة. ثانياً: من شأن قضية المحلّل أن تستثير عواطف الرجل وتحرك غيرته وشهامته بحيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۶ يبعد عن ذهنه شبح الطلاق، ذلك لأنّ غيرة الرجل لا تسمح له بأن ينكح زوجته التى قضى معها عمراً، أحد غيره، وعليه فالإسلام أراد بهذا التشريع (المحلّل) الابقاء على عش الحياة الزوجية دافئاً وبعيداً عمّا يعكر صفوه، وبالتالى الحيلولة دون وقوع الطلاق. ولابدّ فى الختام من ذكر هذه النقطة وهى: إنّ الزواج من شخص آخر ربّما يدفع أحياناً بالمرأة لتفعيل رغبتها بزوجها الأول، لا تظفر بالرفاهية والدعة التى عاشتها فى بيت زوجها الأول، وهكذا فهى دائمة المقارنة بين الزوج الأول والثانى، الأمر الذى يشبعها حسرة وندامة وحنيناً إلى زوجها الأول. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۷

۲۷ المخاطر الجسمية والنفسية للشذوذ الجنسى نظرية عالم نفس حاذق بهذا الشأن

سؤال: هل الإستمناء مضر؟ الجواب: رغم سعى بعض المغفلين من الأطباء والسذج من علماء النفس إلى إظهار عملية «الإستمناء» المشؤومة بالعملية الخالية من الضرر، إلّاأنّ العديد من الرسائل التى وصلتنا من المصابين بهذه الممارسة إضافة إلى الشواهد الحسية والخارجية، تفيد أنّ هذه الآراء الجوفاء تهدف إلى استغفال الشباب والتنكر للحقائق الملموسة. ونذكر هنا مقالة تخصصية مقتبسة من مجلة العلم العدد ۱۳ لعالم النفس المشهور «الدكتور جهرازى» لتكون الجواب الشافى لهذا السؤال. يواجه الشباب بعض المسائل الغامضة ومنها «المسألة الجنسية» فى الواقع فى هذه المرحلة من السن التى تتبلور فيها الغرائز الجنسية، ويكتشف الشاب حقيقة هذه

الغريزة بعد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۸ جولة من البحث، فإنّ أى إثارة من شأنها اشعال غريزة الشهوة لديه. وفى السابق كان الشبان وعلى ضوء «التربية الدينية والآداب والالتزامات الاجتماعية» يلتزمون بمبادىء تجعلهم يسيطرون على هذه الغريزة الجنسية. أمّا اليوم «۱» فهنالك أثر كبير للصور الخليعة فى الأزقة والشوارع والبيوت والإعلانات الدعائية ومشاهدة الأفلام والمجلات والصحف وبعض المشاهد السينمائية والتلفزيونية والقصص المسهمة فى إثارة هذه الغريزة، وبالتالى إصابت الشباب بطغيان الغريزة الجنسية؛ الأمر الذى أدّى فى خاتمه المطاف إلى حصول حالة الإنزال فى النوم والتى تبعث اللذة، فساقت الشباب إلى مصيبة الإستمناء. ويعتقد بعض الأطباء وعلماء النفس بأنّ الإستمناء أمر طبيعى وحاجة لدى الإنسان والحيوان، إلّاأنّ هؤلاء غفلوا عن الأضرار التى يستبطنها هذا العمل إن تكرر خلال بضعة أسابيع، وتنعكس مخاطره على الصعيدين الجسمى والنفسى وللأسف فإنّ هذه الممارسة تتشدد بالتدريج وحيث تكون متيسرة للشاب فهى تسوقه إلى التعود عليها ليمارسها عدّة مرّات خلال مدّة قصيرة. العواقب الخطيرة للإستمناء: تفيد أغلب الدراسات التى حصلت فى السنوات الأخيرة، ولا- سيما التحقيقات التى أجريناها على أكثر من ألف شاب، أنّ موضوع الإستمناء لا ينبغى أن يعد مسألة بسيطة (لابدّ من الدقّة) ولابدّ من ذكر فسلجة الغدد الجنسية قبل ايضاح هذا المطلب: فأحد علامات البلوغ خروج المنى من خلايا غدد الخصيتين. ولكل قطرة منى ملايين البيوض الذكرية «اسبرما توزئيد» ومايع لزج خاص يترشح من تلك الغدد ويرد كيس المنى الواقع خلف المثانة بواسطة مجرى المنى. فيمتلىء كيس المنى ويمتص البدن مقداراً منه يكون مؤثراً فى نمو قامة الشاب ومثيراً لغرائزه الجنسية؛ ولكن ينبغى إخلاء معظمه بغية الانجاب. وبالنسبة للشبّان الذين لا يشهدون إثارات جنسية بفعل التزامهم الدينى فحين يمتلىء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۹ كيس المنى إنّما يخرج عادة بصيغة احتلام عند النوم فيعيش حالة الاتزان البيولوجيكى، وعليه فليس هنالك قلق عليهم. وأمّا الشباب الذين يتعرضون إلى الإثارات الجنسية ويعيشون حالة من الحرمان فيتصورون أنّ الطريق الوحيد أمامهم هو الإستمناء، وحيث يشعرون عقب هذه العملية بنوع من الهدوء فعادة ما يكررون هذه الممارسة؛ فإن تكررت ومورست لأكثر من مرّة فى الأسبوع تظهر حالة من الاختلال النفسى والجنسى لدى هؤلاء الشبّان. وتوضيح ذلك: حين تشبع الغريزة الجنسية بصورة طبيعية من خلال الزواج، فإنّ الإثارات الجنسية التى تحصل من اللمس والمشاهدة تنعكس على الدماغ فتخلق حالة من تفعيل الغريزة لديه فيمارس هذا العمل بصورة طبيعية. بينما القضية معكوسة تماماً فى الإستمناء وتستبدل عوامل الإثارة الطبيعية بالتخيل والتصور للمناظر الخاصة واللمس الموضعى، وبهذا يبرز انحراف جنسى فإن تكرر هذا العمل وترسخ الانعكاس المنحرف فى كيان الشاب فإنّه سيؤدّى إلى عجزه إن أراد أن يمارس العمل الجنسى بصورة طبيعية؛ ذلك لأنّ النظام الطبيعى لاشباع الغريزة قد اختل عنده، ومن هنا يشعر بالعجز والفشل حين إرادة الزواج والطريق المشروع. الاختلالات الجنسية لدى المصابين بالإستمناء: النقطة المهمّة التى ينبغى الإلتفات إليها هنا: كما ذكرنا فإنّ البدن يمتص مقداراً من المواد الجنسية المترشحة (المنى) وتؤدّى إلى نمو الشاب، فهى ليست مؤثرة فى نموه البدنى فحسب، بل تؤثر حتى فى نموه الروحى. وحين تخرج هذه المواد إثر الإستمناء المتكرر، فبعض النظر عن ظهور الاختلال فى النمو الجنسى المتكامل، فإنّه يؤدّى إلى الضعف فى الشخصية وخواء الإرادة وانحسار القدرة والخجل والانهزامية. ولايضاح حقيقة هذين الموضوعين لا- بأس بذكر بعض النماذج ومن لسان المصابين بهذا الانحراف والذين فشلوا فى زواجهم أو لم يتلذذوا بزوجاتهم: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۰ قال أحد الشبّان المتزوجين: «إنّى أحبّ زوجتى حبّاً جمّاً، ولكن مع الأسف لا أجد اللذة من معاشرتها وهذا ما يُؤلمنى». وقال امرأة متزوجة: «لقد مضى على زواجنا ثلاثة أشهر ولمن لا أدرى لماذا كأنى فى نظر زوجى خشبة يابسة فقط دون أن يرغب إلىّ». قال أحد الشبان المتزوجين: «كنت أُمارس هذه العملية حين بلوغى، ولم أفلح بعدها فى التوفيق إلى الزواج، بينما كنت أثار فى الوحدة وجموح الخيال». وقال شابان بعد أن راجعانى إنّهما عاجزان عن مجامعة زوجتيهما بعد أن تصورا هذه العملية وهما يشعران بالحرج الشديد». وهناك شاب آخر: «لم يفلح فى الاقتراب من زوجته بعد أن عقدها وقد مضى عليها ستة أشهر». جدير بالذكر أنّ الشبّان المتقوقعين والإنعزاليين أكثر عرضة للإصابة بهذا البلاء، ومن هنا فإنّ الشبّاب مطالبون بالابتعاد عن العزلة والاختلاط مع الصالحين من أقرانهم. ضعف الشخصية

والوسواس: الضـرر الآخر الذى يصـيب الشـبان من هذه العادة السيئة، حالة الندم التى تعتريهم بعد الانتهاء منها فيعاهدون أنفسهم على عدم تكرارها، لكنّهم سرعان ما يعودون إليها فى أقرب فرصة سانحة- وبالطبع فإنّ حالة العهد والعودة هذه تؤثر على نفوسـهم وتؤدّى بهم إلى ضـعف الشخصـية وغيـاب الإرادة والشك والوسواس. وزبـدة الكلام فإنّ الإسـتمناء يغير النظام النفسـى فى المسائل الجنسـية ويقدح فى الشعور باللذة ويخيل بالقدرة وينتهى إلى الشعور بالتصاغر والحقارة واختلال الشخصية، وبغض النظر عن ذلك يفعل فعله فى النمو البـدنى (انتهى قول الدكتور جهرازى). اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۲۹۱ ملاحظـة مهمّة: للحيلولة دون ظهور هذه المخاطر، يتوجب على الشبّان الوقوف بحزم ضد هذه الممارسة بأمل ورجاء وعدم الشعور بالخوف والتردد، فيسعون أولًا إلى الابتعاد عن كافّة عوامل الإثارة من قبيل الصور الخليعـة والأفلام المبتذلـة، ومن ثم اختيار الأصـدقاء الصالحين واجتناب العزلة والنوم لوحدهم فى الغرفة وممارسـة بعض الرياضات المفيدة وليملأوا أوقات فراغهم، ومقاطعة أصـحاب السوء وممارسة العادات الحسـنة، وعدم الإستسـلام إلى الطروحات المفرضـة لبعض ما يسـمى بالأطباء وعلماء النفس الـذين يخـدعون أنفسـهم والآخرين. ومن أراد المزيد بهذا الشأن فليطالع كتابنا «المشاكل الجنسية للشباب». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۳

۲۸ الزواج و تطابق الدم

سؤال: هـل هنالـك من ضـرر صـحى فى زواج المتمـاثلين فى الـدم (الأقـارب)؟ الجواب: «۱» بعـد ثمان سـنوات من التحقيق اكتشـف (مندل) قبل قرن بعض القوانين فى الوراثة نشرحها هنا ببساطة. لو حصل جماع بين فأرة بيضاء وأخرى رمادية لولدت منها فأرة رمادية، كما ينتـج منهما لاحقاً فئران رماديـة وبيضاء. ويطلق على اللون الأبيض أو الرمادى هنا (الصـفة). وكما ذكرنا فإنّ فئران المرحلة الأولى كافّة رماديـة اللون، أى تظهر إحـدى صـفات الوالـدين وتتنحى الأخرى ويصـطلح على الصـفات الأولى «السائـدة» والأخرى المخفية «المتنحيـة». ويقـال للعامـل الـذى ينتـج الصـفة (اللون الرمـادى أو الأبيض) «الجين» والـذى ينتقل من الأباء إلى الأبناء بواسـطة الخلايا التناسلية بالوراثة وإن ولد الحيوانات من صفات متساوية كان خالصاً. ومن المسلّم به أنّ هذا الحيوان سيكون خلايا تناسلية متساوية من حيث الصفة، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۴ وبالنتيجة فإنّ تزاوج عنصرين خالصين يؤدّى دائماً إلى ابناء يشبهون تماماً والديهم من حيث الصـفات وأمّا إن لم تكن الصـفات متساويـة فسـيكون ذلك الحيوان «هجينا» فالفئران الرماديـة فى المثال الأول «هجينة» لأنّ كل واحـدة لـديها جينات تنتـج اللون الرمادى وأخرى اللون الأبيض؛ ولا شك فى أنّ الخلايا التناسـلية سوف لن تكون متشابهة ومتساوية، بل سيكون ۵۰٪ منهـا تحتوى على الجينـات المنتجـة للون الرمادى و ۵۰٪ الأبيض ومن الطبيعى أنّ الهجين دائماً ينتـج هجيناً لا يشـبه والـديه من حيث الصـفات. وعلى ضـوء هـذه المقدمـة فى علم الوراثـة نخوض الآن فى الجواب عن السؤال: ثبت اليوم احتمـال بعض الأخطار الناشـئة من الزواج من فرد فى أسـرة تحمل بعض الأمراض الوراثيـة. ذلك لأنّ احتمال ظهور ذلك المرض الوراثى فى الأبناء من جراء ذلـك الزواج أكثر من غيره بالنسـبة للأبنـاء من الزواج الأجنبى (إليـك توضـيح مفصل بهـذا الشأن) لو تزوج فردان مصابان بمرض وراثى فـإنّ جميع الأبنـاء سـيحملون جينـات غير طبيعيـة، وبعبـارة أخرى يكونون هجناء. وعادة ما يكون مرض الأبناء أشـدّ من مرض الوالـدين بحيث ربّما يموتون قبل الولادة ولو لم يمتلك أحـد الوالـدين هـذا «الجين» المنتـج لذلك المرض الوراثى فسوف لن يصاب الأبناء بالمرض ولن يكون مرضـهم أشـدّ من الوالـدين وعلى هـذا الأساس وردت الوصايا بالزواج من الأجانب، ولكن لابدّ من الإلتفـات إلى هـذه النقطـة إن لم يكن أى من الزوجين مصـاب بمرض وراثى فسـوف لن يحمـل الزواج أى خطر. وعليه فلا يصـح ما تصوره البعض من أنّ الزواج من الأقـارب مضـر تماماً، بـل الضـرر فقـط إن كـان هنالـك مرض وراثى، غايـة الأمر ورعايـة للاحتياط الأفضـل عـدم الزواج مـن الأقـارب عنـد الشـك، ومـن هنـا نهـت بعض الروايـات عن الزواج من بنت العم وابن العم. اجوبـة المسـائل الشرعية، ص: ۲۹۵

۲۹ الموسیقی فی الإسلام

سؤال: لِمَ حرم الإسلام الموسيقى وما فلسفة هذا التحريم؟ الجواب: رغم أنّ انتشار أنواع الموسيقى الذى حال دون توصل العديد من الأفراد إلى التفكير الخاطىء الذى يتمسك به البعض «تداول كل شىء دليل على صحته» فإنّهم ليسوا مستعدين للتوقف عند الآثار السيئة والمشؤومة للموسيقى. أمّا الأفراد الواقعيون فلن يكتفوا بذلك فهم يجدّون ويسعون بغية الوقوف على الحقائق رغم سماعها: الموسيقى جديرة بالتأمل من عدّة جوانب: ١- من حيث الأضرار البدنية والاثار السيئة التى تنعكس على الجهاز العصبى للإنسان. قال الدكتور «ولف ادلر» بهذا الخصوص: «إنّ أروع وأفضل النغمات الموسيقية تترك بصماتها السيئة على أعصاب الإنسان؛ ولا سيما حين حرارة الجو». وقال الدكتور «الكسيس كارل» عالم الأحياء الفرنسى: «إنّ الاشباع الهمجى للشهوة قد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٢٩٦ يحظى بأهميّة، ولكن ليس هنالك شىء عبثى أكثر من حياة تفنى فى اللهو، وممّا لا شك فيه أنّ الازمة الفكرية إنّما يفرزها التردد على السينما وسماع المذياع». لابدّ من التعامل مع الموسيقى على غرار سائر المخدرات؛ ذلك أنّ آثارها المخدرة ممّا لا يسع انكاره؛ كما أنّ التخدير على أنواع والإنسان يستطيع تخدير أعصابه بعدّة طرق. فالتخدير يكون أحياناً بواسطة الأكل والشرب؛ كالمشروبات الكحولية التى تشل الأعصاب وتعطل العقل عن الإدراك- وأحياناً أخرى بواسطة الاستنشاق كذرات مادة الهيروئين التى تسرى إلى البدن عن طريق الأنف وتخدر الأعصاب. وأخيراً هنالك التخدير بواسطة الأذن من خلال استماع الموسيقى التى تبلغ ذروتها أحياناً فيخرج الإنسان من توازنه الطبيعى. وعلى هذا الأساس فإنّ الموسيقى وسيلة تخدير لا غير وتحتوى على أضراره كافّة. ولعل النشوة التى يشعر بها الأفراد من الموسيقى هى هذا التخدير، والذى يبلغ أشدّه أحياناً فيدفع بالإنسان للقيام بحركات لا تبدو عادية. مثلًا حين تتضاعف قوّة التخدير يُسلب الإنسان القدرة على القضاء الصحيح، فقد لا يميز بين الحسن والسىء. وربّما يتفاعل مع الأصوات والنغمات الموسيقية فيرتكب بعض الأفعال التى تخرجه من حظيرة الإنسانية. ولا اعتقد بأنّ هذا الكلام يحتاج إلى تقريب وتوضيح، فكل فرد يرى ما تفعله هذه الموسيقى والرقص الجماعى الذى يمارسه الرجال مع النساء بهذا الاختلاط وكيف يفقدون صوابهم ويتنازلون عن إنسانيتهم ولا يتحرجون عن ارتكاب أى عمل مشين. فأى تخدير أعظم من هذا! فالإنسان إن استسلم لهذه النغمات الموسيقية فستسيطر على أعصابه حالة من الضعف والاسترخاء، ولا يعد يتصور سوى الشهوة والغرام؛ فيغيب عقله ولبّه ويذوب لديه الشعور بالمفاهيم المقدسة كالرأفة والحنان والمروءة والعفة والحياء والأمانة والمساواة والإخاء والمجد والعظمة والجهد والمثابرة والاستقامة على الطريق. لا ريب ولا شك فى أنّ الكحول والموسيقى من أعظم آلات تهييج الرجال والنساء وإثارة الشهوة والتى عادة ما يلجأون اليها بهدف تخدير أعصابهم. صحيح أنّ الإسلام لا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٢٩٧ يمنع الإنسان من أيّة لذّة طبيعية، غير أنّه يحول دون تلك اللذائذ العابرة بواسطة تخدير الأعصاب وإثارة الشهوات والتى تخرج الإنسان من طوره الإنسانى الطبيعى. الحدود الأخلاقية للموسيقى: ممّا لا شك فيه أنّ أحد عوامل الانحطاط الأخلاقى هو هذه الأمور إلى جانب الأشرطة الصوتية الموسيقية التى تهدف إلى إشاعة الفاحشة ومجانبة العفة، بالإضافة إلى تلك الأصوات الأنثوية الدافئة المطربة التى تؤجج نيران الشهوة لدى الرجال وبخاصة الشبّان. ثم هل للّهمن مكان فى تلك القلوب الطائشة المليئة بالشهوة والإثارة؟! وهل تعيش هذه القلوب حالة من الانكسار تجاه الضعفاء والمحرومين بعد أن طفحت بانغام الموسيقى والألحان المطربة؟ وهل يمكن للشريعة أن تفتى بحلّية شىء يفضى إلى كل هذه المفاسد؟! النتيجة: للنغمات الموسيقية آثار سيئة من حيث تخديرها للأعصاب، كما لها آثارها السلبية من الناحية الأخلاقية بتأجيجها لسعير الشهوة لدى الشبّان. كما ثبت صحيّاً أنّ للوفيات المفاجئة عدّة عوامل، أحدها سماع الموسيقى؛ لأنّ الموسيقى عامل إثارة، والإثارة تقضى على توازن الأعصاب، وبالتالى فهى مدعاة إلى حصول السكتة القلبية والدماغية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٢٩٩

۳۰ فلسفة الإمتحان الإلهى

سؤال: قال تعالى «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» «۱» ، وهنا يرد هذا السؤال: إنّما يحتاج إلى الإمتحان من لا يعرف مصير عمل معين، فما حاجة اللَّه للإمتحان وهو العالم بالسرّ والعلن فى السماء والأرض؟ الجواب: إنّ للإمتحان الإلهى هدف آخر، فالإنسان يلجأ إلى الإمتحان والاختبار إثر نقصه العلمى للوقوف على حقيقة معينة وإماطة اللثام عنها، إلّاأنّ هذا الأمر محال على اللَّه، فهو العليم بكل شىء، فإمتحانه لأهداف أخرى نوجز البعض منها: ۱- الهدف من الإمتحان تربية العباد وتنمية استعداداتهم. توضيح ذلك: إنّ الإنسان حين يرد العالم يودع سلسلة من الاستعدادات والإمكانات والطاقات المذهلة؛ فالكمالات الإنسانية والفضائل الأخلاقية كافّة كامنة كاستعداد لديه وقد عجنت بها فطرته، إلّاأنّ هذه الاستعدادات كالمصادر المودعة فى الأرض لا تظهر دون اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۰ إثارتها ببعض الوسائل الخاصة لتخرج من حيز القوّة إلى الفعل- ومن الطبيعى ما لم تظهر هذه الطاقات سوف لن يكون هنالك تكامل وفضيلة، وبالتالى ما يتبعها من ثواب وعقاب. ومثل هذا الإمتحان يهدف إلى تربية الإنسان وتهذيبه وتنمية المكارم لديه؛ ولولا هذا الإمتحان لما ظهرت لدى الإنسان هذه الطاقات ولما استحق من تقدير وثواب. وقد أوجز أمير المؤمنين عليه السلام بيان هذه الحقيقة حين قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ» لِأَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ إِلَّا وَ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَ لكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ». ثم قال عليه السلام فى بيانه للهدف من الإمتحان: «لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، وَ الرَّاضِىَ بِقِسْمِهِ. وَ إِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ لكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِى بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ» «۱» فالإمام عليه السلام يرى الهدف من الإمتحان ظهور الطاقات الباطنية كافعال خارجية، فيتبين استحقاق الأفراد للثواب والعقاب، وإلّا فالصفات الباطنية (دون العمل الخارجى) لا يترتب عليها أى ثواب أو عقاب، وبالتالى لا يحصل فى الواقع تكامل. فمثلًا حين ابتلى اللَّه خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل، لم يكن الهدف الاطلاع هل يطيع إبراهيم الأمر أم لا؛ بل الهدف تربية روح الطاعة والتسليم للأوامر الإلهيّة لدى إبراهيم وإخراجه لحيز الفعل، فيتجه إبراهيم على هذا الأساس لطى مسيرته التكاملية (لابدّ من الدقة والتامل). ولذلك يمتحن اللَّه عباده ببعض الصعاب: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» «۲» . ما نقوله من أنّ إمتحان اللَّه لعباده وتنمية الصفات الفاضلة لديه، لا يعنى حمل الأفراد قسراً وقطعاً لبلوغ هذا الهدف وتنمية مكارم الأخلاق لديهم؛ بل المراد أنّ الإمتحان الإلهى يخلق الأرضية الخصبة للتربية والتهذيب فى الوسط الاجتماعى؛ فمن أراد السعادة استغل هذه الإمكانات إلى أقصى ما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۱ يمكن، وبالعكس هنالك من يسىء استغلالها فيعمد إلى الصفات السيئة فيفشل فى الإمتحان. ۲- الهدف الآخر من الإمتحان الإلهى المتعلق بالجماعة معرفة الصالح من الأفراد والفاسد والمؤمن والمنافق. ويشير القرآن إلى هذه النقطة بصفتها «تمحيص» ويقول «وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» «۱». ۳- الهدف الثالث إتمام الحجّة على من يكثر زعمه وينعدم فعله حيث تظهر فى الإمتحان حقيقته. ولعل عدم الإمتحان يجعل هؤلاء الأفراد يوغلون فى غيهم ويضلون الآخرين، وهكذا تتكشف أقنعتهم بالإمتحان، وكما قيل «عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۳

۳۱ التراب الممزوج بالمكروبات

سؤال: صرّحت الشريعة بالتيمم عند الوضوء والغسل حين انعدام الماء، فكيف يمكن التيمم بالتراب الحامل للمكروبات؟ الجواب: أشارت العلوم الطبيعية إلى حصانة التراب الطاهر من المكروبات، حيث لا تستطيع مواصلة حياتها فى التراب الطاهر، وتأتى هذه الحصانة من الكائنات المجهرية الموجودة فى التربة. فهذه الأحياء مقاومة للمكروبات، بحيث لو دفنت جثّة محملة بملايين المكروبات لهبّت هذه الأحياء لتفسيخها والقضاء عليها. وعليه وخلافاً لما يتصور فإنّ التربة الطاهرة ليست مصانة من المكروبات، بل هى مقاومة لها وقاضية عليها عاجلًا أم آجلًا، ومن هنا فإنّ التربة الطاهرة بعد الماء- الذى يعدّ أهم وسيلة للغسل الطبيعى ومقاومة المكروبات- أحد العوامل المطهرة من المكروبات. ويتضح من خلال الإلتفات إلى هذه الحقيقة انسجام الأمر الشرعى بالتيمم- حين فقدان الماء- مع العلوم الطبيعية والنقطة الأساسية هنا تأكيد الآية القرآنية الواردة فى التيمم على اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۴ طهارة التراب

«فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» «۱» . إلى جانب ذلك هنالك تأكيدات الروايات بهذا الخصوص والتى نهت عن التيمم بالتراب الذى يتردد عليه الناس. «۲» الأمر الذى يشير إلى طهارة التربة الخالية من المادة وتلوث الأخرى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۵

۳۲ الصغائر والكبائر

سؤال: كيف السبيل إلى تميز الصغائر والكبائر؟ الجواب: يستند تصنيف الذنوب إلى صغائر وكبائر إلى القرآن، ومن ذلك الآية الشريفة: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...» «۱» ، والآن نرى معيار الصغائر والكبائر. فالفقهاء يقولون: كل ذنب- مهما كان- كبيراً كونه مخالفة لأوامر اللَّه. إلّاأنّ المعيار فى تشخيص الذنوب ليس فى استنادها لعصيان اللَّه؛ إلّاأنّ جميع الذنوب كبائر على ضوء هذا المعيار؛ بل المعيار مقارنة بعض الذنوب مع بعضها الآخر. وعلى أساس هذا المعيار فإنّ الذنوب على نوعين؛ صغيرة وكبيرة. وهنالك عدّة طرق للتعرف على النوعين المذكورين منها ما تصارف بين العلماء فى العذاب الذى وعد به القرآن، فالكبيرة مثل قتل النفس التى قال بشأنها القرآن «وَمَنْ يَقْتُلْ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۶ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ...» «۱» . كما أضاف بعض العلماء قيداً اخر فقالوا: الكبيرة ما وعد عليها بالعذاب، أو على الأقل ورد النهى عن ارتكابها؛ فهنالك العديد من الذنوب التى لم يتوعد اللَّه عليها، بينما ورد النهى عنها كراراً. مثلًا النص القرآنى الوارد بشأن الربا «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...» «۲» كافٍ فى كون الربا من الكبائر، بالاستناد إلى هذا النهى الأكيد والمنع الشديد. وعلى هذا الأساس فإنّ صغر وكبر الذنب ليس مسألة نسبية، بل لكل طائفة من هذين الصنفين من الذنوب حدود، ولا يمكن لمعصية أن تكون صغيرة وكبيرة فى آن واحد؛ فإن ورد الوعيد على مرتكبها بالعذاب أو ورد النهى عنها فهى كبيرة، وبخلافه فهى صغيرة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۷

۳۳ هل الصغائر والكبائر نسبية؟

سؤال: يزعم البعض أنّ الصغائر والكبائر نسبية، أى يمكن أن يكون الذنب من الكبائر، ولكن بالمقارنة مع سائر الذنوب من الصغائر كالسرقة إن قورنت بالقتل العمد. وعلى ضوء النسبية فالعفو يشمل الذنوب كافّة: « «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...» «۱» وعليه فجميع الذنوب مغفورة سوى الشرك حيث لا ذنب أكبر منه ليغفر فى ظل ذلك الذنب. وعليه ستغفر ذنوب كل من لم يشرك باللَّه!. الجواب: تتضح الاجابة عن هذا السؤال ممّا سبقه؛ فكما ذكرنا أنّ تصنيف المعاصى إلى صغائر وكبائر تقسيم واقعى، لا على أساس النسبية ومقارنتها مع بعضها، الآية المذكورة تشير إلى هذا، ومتى ابتعد الإنسان عن الكبائر فإنّ اللَّه يتجاوز عن صغائره، وحدود هذين الصنفين من المعاصى مختلف ولا يشبه بعضهما الآخر. وعليه فاجتناب الكبائر يوجب غفران الصغائر لا الكبائر (كما ينبغى الإلتفات إلى أنّ تكرار الصغائر يصبح كبائر). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۹

۳۴ عدد الكبائر

سؤال: ما عدد الكبائر من الذنوب؟ الجواب: هنالك عدّة طرق للتعرف على الكبائر، نشير إلى اثنتين منها: ۱- كل فعل توعد اللَّه فاعليه فى القرآن بالعذاب- سواء صرّح بذلك علانية أم على سبيل الإشارة والنهى المؤكد والمكرر- فهو كبيرة. ۲- ما ورد عن روايات أشار فيها الأئمّة الأطهار عليهم السلام إلى عددها من قبيل الكتاب الذى بعث به الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون العباسى. كما روى الأعمش ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام من الكبائر، وسائر الروايات. ونشير هنا إلى الطائفة العظمى من الكبائر كما وردت فى الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ونسأل اللَّه أن يوفقنا جميعاً لاجتنابها. ۱- قتل النفس ۲- الزنا ۳- الخمر ۴- ترك الصلاة ۵- أكل مال اليتيم ۶- الفرار من الزحف ۷- الربا ۸- القمار ۹- أنواع الظلم ۱۰- اللواط ۱۱- مساعدة الظالم ۱۲- اعانة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۰ الظالم ۱۳- التهاون فى حقوق الناس ۱۴- الكذب ۱۵- الخيانة ۱۶- محاربة أولياء اللَّه ۱۷- عقوق الوالدين ۱۸-

الافتراء ۱۹- الغيبة ۲۰- الاستخفاف بعقاب اللّه ۲۱- الاستخفاف بالحج ۲۲- التكبر ۲۳- الاسراف والتبذير ۲۴- أكل لحم الخنزير ۲۵- أكل الميتة ۲۶- أكل ما لم يذكر اسم اللّه عليه ۲۷- أكل الدم ۲۸- اليأس من رحمة اللّه ۲۹- التطفيف ۳۰- الاصرار على الصغائر ۳۱- ترك الزكاة ۳۲- قطع الرحم ۳۳- نقض العهد ۳۴- كتم الشهادة ۳۵- الحنث فى اليمين. هذه طائفة من الكبائر ويرى العلماء أنّها أكثر من ذلك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۱

۳۵ الكذب المصلحة

سؤال: ما حكم الكذب المصلحة وهل كان يمارسه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام؟ الجواب: الكذب سيء بذاته وهو سبب العديد من المصائب والاختلالات فى المجتمعات الراهنة، حتى ورد فى الروايات عن بعض الأئمّة الأطهار عليهم السلام: أنّ الكذب مفتاح سائر المعاصى! نعم، هنالك بعض المواضع التى يدعو فيها الصدق إلى فساد معين ربّما يزول عند الكذب. مثلًا، حين يحدث خلاف بين شخصين ويتكلم أحدهما خلف الآخر بما يعيبه ولو أفشينا ذلك لظهرت فتنة وبعض الأضرار المهمّة، فمن الطبيعى أنّ الصدق هنا ليس مطلوباً، ولا يوجد عاقل يقول بضرورة الصدق هنا، فهذا قانون مسلم لدى العقلاء فى أنّ ما كان ضرره أعظم من صلاحه وجب اجتنابه. والقوانين الإسلامية من جانبها سايرت هذه القضية العقلائية، فأجازت الكذب فى هذه الحالات. ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أمرين: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۲ الأول: أنّ لهذا الموضوع استثناء ولا يجوز الكذب سوى فى ظل بعض الظروف الحرجة، ولا ينبغى تذرع البعض بالكذب المصلحة أو من أجل تحقيق بعض المنافع الشخصية. الثانى: أنّ الإسلام يشدد كثيراً على عدم اللجوء إلى الكذب وأوصى بالتورية «۱»؛ وهذا ما أفتى به مشهور الفقهاء. والمراد من التورية أن يقول كلاماً فى بعض المواقع الحرجة يفهم السامع منه عكس ما يضمر، مثلًا يسألنا شخص هل تكلم أحد ضدى؟ فنجيبه: لا، ومرادنا أنّه لم ينطق أحد بهذه العبارة- وإن قال ذلك بعبارة أخرى ولكن السامع يفهم من كلمة «لا» أنّ احداً لم يتكلم ضده. وإن ورد مثل ذلك فى كلمات أئمّة الدين عليهم السلام- بمقتضى الضرورة وحفظ أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم ومنع الخلافات والفتن- فإنّما هو من باب التورية قطعاً- جدير بالذكر إن تكلم الإنسان صدقاً فى الموارد التى وظيفته فيها الكذب أو التورية وحدث بعض الفساد فهو مسؤول. ومن الواضح أنّ القرآن لا يتضمّن أى كذب غير مصلحة ولا تورية؛ أى ليس هنالك مثل هذه الضرورة بشأن الايات والأحكام الشرعية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۳

۳۶ ضرب المرأة

سؤال: هل صحيح أنّ الكريم القرآن أجاز ضرب المرأة إن قصّرت فى حقوق الزوجية؟ الجواب: لا- شك فى أنّ الإسلام أسدى خدمات جليلة للمرأة وله حق كبير فى أعناقهن، وقد اعترف بعض أعداء الإسلام مثل بعض كتّاب تاريخ المدنية الغربية «كرين برنتون» و «جون كريستوفر» و «روبرت لى وولف» فى كتاب تاريخ الحضارة الغربية وأسسها فى الشرق بأنّ النهضة الإسلامية دفعت من شأن المرأة، قد أمر القرآن الكريم بذلك: «وَعاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ» «۱» و «هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ» «۲». أمّا الروايات فقد أكّدت على حسن معاملة المرأة ونهت حتى عن التعبيس بوجهها «لا يقبح لها وجها» كما أمر النساء بحسن التبعل. وأمّا بشأن تنبيه النساء، فقد صرّح القرآن بأن يعتمد الرجل مع زوجته أسلوب النصح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۴ والوعظ بادىء الأمر، ومن ثم هجرها فى المضجع، فإن لم يفلح ذلك فله أن يضربها دون ضرب المبرّح، فمن الطبيعى أن يكون ذلك استثناء وكأنى به كالعملية الجراحية أن استعصت حالة المريض. بل لو تمرد الزوج وقصّر فى الحقوق الزوجية فللحكومة الإسلامية أن تتبع معه ذات الأسلوب. الجدير بالذكر هنالك حالة من الماشوزية- حسب نظرية علماء النفس- لدى بعض النساء والتى تشتدّ أحياناً حتى تصبح أزمة نفسية، فالتنبيه البدنى يبدو ضرورياً فى مثل هذه الحالات. كما ينبغى الإلتفات إلى أنّ التنبيه المذكور لا يعنى إيذاء المرأة بحيث يحمر بدنها أو يزرق أو

يسبب بعض الجروح. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۵

۳۷ الإسلام والتلقيح الصناعی

سؤال: مـا رأی الإسـلام بالتلقيـح الصـناعی؟ (المراد من التلقيـح الصـناعی إدخـال نطفـة الرجل فی رحم المرأة فتحمل دون مجامعـة). الجواب: تبدو هذه العملية قديمة بالنسبة للحيوان والنبات، لكنّها جديدة بالنسبة للإنسان، والدافع من ذلك عدم القدرة على الإنجاب، بينما تكون المرأة جاهزة للحمل، فيسعيان إلى إلقاء نطفة الزوج أو غيره فی رحم المرأة بغيـة الحصول على طفل يشـد كيان الزوجية. وقـد حظيت هـذه المسألـة بمناقشـة مراكز التشـريع العالميـة كبريطانيـا وفرنسا ومصـر وسائر البلـدان. فقـد قرر مجلس العموم البريطانی تشكيل لجنة من الحقوقيين ليحققوا بشأن هذا الموضوع. إلّاأنّ الفرنسيين اوعزوه لرضی الزوج والزوجة. أما البابا فقد حرمه، كما اعتبره مفتی مصـر أسوأ من التبنی المحظور فی الإسـلام. اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۳۱۶ وللتلقيـح الصـناعی صورتان: الصورة الأولى أن يلقى بنطفة الزوج فی رحم زوجته، فليس هنالك من إشـكال فقهی، لأنّ الطرفين شرعيان ومن حقّهما أن يكون لهما ولد، ولا فرق هنا بينَ أن تتمّ العملية عن طريق المجامعة أو الوسائل الطبية. وبالطبع لابدّ من السـعی فی التلقيح الصـناعی إلى عدم وقوع الحرام. فلا يقوم بذلك مثلًا رجل أجنبی، بل يتولى الأمر الزوج. الصورة الثانية: أن يلقى بنطفة رجل آخر فی رحم الزوجة، فهذا ما لا يجوز على أساس الشـريعة التی تحترم عقـد الزوجيـة، وهـذا ما صـرح به الفقهاء وورد بشأنه بعض الروايات فی باب الزواج والتی تـدفع للافتاء بالحرمـة. وبغض النظر عن ذلك فإنّ هذا العمل لا يصح على ضوء الموازين الشـرعية والأخلاقية والاجتماعية والعاطفية ويتضـمّن بعض المفاسد منها: ۱- مثل هذا العمل يسوق المرأة إلى التحلل والتفسخ، لأنّه يشـجعها على المجامعة غير المشـروعة، حيث تفكر مع نفسها ما الفرق بين أن تلقـح صـناعياً من قبل نطفـة أجنبی أو يجامعها الأجنبی، ولو حملت لادّعت أنّها لقحت صـناعياً. ۲- من الناحية الاجتماعية فإنّ هـذا العمل يخل بكيان الأُسـرة ويصـدعها ويضيّع النسب، لأننا نعلم بأنّ أحد مفاسد الجماع اللاشـرعی اختلاط الأنساب. ۳- لا ينبغی اهمـال دور العاطفـة فی تربيـة الأولاـد وتأمين حالتهم المعاشـية، ذلك لأنّ العاطفـة هی التی تـدفع الأب لتربيـة ولـده وتحمل تكاليف معيشـته، ولا تتفعل هـذه العاطفـة إلّا حين يكون الولـد قطعـة من أبيه، أمّا إن شـعر أنّه من رجل آخر فما الداعی لتحمل معاناته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۷

۳۸ ما حكم منع المرأة من الحمل

سؤال: هـل يجيز الإسـلام منع النسـاء من الحمل؟ الجواب: وردت عـدّة وصايا فی الإسـلام تحث على زيادة النساء حتى قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «تزوجوا فإنّی مكاثر بكم الأُمم حتى بالقسط». وسـرّ ذلك واضـح فقوة الأُمّـة تكمن بالدرجـة الأولى فی عـددها، والأُمّة القليلة السـكان ضـعيفة عادة، وبالعكس فإنّ زيادة السـكان تكون سـبباً للقوّة رغم إثارتها لبعض المشاكل من قبيل أزمة السكن والغـذاء. ومن هنا فإنّ أغلب الـدول العظمی ذات تعـداد سـكانی كبير. وعليه فعمليـة منع الحمل لا تبـدو مطلوبـة إسـلامياً (اللّهمّ إلّاأن تكون هنالك مشاكل اجتماعيـة وتربويـة)، مع ذلك لم يحرمها الإسـلام. فقد أفتی أغلب الفقهاء بجوازها فی حالة رضـی الطرفين، بل أجازهـا البعض حـتى دون رضـی الزوجـة. فـالواقع أبقی الإسـلام البـاب مفتوحـاً أمـام المسـلمين، فـإن اقتضت الضـرورة منع الحمـل- كالضـعف وعجز المرأة وسـائر المشـاكـل- ولكن ينبغی الإلتفات إلى أنّ كل ذلك اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۳۱۸ حيث لم تعقد النطفة، أما إن عقدت فالإسقاط حرام، ولو كان انعقاد النطفة ليوم واحد، فالعملية بعد ذلك إسقاط وهی حرام.

۳۹ ما حكم اسقاط الجنين اللقيط؟

سؤال: هل من ديّة على من يسـقط الجنين غير المشروع على غرار الإسقاط المشروع؟ الجواب: لا يجوز إسقاط الجنين مطلقاً- مشروعاً

كان أم غير مشروع- وعليه فلا فرق هنا بين الاثنين. والقضية هنا أنّ ديّة السقط غير المشروع إن التفت الطرفان إلى عدم شرعية فعليهما لا ـ تصل إليها، بل إلى بيت المال، بينما تصل إلى الورثة إن كان شرعياً، إلّاأنّ يقدم أحد الوارثين- كالأب أو الأم- على الإسقاط، فيحرم الارث كالقاتل.

۴۰ ضخ الدم

سؤال: يزرق اليوم الدم لبعض الأفراد وربّما يكون من رجل إلى امرأة أجنبية، أو بالعكس، فهل من إشكال؟ الجواب: حيث لا دليل على المنع فلا إشكال طبق القواعد الفقهية، ولكن الأفضل أن يكون من الرجل للرجل والمرأة للمرأة، ولكن لا حرمة كما ذكرنا.

۴۱ اخلاص النية والعمل

سؤال: صرح الفقهاء بضرورة إخلاص نيّة المصلى فى العمل وأن لا يدفعه للعمل سوى طاعة اللّه، وعليه فالصلاة للرياء والشهرة باطلة حيث تفتقر إلى النيّة الخالصة. وعلى ضوء هذه القاعدّة تبطل الصلاة بالإجبار والإكراه، لأنّ دافعه لم يكن طاعة اللّه، والحال هنالك إجبار فى بعض البلدان الإسلامية على إقامة الصلاة- ولا سيما الجماعة- فما حكم ذلك؟ الجواب: بغض النظر عن الأبحاث المسهبة للعلماء بشأن ماهية العبادة، وبعض مبانيها لا تنسجم مع الإكراه والإجبار، ويبدو أنّ هذا السنخ من العبادات وإن شرع إثر الإكراه والإجبار، إلّاأنّ أثر الإكراه يأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً حتى يصبح عادياً ودافعه طاعة اللّه، فعلى فرض أنّ بعض الصلوات تبتدىء بالإكراه فهى باطلة، ولكن منذ إزالة الإكراه فإنّ أعماله خالصة النيّة وبغض النظر عن ذلك يمكن القول أنّ هؤلاء الأفراد ليسوا مجبورين قبل ذلك ليلتحقوا بصفوف الجماعة، وفى هذه الحالة يستطيع هؤلاء الأفراد أن يعقدوا نيّتهم للصلاة ويحصلوا على ثوابها، فمتى أتى بهذه الصلاة كانت صحيحة، لأنّها تستند إلى النية والرغبة.

۴۲ جمع صلاتى الظهر والعصر

سؤال: كيف نصلى العصر أحياناً أوائل الظهر- بعد أداء صلاة الظهر- بينما لم يحن العصر لحدّ الآن، وكيف نصلى الظهر أحياناً فى آخر الوقت والحال مضى الظهر؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ لصلاة الظهر والعصر وكذلك المغرب والعشاء وقت خاص ووقت مشترك، والمراد من الوقت الخاص ما لا يمكن الإتيان بالصلاة خارجه، مثلًا مقدار الأربع ركعات من أول الظهر مختصة بصلاة الظهر، والأربع ركعات من آخر الظهر مختصة بالعصر، وما بين هذين الوقتين مشترك بين الظهر والعصر. كما ينبغى الإلتفات إلى أنّ لكل من الصلاتين فضيلة بحيث لو أتينا بها فيه حصلنا على ثواب أكثر. مثلًا فضيلة صلاة الظهر منذ بداية الظهر حتى يصبح ظل الشخص بطوله، ففى هذه الحالة تمّت فضيلة الظهر ودخل العصر. وعليه فتسمية هاتين الصلاتين باسم الظهر والعصر من حيث وقت فضيلة الصلاتين، لا من حيث الوقت المشترك. فمن صلّى العصر أوائل الظهر فقد أدّى الصلاة فى وقتها ونيّته فى صلاة العصر، أى أصلى صلاة من حيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲۶ الفضيلة وقتها العصر. وعلى أيّة حال أن يؤخرها ويأتى بها- وقت العصر وقت الفضيلة. وكذلك من يصلى الظهر اواخر النهار فانه يأتى بها فى الوقت المشترك و نيته لصلاة الظهر كون وقت فضيلتها الظهر، وهكذا صلاة المغرب والعشاء من حيث الوقت «المختص» و «المشترك» و «الفضيلة». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲۷

۴۳ هل للصلاة من دخل فى قبول سائر الأعمال؟

سؤال: قرأت فى كتاب إشكالًا على المسلمين: روى علماء المسلمين فى كتبهم الفقهية أنّ الصلاة ما لم تقبل لن تقبل سائر الأعمال، كما ذكرت فى الكتاب بعض شرائط الصلاة ليست متوفرة فى أحد من الناس! وإن صارت فليست صحيحة، وعليه فعباداتهم وأعمالهم

باعترافهم طيلة عمرهم سوف لن تقبل. فكيف تردّون على هذا الإشكال؟ الجواب: أولًا: يتضح من كتب الفقه أنّ الشرائط المذكورة ليست ثقيلة بحيث لا يمتثلها أحد، بل يستطيع أغلب الناس احرازها على ضوء التفاتهم لأعمالهم، ويمكنك تأييد ذلك بالرجوع إلى الرسالة العملية، وعليه فلا تصح هذه النسبة للإسلام. ثانياً: قبول الصلاة وسائر الأعمال درجات عند اللَّه؛ أى ممكن أن لا تحصل عبادة على المقبولية العليا لكن تتوفر فيها سائر الشرائط؛ فكل عبادة صحيحة قطعاً لها درجة من القبول. وعلى هذا الضوء سيكون قبول سائر الأعمال على غرار قبول الصلاة. بعبارة أوضح، إن كانت الصلاة صحيحة وطبق الوصايا الشرعية ستكون مقبولة عند اللَّه؛ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲۸ غاية الأمر كلّما كان الإنسان أطهر قلباً وأبعد عن الظلم كان قبول صلاته أكبر؛ ذلك لأنّ قيمة كل فعل بقيمة فاعله.

۴۴ الصوم والصلاة فى المناطق القطبية

سؤال: ... يقول بعض الماديين أو غير المسلمين كيف الإسلام دين عالمى بينما لا تطبق تعاليمه إلّا فى وسط كوسطنا؟ فمثلًا لا يصح الأمر بالصلاة والصوم فى المناطق القريبة من القطب الشمالى والجنوبى التى تمتاز بطول ليلها ونهارها (فبعض المناطق ستة أشهر نهار وأخرى ليل)؟ الجواب: إنّ الإسلام تكهن بذلك وشرع أحكامه لتطبق فى كل مكان. توضيح ذلك: ذكر فقهاؤنا ذلك فى كتبهم والتى تبحث جزئيات الأحكام الإسلامية مثلًا ذكر صاحب «العروة الوثقى» «۱» هذه المسألة وأفتى بأنّ هؤلاء الأفراد مكلّفون بالإتيان بالصوم والصلاة طبق المناطق المعتدلة. أى عليهم ملاحظة طول الليل والنهار فى ذلك الفصل (بصورة متوسطة) فى المناطق المعتدلة فيصوموا ويصلوا على أساسه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۰ وبعبارة أوضح فإنّ سكنة المناطق القطبية «۱» حين ترتفع الشمس إلى السماء يعتبرون ذلك «نهاراً» وحين تهبط وتقترب من الأفق ويقل ضوؤها يعتبرونه «ليلًا»، وهكذا يكون من السهل تمييز الليل من النهار، ولو نصبنا شاخصاً على الأرض فأن بلغ ظلّه أقل حدّ فهو «الظهر» وحين يبلغ أقصى حدّ فهو منتصف الليل. و بهذه الطريقة تحل مشكلة تحصيل الظهر و منتصف الليل. ولو علمنا مقدار الليل والنهار فى المناطق المعتدلة آنذاك، مثلًا نعلم فى اول الصيف ان الايام بصورة متوسطة اربع عشرة ساعة و الليالى عشر ساعات فيستضح الصوم والصلوات الخمسة تماماً (تأمل). وعليه فقد اتضح تكليف الصوم والصلاة فى الايام الطويلة. اما الاوقات التى تطول فيها الليالى فلابد من الالتفات الى ان الجو ليس بوتيرة معينة فى الاربع وعشرين ساعة، فاحيانا مظلم واحيانا أخرى مشرق، لأن الشمس تقترب أحياناً من الافق فيكون الجو مثل مابين الطلوعين أو أعمق قليلًا، وأحياناً أخرى تبتعد الشمس و يظلم الجوّ ففى هذه الليالى يمكن تشخيص «منتصف الليل» و «الظهر» من وضع حركة النجوم و بعدها عن الافق و كذلك ظلمة و اشراقة الجو، حيث يمكن الاتيان بالوظائف الشرعية من خلال الاخذ بنظر الاعتبار مقدار متوسط ليل و نهار المناطق المعتدلة. واتضح مما تقدم ان الاحكام الاسلامية و منها وظيفة الصلاة والصوم لاتختص بوسط معين ولابد من الاتيان بها فى كافة المناطق «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۱

۴۵ الصلاة اوّل الوقت

سؤال: صرح بعض العلماء بأنّ إمام العصر أرواحنا فداه يصلى أوّل وقت الصلاة فمن صلى فى هذا الوقت قبلت صلاته ببركته، لكننا نعلم بأنّ الأوقات والآفاق مختلفة وربّما كان لبلد عدّة آفاق، ففى الموضع الذى يصلى فيه الإمام طبق أفقه لا آفاق سائر الأماكن فكيف تحلون هذا الإشكال؟ الجواب: مراد من استدل بذلك أداء الصلاة فى أول الوقت لها وجه مشترك مع صلاة إمام العصر عليه السلام؛ لأنّ صلاته عليه السلام فى أوّل الوقت وببركة وجه الاشتراك هذا تكون فضيلة لصلاة سائر الأفراد، وبالطبع ليس لاختلاف الآفاق من تأثير على هذا الموضوع. وبعبارة أخرى ليس المراد الإتيان بالصلوات فى زمان واحد، بل المراد الاتحاد فى «عنوان واحد» بمعنى «أداء الصلاة فى أوّل الوقت» ولكن كل حسب أفقه.

۴۶ الغناء

سؤال: هل كل صوت عذب وجميل كالغناء حرام؟ الجواب: قطعاً ليس كذلك، لأنّ الروايات الإسلامية وسيرة المسلمين تؤكد على تلاوة القرآن والأذان بصوت عذب، والغناء المحرم الصوت المنسجم ومجالس الفسق والفجور والمعصية والفساد. بعبارة أخرى الصوت الذى يثير القوى الشهوية لدى الإنسان بحيث يشعر فى ظلّه بحاجة إلى الرقص والفجور والفساد! والجدير بالذكر أحياناً «النغمة» تكون غناءً ولهواً وباطلًا، ومضمونها أشعار غرام وطرب، وأحياناً أخرى تكون غناء فقط، بحيث يقرأ أشعار عميقة أو آيات قرآنية ودعاء ومناجاة تناسب مجالس اللهو والفساد فهو حرام فى الحالتين. (لابدّ من التامل). طبعاً للغناء مصاديق مشكوكة (كسائر المفاهيم) بحيث لا يدرى الإنسان هل الصوت الفلانى يتناسب ومجالس الفسق والفجور أم لا؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۴ فيحكم هنا طبق أصل البراءة حلّيته (بعد العلم الكافى بالمفهوم العرفى للغناء طبق التعريف المذكور). ويتضح من هنا أنّ لا دليل على حرمة الأصوات والنغمات الحماسية التى تنسجم مع ميادين القتال أو الرياضة و ما شابه ذلك.

۴۷ حكم الشطرنج

سؤال: هل من إشكال فى اللعب بالشطرنج؟ إذا كان من غير رهن؟ بل يمكن القول إنّه يحول أحياناً دون لعب القمار. كما أنّ الشطرنج رياضة فكرية عالمية. أرجو بيان رأيكم؟ الجواب: المشهور بين الفقهاء حرمة اللعب بصورة عامة بآلات القمار- حتى دون الاشتراط- ولعلّ فلسفة هذا الموضوع أنّ التعامل مع هذه الالات يؤدّى بالانسان- شاء أم أبى- إلى القمار، لاسيما بالنسبة للعب الشطرنج حيث تواترت الأخبار عن الأئمة عليهم السلام التى منعت استعمال آلات هذه اللعبة- كيفما كان العنوان- ولكن بالنظر إلى تحول شكل الشطرنج فى الوقت الراهن بحيث إكتسب صبغة رياضة فكرية فى معظم مناطق العالم ليصبح بالتالى كرياضة فى ميادين الرياضة العالمية، فلا إشكال فيه ما لم ينطوى على ربح وخسارة والروايات واردة حين كان من آلات القمار. فالأحكام تابعة على الدوام للموضوعات، فالخمر نجس، وحرام لكنّه يطهّر ويحلّ إن تبدّل إلى خلّ، فهل تغيّر حكم اللّه؟ طبعاً لا، بل تغيّر الموضوع، او تبدّل الدم لبنا أو تحوّل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۶ الماء النجس فى عروق الشجرة إلى ثمرة، فالحكم يتغيّر فى جميع هذه الموارد وذلك تبعاً لتغير الموضوع. أفلا ينبغى تبدل حكم الشطرنج إن خرج من صيغة القمار وتحوّل إلى وسيلة رياضية (طبعا بشرط ان لا يتضمّن ربح وخسارة مالية) وبالطبع أنّ نظر إليه لحد الان فى بعض المناطق كآلة قمار فلايجوز اللعب به.

۴۸ كيف يصلّى الناطقون باللاتينية

سؤال: لو أسلمَ أبناء البلدان اللاتينية وأرادوا الصلاة والدعاء، فهل يسعهم تعلم العربية بطريقة التجويد؟ الجواب: كلّنا نعلم بأنّ أغلبية أبناء هذه البلدان هم من الناس الدارسين فليست هنالك من صعوبة عليهم فى تعلم الصلاة والقرآن، ولعل أغلبهم يتعلمون العربية للاستشراق، مثلنا حين نحاول تعلم لغتهم ونتكلم بلهجتهم. وأمّا تلك الأقلية فلهم أن يتعلموا على قدر استطاعتهم واللّه لا يكلفهم أكثر من طاقتهم- ففى الوقت الذى يجب فيه على الجميع أداء الصلاة والقرآن بالعربية، مع ذلك فتكليف كل فرد يتوقف على قدرته واستطاعته- فالاسلام لا يكلف احدا فوق طاقته ووسعه.

۴۹ السجود عند قبر الإمام

سؤال: هل يجوز السجود على قبور الأئمّة عليهم السلام؟ الجواب: يختص السجود باللّه ولا يجوز لغيره كائناً من كان، فمن فعل ذلك فمن باب الجهل بمبانى الدين ولابدّ من تنبيهه إلى عدم جواز السجود للإمام عليه السلام. ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ السجود على

التربـة المأخوذة من الأماكن المقدّسة لا تعنى السـجود لصاحبها، بل طبقاً للروايات والأخبار فإنّ السـجود على هذه التربة بغية الخضوع والخشوع للّه (على أن لا يكون موضع السـجود ممّا يؤكل أو يلبس أو من المعادن) والتربة الحسينية تربة طاهرة حَظِيَت بشرف وقدسية حين سالت عليها دماء الحسين عليه السلام لنصرة دين اللّه. واستناداً إلى مبادى المحاكاة والتداعى فإنّ السجود على تربة كربلاء يثير لدى المصلى مشاهد تضحية سيد الشهداء عليه السلام ويوقظ القلوب ويربى فيها حب التضحية والفداء.

۵۰ ما حكم هذه الرياضات

سؤال: هـل بعض الرياضـات الثقيلـة كالملاكمـة محرّمـة فى الإسـلام، وهـل تجوز لأولئـك الـذين يحترفونها كمهنـة؟ الجواب: جميع الرياضات والأنشطة البدنية كافّة المفيدة لسلامة البدن والتى تخلو من الخطر جائزة ما لم تتضمن أعمالًا خلافية. وحيث حظر الإسلام كل عمل يتضـمن خطراً أعلى الشخص أو غيره، ولا تخلو الملاكمة من الخطر فهى ممنوعة. و عليه لابد من الحذار من هذه الرياضات وكما نعلم فقـد خلقت هـذه الرياضـة العديـد من الضـحايا و قـد فقـد الكثير حياته فى هذا المجال. و على هذا الاساس ففى الرياضات النافعة- ان عاد نفعها على المجتمع- فلااشكال فيها والا فهى ليست جائزة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۳

۵۱ أسئلة مسلم أمريكى

بعث إلينـا مسـلم أمريكى بعـدّة أسـئلة نافعـة نوردهـا مع أجوبتهـا: سؤال ۱: المقررات المتعلقـة بـالزواج والطلاـق مختلفـة فى مختلف الولايـات الأمريكيـة، إلّاأنّ أصولهـا واحـدة تقريبـاً، فمـا تكليف المسـلمين الأمريكيين بالنظر إلى عـدم وجود وكيل مسـلم يقوم بعقد الزواج؟ من يسـتطيع تقنين هذه المسألة، وهل من الضرورى اعطاء المهر للمرأة؟ الجواب: يستطيع الرجل والمرأة فى أمريكا توكيل من يمكنه إجراء صيغة العقد، فإن أجرى الصـيغة أصبحت قانونية شرعاً، وإن تعذر عليهما ذلك يمكنهما إجراء العقد بنفسيهما، ولهما أن يعقـدا بالانجليزيـة إن تعذرت العربية، وليس من الضـرورى تعيين المهر حين العقد وللمرأة أن تطالب بالمهر الذى يناسب وضـعها بعد العقد. وعليه فالمهر ضـرورى، ولكن تسـتطيع المرأة التنازل عن المهر أو بعضه. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۳۴۴ سؤال ۲: هل يمكن أداء صلاة الجمعة ليلًا أو يوم الأحد كون الجمعة يوم عمل فى البلدان الغربية، وهل يجوز الاستفادة من وسائل الموسيقى فى المسجد؟ الجواب: لابـدّ من الإتيـان بصـلاة الجمعـة فى وقتهـا كسـائر الأحكـام الإسـلامية، ولاـ يمكن الإتيـان بهـا فى أى وقت آخر. ولاـ يجوز الاستفادة من الآلات الموسيقية مطلقاً فضلًا عن استعمالها فى المسجد. سؤال ۳: هل يجب على المسلمة الأمريكية التى تريد الصلاة فى المسجد إرتداء ثياب معينة أم تكفيها ثيابها العادية؟ إن كان الجواب بضرورة إرتداء غير ثيابها فما سبب ذلك. الجواب: لا يجب عليها ذلـك والواجب عليها ستر البـدن غير الوجه والكفين. سؤال ۴: كل من نطق بالشـهادتين فهو مسـلم، فإن كان شـرط الإسلام فقط هذا، فهل يعتبر هو المقياس لإسـلامية الفرد؟ مثلًا كيف يُعـدّ الشـخص مسـلماً وهو لا يصـلى ولا يصوم ولا يزكى ولا ينتهى عن المعاصـى؟ الجواب: الإسـلام مراحل؛ المرحلة الأولى التوحيد والنبوّة والمعروفة بالشـهادتين؛ والمراحل لأخرى الالتزام بأحكام الإسلام وما يوصل الفرد إلى السـعادة، أى العقيـدة والإيمان المقرون اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۳۴۵ بالعمـل. وعليه فمن نطق بالشـهادتين ولم يمتثل الأحكام فلا تجرى عليه سوى أحكام الإسـلام الاجتماعيـة، لا أنّه مسـلم اصـيل يأمل الوصول إلى السـعادة. سؤال ۵: هل يجب الختان على الأـمريكى البـالغ إن أسـلم (ما لم يكن مختوناً)؟ الجواب: الختان واجب على المسـلمين، ويجب حتى على من أسـلم بعـد البلوغ. سؤال ۶: لمن ينبغى أن يدفع المسـلم الأمريكى الزكاة وكيف يحسـبها من راتبه الشـهرى؟ الجواب: لا زكاة على الراتب الشهرى، لكن هنالك واجب آخر هو (الخمس) وبالنظر إلى أنّ الوسط الأمريكى تجارى وصناعى، فهذا الحكم يشمل عادة دخل المسلم الأمريكى، فالشـخص الذى له مرتب شـهرى ودخل مشـمول بالخمس فعليه أن يحسب كل عائداته السـنوية، ويطرح منها نفقاته السنوية ويخمس البـاقى فى بيت المـال. جـدير بالـذكر أن نصف الخمس- أى العشر- يعطى لفقراء السـادة الـذين تحظر عليهم الزكـاة، والعشـر الآـخر

یصرف فی المصالح الإسلامیة بإجازة المجتهد العادل ومن یتقاضی مرتباً شهریاً یستطیع أن یقسم المبالغ السنویة کافّة التی یجب فیها الخمس علی اثنی عشر شهراً ویدفع کل شهر قسماً منها. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۳۴۶ سؤال ۷: نظمت الأوضاع الاقتصادیة هنا بحیث یضطر الفرد لشراء حاجاته کالدار والسیارة و ... بالاقساط، فما وظیفة المسلم الأمریکی وهو یعلم أنّ فی هذه المعاملة ربّح لا یقرّه الإسلام؟ الجواب: المحرم فی الإسلام هو القرض مع الربح، مثلًا یقترض شخص مبلغاً من آخر بشرط أن یدفع أکثر فهذا ربا وحرام، أمّا شراء السلع ودفع ثمنها بالأقساط فلا یعدّ ربا، ولا إشکال حتی مع کون قیمة النسیئة أکثر من النقد. سؤال ۸: هل یجوز للمسلم الأمریکی الرجوع إلی المحاکم الأمریکیة؟ الجواب: إن توقف استنقاذ الحق علی الرجوع إلی المحاکم الأمریکیة جاز له ذلک. سؤال ۹: یجوز للمسلم أن یتزوج من الکتابیة ولیس للمسلمة ذلک، فإن کان هذا صحیحاً فما علّة ذلک؟ وإن حرّم الإسلام الزواج من المشرکة أفلم یحرم الزواج من النصاری الذین یعتقدون بالتثلیث والوهیة المسیح وشفاعة البابا؟ إلّاینبغی تعریف المسیحی کما هو؟ کما یقال إنّ الزواج من الملحدین حرام، فهل یستطیع المسلم الزواج من شیوعیة؟ وهل یجوز الزواج من کاثولیکیة فیجبر علی إقامة المراسم من قبل قس کاتولیکی فی الکنیسة ویوقع سنداً بالتزام أولاده بتعالیم الکاثولیکیة؟ اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۳۴۷ الجواب: للمسلم الزواج المؤقف فقط من الکتابیة، وفلسفة عدم جواز الزواج الدائم من النساء لأنّهنّ غالباً ما یخضعن فی وسطهن للتأثیر الفکری للرجال ولعلهنّ تخترن عقائدهم وأفکارهم، وعلیه فالمسلمة لو تزوجت من کتابی ربّما تتأثر بأفکاره وتهتز عقائدها، ومن هنا لا- ینبغی للمسلمة الزواج من غیر المسلمین، والأمر لیس کذلک بالنسبة للرجل، وهنالک فارق بین المسیحی والمشرک، فالإسلام لا یعترف بالشرک قط، ویمکن توضیح الفارق فی أمرین: ۱- إنّ المشرک والوثنی لا یقرّ بالنبوة الأصل الثانی بعد الإیمان بوجود اللّه فی الادیان السماویة کافّة، وعلی هذا الأساس فلا سبیل لقبوله التعالیم السماویة والهدی للسعادة الأخرویة. ۲- شرک الوثنیین ظاهر وجلی، خلافاً لشرک النصرانیة الأضعف من سابقه، ورغم التثلیث فهم یتحدثون عن الوحدة ویزعمون أنّ التثلیث لا یقدح بها (مع أنّ ذلک تناقض مرفوض). والزواج من الملحد لا یجوز، وعلیه لیس للمسلم الزواج من ملحدة وکذا المسلمة. فمن اعتبر اللّه عقیدة نظریة فهو ملحد ولا- یجوز الزواج منه. ولیس لمسلم حق التعهد بأن یصبح اولاده نصاری فی المستقبل. سؤال ۱۰: هل للمسلم الأمریکی حضور أعیاد سائر الأدیان سیما عید الفصح وعید المیلاد وبعث التهانی والهدایا وما شابه ذلک ...؟ الجواب: لیس من الصحیح للمسلم إشاعة السنن والآداب غیر الإسلامیة وحضور هذه المناسبات، بالإضافة إلی أنّ بعض هذه الأعیاد لا تستند إلی أساس صحیح وترافقها بعض اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۳۴۸ المراسم المحظورة، فعلی المسلم أن یشیع السنن الإسلامیة. سؤال ۱۱: هل تجوز بعض مراسم الدفن السائدة فی امریکا کاستعمال المواد الکیمیاویة للحیلولة دون تعفن المیت ووضعه فی تابوت؟ هل یجب أن یکون الکفن أبیضاً؟ وهل یمکن الاستفادة من الثیاب العادیة؟ وهل یجوز إحراق جسد المیت؟ وهل تجوز إقامة مراسم عزاء المسلم فی الکنیسة؟ ... وما تکلیف المسلم البعید عن المسجد فی هذه الأمور؟ الجواب: الکفن للمسلم- حسبما ورد فی الشریعة- واجب، فلا- یجوز دفنه بالثیاب العادیة، ولا- ضرورة لأن یکون الکفن أبیضاً. وإحراق جسد المیت حرام ولابدّ من دفنه فی التراب وکیفیته أن یُواری الثری ولا- یظهر منه شیء بحیث لا- تشم رائحته ویصان من الحیوانات. ولا- مانع من استعمال المواد الکیمیائیة للحیلولة دون التعفن- ما لم یتضمن إهانة للمیت المسلم- وکذلک وضعه فی التابوت بعد القیام بمراسم الدفن وما لم یکن تقلیداً لأسلوب أتباع سائر الأدیان. من الأفضل أن لا تقام مراسم عزاء وتشییع المیت فی الکنیسة، و یمکن لمن کان بعیداً عن المسجد إقامتها فی أماکن أخری أو فی البیوت أو الامتناع عن إقامة المراسم. سؤال ۱۲: هل أستطیع أکل اللحوم فی المطاعم مع جهلی بها؟ عادة لا اطمئنان بأنّ الذبح شرعی، فما العمل؟ هل یمکن للمسلم أن یدفع أکثر ویتناول من ذبیحة الیهود؟ اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۳۴۹ الجواب: لا یجوز تناول اللحوم فی الأوساط غیر الإسلامیة إلّاإن کان بائعاً أو صاحبها مسلماً. ولو اشتری المسلم اللحوم من غیر المسلم، وأیقن بأنّه مطابق للشرع فلا مانع من تناوله، وتحرم علی المسلم ذبیحة الیهود والنصاری. سؤال ۱۳: کیف یعد المسلم الأمریکی أسباب الحج وما مقدار التکالیف؟ الجواب: علی کل مسلم الحج إن کان قادراً ولدیه أموال فائضة علی تکالیفه السنویة، وللوقوف علی

مقدمات السفر من قبيل أموال الذهاب والإياب وجواز السفر فلابدّ من مراجعة شركات الخطوط الجوية فى أمريكا والدوائر الأمريكية الحكومية. سؤال ۱۴: ما وظيفة المسلم الأمريكى إزاء الوصية والإرث والتى تجرى غالباً على خلاف الأحكام الإسلامية؟ الجواب: إن تعذر على المسلم العمل بالأحكام الإسلامية وكان هنالك فارق بين القوانين المدنية الأمريكية والأحكام الشرعية فله أن يمتثل قوانين أمريكا ولا- إثم عليه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵۰ سؤال ۱۵: هل ترجّح القوانين الإسلامية «الضمان العام» على «الضمان التجارى»؟ ولو استطاع المسلم الأمريكى الحصول على الضمان التجارى بمقدار أقل فما تكليفه، وهل يحق له المساهمة فى هذا الضمان؟ الجواب: الضمان التجارى- بناءً على كونه أحد العقود وتشمله الأحكام الكلية- فهو صحيح وقانونى، ولا فرق بين هذين النوعين صحة وقانوناً- وعليه فللمسلم حق الضمان التجارى والمساهمة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵۱

۵۲ ما وظيفة المرأة فى المجتمع؟

سؤال: حسب فتاوى الفقهاء لا يجب على المرأة القيام بأعمال البيت والرضاع وحفظ الأطفال، ونفقاتها على الزوج وليس عليها العمل خارج البيت، فما وظيفة المرأة إزاء المجتمع؟ الجواب: إنّ الإسلام أراد أن يرفع من شأن المرأة فى المجتمع ويفسح لها لمجال إن أرادت القيام بهذه الأعمال التى لم يوجبها عليها، ولها أن تمارس هذه الأعمال وتستحق عليها الأجرة؛ ولكن ينبغى الإلتفات إلى أنّ عدم إيجاب شيء غير منعه! نعم لم يوجب الإسلام إدارة شؤون البيت على المرأة ليرفع من شأنها كى لا تصبح عبدة، حيث أوكل هذا الأمر فى الواقع إلى فطرتها ورغباتها الطبيعية- طبعاً الأُم حنونة بأولادها والعكس صحيح، ولعل شعور الأمومة يدفعها لإرضاع وليدها والجد فى تربيته، كما للمرأة رغبة شديدة فى إدارة شؤون البيت- وما زالت المرأة تقوم بهذه الوظيفة بصورة طبيعية ولها حق الأجرة عند الضرورة.

۵۳ هل الخمس أجر الرسالة

سؤال: لا شك فى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يسأل الأجر إلّامن اللَّه على كل هذه التضحيات من اجل الرسالة، وإن لاحظنا فى بعض الآيات التى تحدثت عن «المودة فى القربى» كأجر للرسالة، فهذا بدوره خدمة أخرى للناس وحث على هدايتهم؛ ذلك لأنّ مودة أهل لبيت عليهم السلام توجب الاقتداء بهم وهذه سعادة، ولكن ما معنى وجوب الخمس الذى يعطى نصفه للسادة؟ أليس هذا أجر على الرسالة؟ الجواب: نعلم أنّ مصرف «الخمس» فقط «فقراء السادة» لا جميعهم، ولو زاد خمس الأموال المخمسة عن حاجات السادة لوجب رده إلى بيت المال ليصرف فى المصالح العامة، ولو كانت حاجاتهم أكثر من الخمس لوجب قضاؤها من بيت المال- من جانب آخر فليس للسادة من حق فى الزكاة (اللّهم إلّاأن تكون من زكاة السادة). وعليه فالخمس فى الواقع بدل الزكاة المعطاة لسائر الفقراء وشروط اعطائها لفقراء السادة كشروط منحها لسائر الفقراء، غايته تدفع لهم بشكل آخر حفظاً لحرمة جدهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وعليه فهى ليست بأجرة على الرسالة قط.

۵۴ أليس الخمس دعماً للتمايز الطبقى؟

سؤال: ورد عن أحد كبار الشيوعية أنّه قال: لقد تأملت جميع الاديان علىّ أعتنق أحدها فرأيت أفضلها الإسلام وللأسف حين حاولت اعتناقه صدمت بنقطة ضعف تكمن فى منحه الإمتيازات من قبيل الخمس للسادة. الجواب: كما قيل فى جواب السؤال السابق ليس هنالك من فارق أساسى بين الخمس «۱» والزكاة؛ أى كلاهما يتعلق بأفراد المجتمع من الفقراء والضعفاء والعاجزين، حيث يعطى كل بقدر حاجته، ومازاد على ذلك فهو جزء من بيت المال، وكل ما هنالك وحرمة لأبناء رسول اللَّه فقد لبيت حاجاتهم من خلال عنوان غير عنوان الزكاة. من الطبيعى أن يكون هذا الاحترام المعنوى للسادة من جانب اللَّه نوعاً من التكريم لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله

وتفانيه فى نشر الدعوة. والخلاصة خلافاً لِما يتصوره البعض فإنّ قانون الخمس لا يشجع التمايز الطبقى، ولا يفرق عن الزكاة من الناحية المادية بالنسبة للفقراء، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵۶ أى لن يعطى السادة أموالًا إضافية بالنسبة لسائر المحتاجين قط، والخمس لا يعطى للمتمكنين من السادة باى شكل من الأشكال.

۵۵ بلوغ البنين والبنات

سؤال: ثبت فى علم الفسلجة (علم وظائف الأعضاء) أنّ المرأة أضعف من الرجل من حيث القوّة البدنية، مع ذلك اعتبر الإسلام بلوغ البنت بعد التاسعة من عمرها وحدد لها بعض التكاليف، بينما عدّ تكليف الولد فى السادسة عشرة من عمره، فما فلسفة ذلك. الجواب: ما أثبته التحقيق العلمى أنّ نمو المرأة أسرع من الرجل. وعليه فالمدّة التى يطويها الرجل ۱۵ سنة، تجتازها المرأة فى ۹ سنوات، ولا يقتصر هذا الأمر على الرجل والمرأة. بل يشمل جميع الكائنات الحيّة. والخلاصة كل كائن ألطف يكون نموه أسرع، ومن هنا فإنّ أغلب البنات ينضجن جنسياً وتؤهلن للأمومة فى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من العمر، بينما لا يعيش الولد مثل هذه الحالة.

۵۶ هل ينبغى التحقيق فى المسائل الدينية أم التقليد؟

سؤال: هنالك بعض الأفراد الذين ينكرون مسألة «التقليد» فى الأحكام ويزعمون أن وظيفة الجميع التحقيق فى المسائل الشرعية، ويستقون الأحكام قاطبة من القرآن وسائر المصادر الإسلامية للأسباب التالية: أولًا: يشجب القرآن أنواع التقليد كافّة وينتقد باستمرار التقليد الأعمى. ثانياً: التقليد نوع اتباع دون دليل والعقل والمنطق يرفض التقليد الذى يفتقر إلى الدليل. ثالثاً: التقليد أساس تفرقة صفوف المسلمين، فالمراجع متعددون وآراؤهم مختلفة. الجواب: إننا نعتقد بأنّ أصل كل هذه الإيرادات يعود إلى شىء واحد وهو: أنّ لمفردة التقليد معنيين؛ معنى اعتيادى يفهم فى العرف العام ويستعمل فيه لفظ التقليد فى الحوارات اليومية، ومعنى علمى يبحث أيّة علاقة بالمعنى الأول. توضيح ذلك: يصطلح بالتقليد فى الحوارات اليومية على الأفعال الطائشة التى يتبع فيها بعض الأفراد غيرهم دون الاستناد إلى أىدليل. وبالطبع فإنّ هذه التبعية العمياء لهؤلاء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۰ الأفراد الجهال لنظرائهم الجهال من الآخرين عمل مذموم وقبيح لا ينسجم مع المنطق ولا مع روح التعاليم الإسلامية؛ وليس هنالك من عاقل ذى شخصية وفكر مستعد لتقليد هذا وذاك تقليداً أعمى فيأتى بكل فعل مشين يأتى به الآخرون. وهذا هو التقليد الذى تشبث به الوثنيون لتبرير أعمالهم وكانوا يزعمون: أنّ الوثنية دين آبائنا ولسنا مستعدين لمخالفتهم. وقد ذكر القرآن منطقهم بهذه الآية فقال: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» «۱» فهؤلاء يحتجون على أعمالهم الطائشة (السجود للحجر والخشب) بأعمال آبائهم فيقلدون تقليداً أعمى معتقداتهم الخرافية. وهذا هو التقليد الذى يكون مصدراً لمضاعفة حجم المفاسد الاجتماعية والأدناس والانغماس فى الشهوات، وهو ذات التقليد الذى أشير له فى شعر المولوى. وكما قلنا فإنّ هذا هو المعنى الذى استندت إليه حملات الجهال كافّة على مسألة التقليد. إلّاأنّ للتقليد فى الاصطلاح العلمى مفهوم مغاير تماماً لهذا المفهوم، ويمكن تعريفه «برجوع الأفراد غير المتخصصين إلى ذوى الاختصاص فى القضايا الاختصاصية»؛ أى رجوع الأفراد فى المسائل العلمية كافّة التى تتطلب بعض التخصصات ويتوقف إدراكها على المطالعات والدراسات التى تستغرق سنوات إلى العلماء والمفكرين الموثوقين- حين الحاجة- والاستفادة من أفكارهم. والتقليد بهذا المعنى والذى أشير له فى المصادر العلمية والذى يعبر عنه أحياناً برجوع غير العالم إلى العالم هو أساس الحياة البشرية فى المجالات الصناعية والزراعية والطبية كافّة وأمثال ذلك. ولو زال هذا الموضوع من الحياة البشرية؛ لما رجع أى مريض إلى طبيب وإنسان إلى معمار وشخص إلى حقوقى فى القضايا الحقوقية، كما لا- يرجع أى فرد إلى خبير وميكانيكى واختصاص فى سائر المجالات، ولانهارت الحياة الاجتماعية برمتها وظهر الفساد فى المستويات كافّة. والقضايا الدينية ليست بدعاً من ذلك؛ طبعاً الأفراد كافّة موظفون بالتحقيق فى الاصول العقائدية- أى معرفة اللّه والنبى والإمام والمعاد- ولا يبدو هذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۱ التحقيق صعباً

ومعقداً، ويستطيع كل فرد التعرف على هذه الأصول على ضوء الدليل والمنطق المناسب لفهمه وإدراكه، بينما يتعذر التخصص على الأفراد والاستفادة من المصادر الدينية- القرآن والحديث والدليل والعقل والإجماع- للتوصل للأحكام فى المسائل المرتبطة بالأحكام الإسلامية فى باب العبادات والمعاملات والسياسات الإسلامية، والأحكام المتعلقة بالفرد والأسرة والمجتمع والصلاة والصوم والجهاد والديات والحدود والقصاص والزواج والطلاق والآف المسائل المختلفة والمرتبطة بجوانب حياة الناس. وعليه فهم مضطرون للرجوع فى هذه المسائل إلى العلماء والمراجع المعتمدين؛ العلماء الذين جدّوا لسنوات فى المسائل الإسلامية ولهم معرفة تامة بالكتاب والسنة والأخبار والروايات. وعلى هذا الضوء يتضح بجلاء أنّ هذا الرجوع ليس من قبيل التبعية دون دليل، بل هذا الاتباع يستبطن الدليل العقلى والنقلى وهو أنّ نظرية الشخص العالم والمتخصص ألصق بالحقيقة ولا ـ يجانبها قط، ولو أخطأ لكان خطأه محدوداً، بينما لا يكون رصيد أعمال الجاهل الذى يتصرف وفق رأيه ومعتقده سوى الزلل والخطأ. مثلًا، لو رجع الشخص حين مرضه إلى الطبيب وكتب له الوصفة، فربّما يخطىء الطبيب، إلّاأنّ المفروغ منه أنّ أخطاءه طفيفة جدّاً بالنسبة للنتائج التى يحصل عليها من وصفته، طبعاً المراد الطبيب الماهر والمتخصص، ولكن لو تحفظ المريض عن الرجوع إلى الطبيب، وتناول ما يشاء من دواء حسب رغبته وفكره، فمما لا شك فيه يكون قد اقترف عملًا غاية فى الخطورة، وما أكثر ما يؤدّى به هذا الأمر إلى الوفاة. النتيجة: تبعية غير العالم للعالم تنطوى دائماً على دليل إجمالى ومنطقى. ومسلّم أيضاً أنّ هذا التقليد والاتباع لا يدلّ على أى مثلبة فى شخصية الإنسان، بل بالعكس دليل على شخصيته، لأننا نعلم بأنّ دائرة العلم على قدر من السعة بحيث هنالك عشرات وأحياناً مئات الفروع التخصيصة فى علم معين، ولو كان للإنسان عمر نوح وعقل ابن سينا فلا يسعه قط التخصص فى واحد بالمئة من هذه العلوم. وعليه فلا مناص له من الرجوع إلى الآخرين فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۲ غير اختصاصاته. فيرجع المهندس مثلًا حين يمرض إلى زميله الطبيب، والطبيب إلى زميله المهندس إن أراد بناء دار، كما يعود الاثنان إن حدث عطل فى سيارتيهما إلى الميكانيكى، كما يرجع الجميع فى الأحكام الإسلامية التى يجهلونها إلى علماء الدين. نعم بقى هنا ما يقال: ما الضير فى أن يرجع الإنسان إلى العلماء فى المسائل التى يحتاجها ويسألهم عن دليل كل مسألة. إلّاأنّ ذلك كمن يقول: ما المانع فى أن يسأل الإنسان الطبيب حين يراجعه ويكتب له وصفة بالدواء عن دليل كل فقرة فيه و كيفية استعماله، فهل يمكن أن يقدم الأطباء للناس أدلة وصفاتهم، ولو فرض قيامهم بمثل هذا العمل، فهل يسع الشخص الذى لا يدرك علم التشريح والفسلجة وخواص الأدوية أن يفهم من الطبيب معنى هذه الاصطلاحات ويقوم بمعالجة نفسه. فإنّ المتفوهون بهذه الكلمات لا يدرك أصلًا سعة العلوم الإسلامية؛ ولا يعلم هذا بأنّ الوقوف على جميع جزئيات القرآن وعشرات الآف من الحديث ودراسة الرجال فى سلسلة سند الأحاديث وتمييز صحيحها من سقيمها وغثها من سمينها وفهم لطائف الآيات والسنة يتطلب عدّة سنوات ليبلغ الشخص درجة التخصص فى هذه المسائل. فقد يتطلب فهم بعض الأحكام الإسلامية المرتبطة مثلًا بالزواج والطلاق وحق الحضانة وتربية الأطفال وأمثال ذلك الاستغراق فى عدّة آيات وعشرات الأحاديث وتأمل رجال سند الحديث من خلال كتب الرجال والرجوع إلى مختلف المصادر اللغوية بشأن بعض المفردات والوقوف على استعمالاتها فى العربية. فهل يسع جميع الأفراد الوقوف على كل هذه التفاصيل فى الموارد المتعلقة بالمسائل الإسلامية كافّة؟ أوَلا يعنى هذا الكلام تخلى الناس عن أعمالهم والتحول إلى طلبة للعلوم الدينية؟ ولا يعلم بالطبع ما إذا كان جميع الأفراد مستعدين لبلوغ الاجتهاد وقريحة استنباط الأحكام الشرعية، ولربّما كان لهم استعدادات أخرى أمّا ما يقال من أنّ الرجوع إلى مراجع الدين مدعاة للاختلاف فهذا من العجب العجاب. أولًا: مراجع التقليد فى كل عصر شخص أو شخصان غالباً، بينما لو أراد جميع الأفراد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۳ ابداء آرائهم فى الأحكام الإسلامية لتعددت هذه الآراء حسب عدد المسلمين، وأثر ذلك لا يخفى فى الاختلاف والتفرقة. ثانياً: اختلاف المراجع فى المسائل ذات الدرجة الثالثة والرابعة، ولا اختلاف فى المسائل الأصولية والأساسية، ومن هنا نلاحظ اصطفاف جميع الأفراد الذين يختلفون فى تقليدهم فى صلاة الجماعة فى صف واحد ولا أن يحول اختلاف الإفتاء فى المسائل الجزئية دون انسجامهم فى الجماعة، أو أنّهم يحجون جميعاً ويأتون بمناسك الحج فى أيّام معينة دون أن يؤدّى اختلاف الفتوى إلى أيّة مشكلة حتى بالنسبة لأفراد قافلة.

كل ذلك يشير إلى أنّ اختلاف الفتوى في المسائل لا يمس بوحدة المسلمين. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۵

۵۷ الولاية والبراءة

سؤال: ما المراد بالتولى والتبرى وهل يمكن تطبيقهما في عالمنا المعاصر؟ الجواب: عادة ما يشبهون الإسلام بشجرة عملاقة جذورها المبانى والأسس العقائدية وفروعها التعاليم العملية ويذكرون عشرة مواضيع بصفتها أساسياته، والحال المفاهيم الإسلامية أوسع من ذلك بكثير، إلّاأنّ أهميّة هذه الاساسيات العشرة كونها تصدرت المرتبة الأولى وإلّا فالمسألة لا تقتصر عليها. وتقسم هذه المواضيع العشرة إلى ثلاث في العبادة والعلاقة مع اللّه- الصلاة والصوم والحج- واثنين في الأمور الاقتصادية والعلاقة مع الخلق- الزكاة والخمس- وخمسة في الأمور الاجتماعية والسياسية- الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتولى والتبرى- والكلام في الفرعين الأخيرين بمعنى الحب والبغض- فمن نحب ومن نبغض؟ نحب أولياء اللّه وأصحاب الحق ودعاته وأنصار العدالة، ونبغض الآثمين والظالمين والمتهتكين وأعداء اللّه. لم لا نحب الجميع؟ لم لا نكون محسنين مع جميع الخلق؟ وهل يمكن التغاضى اليوم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۶ عن التعايش السلمى مع الجميع؟ ولابدّ هنا من طرح سؤال على أصحاب أطروحة حبّ الجميع ومهما كانت الظروف. هل نحبّ في هذا العالم، الظالم والمظلوم والمستعمر (بالكسر) والمستعمر (بالفتح) والغاصب والمغتصب والطاهر والنجس؟ وهل نساعدهم جميعاً وتعاملهم ذات المعاملة؟! وهل هناك من منطق يقرّ بهذا؟ والغرض من هذين المفهومين تخندق صفوف الحق والعدل والطهر وانفصالها عن صفوف الباطل والظلم بغية تضييق الخناق عليهم وتشديد المحاصرة الاجتماعية والاخلاقية عليهم سيما من قبل العناصر الفاعلة والخيرة. فهل يتقبل بدن الإنسان جميع الأطعمة؟ أليس ذوق الإنسان وسيلة للتولى والتبرى بغية التمييز بين الطعام النافع والضار؟ ولو تناول الإنسان طعاماً مسموماً فهل تستسلم المعدة وتسلمه إلى المو ت، أم تسعى سعيها وتوظف كل قواها لتقذف بهذا الطعام من خلال نفرتها منه بالاستفراغ؟ أوَليس الجذب والدفع سر بقاء عالم الوجود؟ فكيف يستثنى المجتمع البشرى من توازن هاتين القوتين بصيغة تولى وتبرى؟ وبعكس ذلك سوف يسارع هذا المجتمع إلى الموت، ومن هنا ورد في الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله: «إن أوثق عرى الإيمان الحبّ في اللّه والبغض في اللّه» «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۷

۵۸ الصوم في الأديان السابقة

سؤال: هل كان الصوم في الأديان السابقة؟ الجواب: صرح القرآن «۱» أنّ فريضة الصوم كانت في الأديان التى سبقت الإسلام وما زال العهد الجديد والقديم يتضمنان التعاليم المتعلقة بالصوم ومنها: ۱- كان الصوم سائداً لدى الأمم والطوائف كافّة وفى ظلّ مختلف الظروف الشاقة (بولس، ۳: ۵). ۲- صام موسى عليه السلام أربعين يوماً (سفر التثنية، ۹: ۹). ۳- حين سنحت الفرصة لليهود وأرادوا الخضوع صاموا ليحصلوا على رضى اللّه (سفر داوران ۲۰: ۲۶). ۴- أمر المسيح حوارييه بالصوم بعد وفاته (انجيل لوقا، ۵: ۳۴).

۵۹ القبلة في القمر

سؤال: ما قبلة من يهبط على القمر؟ الجواب: القمر سيارة تدور حول الأرض وحجم القمر «۱» بالنسبة للأرض ۱۱۴، وكما يلمس سكان الأرض طلوع القمر وغروبه فالعكس صحيح؛ وأحياناً يظهر كله أو بعضه وأخرى يختفى تماماً. وعليه فحين تطلع الأرض فإنّ مجموع الكرة الأرضية قبلة من يصلى في القمر، ووقوفه إزاء الأرض (أو إزاء الخط العمودى الذى يمر من جانبى الأرض) إنّما هو وقوف في الواقع مقابل الكعبة ويتحقق استقبال الكعبة وهو الشرط في صحة الصلاة، ولكن حين تغيب الأرض عن أنظار سكنة القمر فيكون استقبال الكعبة بهذا الشكل حيث يعتبر الموضع التقريبى للأرض خلف أفق القمر ويقف على الخط العمودى على الكعبة من

جانبی الأرض. والجدير بالذكر أنّ القبلة ليست الكعبة بمفردها، بل امتدادها من الجانبين الأسفل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۰ والأعلی- فی السماء قبلة أيضاً؛ أی كل من يقف علی الخط العمود علی الكعبة ويمر منها إنّما يقف نحو القبلة، وعلی هذا الضوء تتضح قبلة سكنة القمر حين تكون الأرض خلف القمر.

۶۰ تعيين القبلة بالشمس

سؤال: هل يمكن تعيين القبلة من خلال الشمس، كيف ذلك إن أمكن؟ الجواب: إذا كانت قبلة الشخص محاذية للنقطة الجنوبية (كنواحی غرب العراق) فإن وقف حين الظهر إزاء الشمس ستكون قبلته، لأنّ الشمس حين الظهر علی دائرة نصف النهار لهذه النقاط، فإن وقف حين الظهر أمام الشمس سيكون مقابل نقطة الجنوب التی ستكون قبلة هذه النقاط، أمّا النقاط التی تميل قبلتها من الجنوب إلی الغرب (كنقاط ايران) ففی هذه النقاط ينحرف بعد محاذاة الشمس بمقدار انحراف قبلتهم من الجنوب إلی الغرب. مثلًا فی طهران التی تنحرف قبلتها ۳۷ درجة عن نقطة الجنوب نحو المغرب، فلابدّ أن تميل حين الظهر بعد محاذاة الشمس ۳۷ درجة نحو اليمين، وبالطبع فإنّ الشمس فی هذه النقاط وما شابهها تحاذی حين الظهر الفلك الأيسر. وعليه فالقاعدة الكلية كلما كانت القبلة محاذية للنقطة الجنوبية تكفی محاذاة الشمس حين الظهر، وإن كانت القبلة تميل من تلك النقطة نحو الغرب، فلابدّ أن يميل بنفس المقدار من محاذاة الشمس إلی اليمين.

۶۱ القبلة فی المناطق النائية

سؤال: كلّنا نعلم بأنّ للأرض نصف شمالی وجنوبی فكيف السبيل إلی القبلة فی بعض البلدان كأمريكا الجنوبية؟ الجواب: أولًا: كما ورد سابقاً أنّ الكعبة ليست لوحدها القبلة، بل تشمل امتدادها من الأعلی حتی عنان السماء وأسفلها؛ وكما يكفی الوقوف أمام الكعبة، كذلك يكفی الوقوف إزاء امتدادها. وعليه فمن كان فی ذلك الجانب الكرة الأرضية يمكنه الوقوف بمحاذاة امتداد الكعبة. ثانياً: لو قيل لرجل فی طهران قف باتجاه مشهد فسيقف نحو جهة حسب بعض الحسابات وبحيث يطمئن علی أنّ مشهد فی هذه الجهة، والحال لو أخذنا بنظر الاعتبار المسافة بين طهران ومشهد أو رسمنا خطاً مستقيماً بمحاذاة وجه الشخص الذی فی طهران نحو مشهد لعبر من فوق مشهد وسط الفضاء لا من مشهد، إلّاأنّ هذا لا يمنع من قولهم أنّه يقف محاذيا لمشهد.

۶۲ قبلة أهل العراق

سؤال: ذكر مؤلف روضات الجنات فی شرحه لسيرة المحقق الحلی رحمه الله صاحب شرائع الإسلام أنّ العالم الفلكی الخواجة نصير الدين الطوسی أتی المحقق، وكان يدرس فحضر الدرس. فكان ممّا قاله المحقق: «يستحب لأهل العراق الانحراف قليلًا إلی يسار القبلة عند الصلاة»، فأشكل عليه الخواجه وقال: «إن كان الانحراف من القبلة لغيرها فهو حرام، وإن كان من غير القبلة إلی القبلة فهو واجب، فما المراد هنا بالاستحباب؟». فردّ عليه المحقق الحلی رحمه الله: «ليس المراد هذا ولا ذاك، بل أردت الانحراف إلی نحو اليسار من القبلة إلی القبلة»، فاقتنع الخواجة. والآن يرد هذا السؤال: ما كان مراد المحقق من ذلك الجواب؟ فجميع مناطق العراق تيامنية أی تميل إلی الجانب الأيمن من النقطة الجنوبية، فما مراد المحقق. الجواب: أولًا: استحباب انحراف أهل العراق إلی اليسار لا يعنی انحرافهم من الجنوب نحو المغرب والمشرق بما ينافی انحراف قبلة أهل العراق من الجنوب نحو المغرب، بل المراد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۶ الانحراف من نقطة القبلة إلی يسارها، والفارق بين الأمرين كبير. (لابدّ من الدقّة). ثانياً: ذكر الفقهاء أمرين لاستحباب الانحراف إلی يسار القبلة: ۱- ما ذكره العلامة المجلسی رحمه الله فی كتاب الصلاة من بحار الأنوار من أنّ علة الانحراف بسبب بناء محاريب مساجد الكوفة وسائر مناطق العراق منحرفة إلی اليمين (وإن لم يكن ذلك الانحراف بالشكل الذی يبطل الصلاة) لكن الأئمّة الأطهار

عليهم السلام أوصوا بذلك بغية درك النقطة الحقيقية للقبلة، وعدم مخالفة الخلفاء الذين امروا ببناء تلك المساجد والفائدة فى معرفة النقطة الحقيقية للقبلة دون الاصطدام بالجهاز الحاكم. ۲- ما أوردته بعض الروايات من أنّ حدود حريم الكعبة من اليمين ميلان ومن اليسار أربعة أميال، أى هنالك قدسية لهذا المقدار (طبها هذا الأمر لا يتعلق بحدود الحرم أربعة فراسخ فى أربعة فراسخ). وعليه فهذا حكم احتياطى فى أن يتوجه الإنسان فى صلاته إلى نقطة يضعف فيها احتمال الخروج من حريم الكعبة. ولعل المحقق الحلى عنى بجوابه النقطة الأولى أو الثانية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۷

۶۳ سبب تغيير القبلة

سؤال: لماذا تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؟ الجواب: يفهم من الآيات القرآنية أنّ القبلة كانت فى الحقيقة هى الكعبة (بيت اللّه) وقد جعل البيت المقدس قبلة مؤقتة للمسلمين لبعض الأسباب. فالآية «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ...» «۱» تفيد استياء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من حوار اليهود بشأن قبلة بيت المقدس وكان يتطلع لانتهاء أجل تلك القبلة المؤقتة وإعلان الإسلام للقبلة الدائمة. أمّا لماذا لم تكن الكعبة منذ البداية القبلة الدائمية بحيث صلى المسلمون مدّة نحو بيت المقدس حتى نزلت الآية: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ...» «۲» فيفهم منها أنّ العملية كانت تربوية للمسلمين الأوائل فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۸ تحقيق الأهداف الإسلامية. فالحجازيون كانوا شديدى الحب لأرضهم ولا سيما أهل مكة، وعليه كان لابدّ من الوقوف بوجه الرغبات النفسية والتعصب القومى فى ترك الكعبة مدّة واستقبال بيت المقدس فى الصلاة بغية التضاد على التعصب وترسيخ الطاعة. إضافة إلى توجه المسلمين مدّة إلى بيت المقدس- مركز نفوذ اليهود- والاعتبار بهم؛ فبيت المقدس موضع اعتبار العالم ونقطة عز وذلة بنى اسرائيل، فعلل رقى وانحطاط اليهود واضحة فى بيت المقدس. فقد وردوا هنا أذلة من مصر وبلغوا العزّة بجهادهم وتضحياتهم، ثم انحدروا إلى السقوط بعد التمرد والعصيان، فاضحوا عبرة للمسلمين الأوائل. والذى ينبغى أن يعلمه المسلمون أنّ الكعبة إن جعلت قبلتهم الدائمية فليس لكونها مركزاً قبلياً وقومياً، بل كونها أقدم مركز توحيدى شيد من قبل بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۹

۶۴ اختلاف الآفاق فى رؤية الهلال

سؤال: ما سبب اختلاف الفقهاء فى تحديد أول الشهر فيزعم أحدهم أنّه هذا اليوم ويزعمه آخر أنّه الغد؟ الجواب: ثبتت كروية الأرض بعدّة أدلة حتى أصبحت اليوم من المسلمات العلمية. كما أنّ القمر يطوى دورة كامله حول الأرض شهرياً فيتخذ أاشكالًا إثر هذه الحركة هى (الهلال) و (البدر) و (التربيع) و (المحاق)، ذلك لأنّ نصف القمر المقابل للشمس واضحٌ تماماً، فنرى وضوح نصف القمر أحياناً وهو آنذاك (بدر كامل) وأخرى (تربيع) وهكذا بسبب اختلاف كينونة (القمر والأرض والشمس) وعلى هذا الأساس فإنّ النقاط الغربية وكون الأرض كروية تجعل الرؤية مبكرة ويشاهد الهلال مبكراً، وفى النقاط الشرقية تحصل الرؤية بصورة متأخرة فيرى متأخراً. وهذا ما يمكن اكتشافه بسهولة، فلو علقنا كرة فى سقف غرفة وجعلنا أمامها مصباح بحيث يكون محاذياً لها أو فوقها، ثم وقفنا آخر الغرفة بعيداً عن المصباح، لرأينا أمامنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۰ النصف المظلم، ثم نتقدم بالتدريج حتى يتضح لنا هلالا نحيف من النصف المضىء، فيتضح أن تغيير موضعنا مؤثر فى مشاهدة الهلال المذكور، وبالنظر لانحناء الأرض وكرويتها يبدو تأثير الآفاق فى المشاهدة وعدمها أكثر وضوحاً.

۶۵ لماذا لا تكون الساعة ۱۲ وقت الظهر الشرعى دائماً؟

سؤال: لماذا الظهر الشرعى فى بعض فصول السنة يكون الساعة ۱۲ وأحياناً أكثر وأخرى أقل؟ الجواب: نعلم أنّ الأرض تدور حول

الشمس على مدار بيضوى؛ وتقع الشمس خلال عام شمسى فى أحد مركزَى هذا المدار البيضوى. وعليه فالمسافة بين الأرض والشمس ليست متساوية دائماً. فالنقطة التى تقع فيها الأرض فى غاية البعد تسمى «القمة» والنقطة الغاية فى القرب «الحضيض». وطبق قانون الجاذبية العام حين تتحرك من القمة إلى الحضيض تزداد سرعتها شيئاً فشيئاً، وبالعكس تقل تدريجياً حين تتحرك من الحضيض إلى القمة وعليه فحركة الأرض حول الشمس ليست رتيبة عكس حركة عقارب الساعة (جهاز تعيين الوقت) حركة رتيبة. فالحركتان لا تتفقان قط، ولذلك فالظهر الحقيقى (حين يبلغ قرص الشمس منتصف النهار) أمّا أكثر أو أقل من الساعة ١٢ ويقال لهذه الساعات «الساعات الوسطى». وهذا الاختلاف بين الساعة الحقيقية والساعة الوسطى موجود طيلة أيّام السنة، لكن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٣٨٢ أقل ممّا ذكر. ومن هنا يثبت فى التقاويم الكبيرة عمود بعنوان الساعات الوسطى يسجلون فيه اختلاف كل يوم. ومن الطبيعى الأخذ بنظر الاعتبار هذا الاختلاف لشروق وغروب الشمس. ولكن هنالك أربعة أيّام فى السنة يكون الاختلاف فيها صفراً. توضيح آخر: أفرض أننا وضعنا آلة تصوير فى سطح نصف النهار المكانى وكانت لدينا ساعة دقيقة: فالظهر الحقيقى حين يقع مركز الشمس على مركز آلة التصوير. ولو نظرنا لساعتنا لرأيناها أقل أو أكثر بدقائق من الساعة ١٢، إلّاالأيّام الأربعة التى أشرنا اليها والتى تكون الساعة ١٢ لحظة انطباق مركز الشمس على مركز آلة التصوير. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٣٨٣

۶۶ كيف نحل المسألة التى قضى فيها على عليه السلام؟

سؤال: روى فى قضاء على عليه السلام أنّ ثلاثة أشخاص أرادوا توزيع ١٧ جملًا فيما بينهم، بحيث يأخذ أحدهم النصف والثانى الثلث والثالث التسع وتشاجروا فى كيفية التقسيم. فأضاف الإمامف عليه السلام جملًا إلى العدد المذكور، فأعطى نصف العدد (٩ جمال) إلى الفرد الأول، وثلثها (۶ جمال) إلى الثانى، واثنان إلى الثالث ولم يبق سوى جمله؛ أى أنّه أعطى كل فرد سهماً إضافياً، فقد طالبوا ب ١٧ جملًا، فجعلها عليه السلام ١٨ جملًا، فرضى الجميع بحكمه وبقى الجمل الزائد. والسؤال: من اين جاءت هذه الإضافة وكيف قسمها بينهم؟ الجواب: ما تجدر الإشارة إليه الأسهم التى طلبها الأفراد الثلاثة والتى كانت أقل من المجموع، أى لو جمعنا النصف والثلث والتسع كان أقل من العدد الكامل. وعليه لابد أن يقال إنّ الأفراد لم يدعوا الجمال السبعة عشر بدليل مجموع أسهمهم (١٩+ ١٣+ ١٢) ليس بقدر مجموع ذلك المال. توضيح ذلك: مجموع الأسهم فى مال تساوى دائماً الوحدة، وبعبارة أخرى لو كانت اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٣٨٤ أسهم شركة مثلًا «مئة سهم»، فمجموع أسهم الشركاء إذا خلطناها ستكون مئة سهم قطعاً. وفى تلك المسألة لا يريد الأفراد المتنازعون تقسيم العدد ١٧ إلى ١٩ و ١٣ و ١٢، بل ادعى الفرد الأول نصفها والثانى ثلثها والثالث تسعها، أى أنّ كل فرد كان يرى سهمه مساوياً لذلك الكسر، والحال مجموع تلك الكسور لم يكن يساوى عدداً صحيحاً «١». إلّاأنّ الإمام عليه السلام قسم بينهم ما تبقى من المال- بنفس نسبة الأسهم المذكورة- وما لاحظناه من أنّ كلًا أخذ أكثر قليلًا من سهمه حيث كان ذلك الباقى الذى أضافه الإمام عليه السلام إلى اسهمهم. غايته يرد هذا السؤال: كيف قسم بينهم الزائد رغم أنّهم لم يدعوا ذلك؟ والجواب: كل مال بحوزة شخص أو أشخاص فهو ملكه حسب القوانين الإسلامية إلّاأن يقام الدليل على خلافه، فالباقى كان لهم فى الواقع، لكنهم لم يلتفتوا إلى أنّ أسهمهم أقل من مجموع المال، بعبارة أخرى كان أولئك الأفراد الثلاثة يرون السبعة عشر جملًا ما لهم وليس لهم شريك رابع، وأرادوا تقسيمه ١٩ و ١٣ و ١٢ ولكنهم لم يلتفتوا إلى أنّ أسهمهم أقل من المجموع؛ فقسم بينهم الباقى وبقى جمله. حقّاً إنّها لفكرة ذكية من الإمام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٣٨٥

۶۷ كيف كان زواج أبناء آدم

سؤال: كيف كان زواج أبناء آدم وحواء، هل كان الأخ يتزوج أخته أم ماذا؟ الجواب: للعلماء رأيان بهذا الشأن ذكر كل منها أدلة من القرآن والروايات على رأيه وهى. ١- لم يكن آنذاك حكم بحرمة الزواج، وحيث لم يكن من سبيل لحظة النسل سوى ذلك فقد وقع

زواج الأخ من الأخت. طبعاً «إنِ الحُكْمُ إِلّا للَّهِ» «۱» فما الضير فى أن تباح تلك المسألة موقتاً لجماعة وتحرم بعد ذلك أبداً على الجميع؟ والدليل القرآنى الذى ذكره أصحاب هذا الرأى قوله تعالى: «وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً» «۲» فظاهر الآية أنّ النسل البشرى كان بوسيلة هذين الفردين، ولو كان غير ذلك لقال «وبث منهما ومن غيرهما» أضف إلى ذلك الرواية عن الإمام السجاد عليه السلام والتى ذكرها المرحوم الطبرسى فى تأييد هذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۶ الرأى. ۲- إنّ أبناء آدم تزوجوا من نسل آخر كان على الأرض لحرمة زواج المحارم، وحين أصبحوا أبناء عمومة أخذوا يتزاوجون، ويؤيد ذلك بعض الروايات، فنسل آدم لم يكن النسل الأول على الأرض، بل كان قبله الكثير من الناس. والحاصل: ربّما يقال إنّ أبناء آدم تزوجوا من بقايا النساء للناس الذين سبقوا آدم وحواء على الأرض، حيث يستفاد من كلام اللَّه للملائكة بشأن خلق آدم، أنّ بعض الناس عاشوا فى الأرض قبل خلق آدم، وهذا ما تؤيده بعض الروايات.

۶۸ هل هناک منافاة بین حریة الإنسان ومکافحة الفساد

سؤال: يفتخر الإنسان أنّه خلق حرّاً فى الاختيار، وعليه فكيف يأمر الإسلام بتعاون المؤمنين مع بعضهم على البر والتقوى ومنعهم من العدوان؟ إلّايدعو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى سلب حرية الإنسان؟ وبغض النظر عن ذلك لو قام جميع الأفراد بهذه الوظيفة لسادت المجتمعات الفوضى؟ الجواب: المراد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هذين الركنين الإسلاميين الاجتماعيين دعوة الأفراد إلى الخير والصلاح وصدهم عن الشر والفساد ومكافحة أنواع الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية. ولابدّ من القول قبل كل شىء هل إجراء هذين المبدأين فى المجتمع الذى تسود جميع أفراده حالة من التعاون والمصير المشترك بنفع المجتمع أم لا؟ فإن كان بنفع المجتمع تطلب ذلك الحد من الحرية الفردية. فأسلوب حياة الإنسان فى الصور القديمة كان بصيغة جماعات قليلة تقطن الكهوف وشقوق الجبال والغابات، ولم تكن تحكمها حالة من التعاون والتوادد، ولعل مكافحة الفساد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۸ ومنع الانحراف لا يبدو ضرورياً فى ظهر هذه الحياة التى لا يعتمد فيها مصير كل فرد على الاخر، بينما لا يبدو كذلك فى المجتمع الذى يعيش وحدة المصير، فأفراد هذا المجتمع كأبناء الأسرة الذين تسودهم اللحمة بحيث لا يسع أحدهم الإنفصال عن الآخر، وعليه فتصرفات كل فرد تنسحب على المجتمع، وعلى هذا الضوء لا يسع أحد أن يتخذ موقف المتفرج ويرى نفسه بعيداً عن أفعالهم الصالحة والطالحة. والانحرافات الخلقية كالأمراض المعدية- شئنا أم أبينا- تصيب الآخرين، وعليه فلابدّ من مقاومتها، إلّالاجتاحت جميع البلدان. كما أنّ الانحراف الأخلاقى والاجتماعى- كالمرض العضوى- يترسخ بسرعة ويستشرى فى صفوف المجتمع. افرض أنّ أحدهم جعل داره مركزاً للفساد وفسح فيها المجال للفاسقين، فهل تبقى حصانة للبنين والبنات الذين يشهدون تلك الدعارة كل لحظة، أم أنّ هوس الشهوة سيدفع بهم إلى ذلك المكان لتتسع دائرة الفساد بالتدريج. ومن هنا لابدّ من القول إنّ التصدى للانحراف الأخلاقى والاجتماعى يضمن سعادة المجتمع الذى يعيش أفراده مع بعضهم البعض، والسكوت هنا جريمة ولعله لا ينجو من الهلكة. ولذلك أشار القرآن لهذه الحقيقة فقال «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ...» «۱». وقد طرح أحدهم هذا السؤال على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فأجابه بتصوير الحالة كالسفينة التى ركبها جماعة وهم أحرار فهل يحق لأحدهم خرق البقعة التى يشغلها، طبعاً إن خرقها هلك وأهلك الجميع. فمجتمعنا أشبه بالسفينة وركابها الأفراد، فهم شركاء فى المصير ولا يمكن لأحدهم الاستقلال عن الآخرين. فالواقع هنالك فارق كبير بين النظرة الإسلامية لحريات الفرد وسائر المدارس السائدة فى عالمنا المعاصر. فالحرية فى عالمنا المعاصر محترمة ما لم تصطدم بالمجتمع وإن جرت الويلات على ذلك الشخص وأدّت به إلى البؤس والشقاء أمّا الحرية فى الإسلام فتبقى محترمة ما لم تؤثر على المجتمع ولا تخل بسعادته اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۹ وتقوده إلى التعاسة. فالإسلام لا يسمح بالنزوع إلى الوثنية وعبادة الموجودات التى تدفع إلى السقوط والانحطاط، بينما تبيح ذلك المدارس المعاصرة. وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ودعوة الآخرين إلى الخير وصدهم عن الشر درجات ومراتب، فما تعلق

بالآخرين انطلق من الموعظة والنصيحة لأخوة الـدين، بل يمكن توطيـد العلاقـة معهم وهذا النوع من مكافحة الفساد لا يؤدّى إلى أى فوضـى، أمّا الـدرجات الأرفع (كتنفيـذ العقوبات وإجراء الحـدود الإلهيّة بشأن العصاة) فلابدّ أن تتم من قبل الحكومة الإسـلامية وعلى غرار عهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وليس لأىفرد عادى التصرف بمفرده. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۱

۶۹ العفو والقصاص

سؤال: دعى القرآن الكريم إلى إجراء القصاص وعدّه وسيلة ديمومة الحياة على الأرض فقال: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ...» «۱» واثنى على العقود والصـفح فـدعى إليه «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النـاسِ ...» «۲» أفليس هنالـك من تنـاقض؟ الجواب: أولًا: لأـغلب التشـريعات آثار اجتماعية ونفسية، مثلًا فى الوقت الذى سمح فيه لأولياء المقتول بالقصاص من القاتل، كفى لمن هم بإراقة دم غيره أن يرى حق القصـاص- للـذى منـح لأوليـاء المقتول- ماثلًا أمام عينيه فيكف عن الفعل خوف الإعـدام. وعليه فمنـح حق القصاص بـذاته يستبطن حياة المجتمع ويحول دون القتل رغم قلّة ممارسة هذا الحق. بعبارة أخرى فإنّ مصدر بقاء البشـر وضـمان حياته إزاء المعتدى يتمثل فى القـدرة القانونيـة على القصاص لا ممارسته، ذلك ما يصـد المعتـدى هو تفكيره بقـدرة اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۳۹۲ صاحب الدم الذى أراقه سيقتص منه فى المحكمة، وهذا التفكير يحول دون ارتكابه للقتل. إلّا أنّ الإسـلام لم يجبر أولياء المقتول قط على ضـرورة ممارسـة هـذا الحق القانونى، بل فوض لهم التنازل عن هـذا الحق فى العفو عن القاتل؟ و قبول الديـة. فقد حقق الإسـلام بتشـريعه لقـانونى (القصـاص والعفو) هـدفين: حيث منـح من جـانب لأولياء المقتول حق القصاص والثأر فمنع بـذلك تكرار الحوادث الدمويـة، وبالطبع لو لم يمنحهم هذا الحق لارتفع حجم الجريمة. ومن جانب آخر لم يحمل أولياء المقتول قسـراً على القصاص وترك لهم اسـتخدام حقّهم القانونى، بحيث لو رغبوا على ضوء بعض المصالـح لتجاوزوا عن المقتول. والنتيجـة: لو لم يشـرع القصاص لغاب الأـمن والاسـتقرار وتهـددت الحياة البشـرية؛ ولو لم يمنـح صاحب الحق الحريـة فى العفو والصـفح، لكان التشـريع الأول ناقصاً. وربّما اقتضت بعض المصالـح عفو صاحب الحق وترجيحه الصـفح على الثأر؛ فكان قانون العفو مكملًا لحق القصاص. ثانياً: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ للقصاص مورد وللعفو مورد آخر، ففى الحالـة التى يساعد فيها القصاص من الجانى فى إشاعة الأمن وديمومة الحياة (بحيث لو أغمض عن القصاص لكان ذلك حثاً للآخرين على ارتكاب مثل هـذه الجريمـة): الأولى بأولياء المقتول ممارسـة هـذا الحق القانونى، أما إن نـدم القاتل واقتضت المصالـح الصـفح عن جريمته، فالعفو هنا مقدم على القصاص، ولا يبدو تمييز هاتين الحالتين صـعباً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۳

۷۰ سن زواج البنين والبنات

سؤال: طالعتنا بعض الصـحف مؤخراً بحوارات بشأن زيادة سن الزواج، حتى قيل عقد اجتماع بهذا الخصوص وصدر بياناً، وكأنّ طائفة من الشباب اقترحوا سناً لزواج البنين ۲۰ سنة والبنات ۲۵ سنة، «۱» فما رأيكم بهذا الموضوع؟ الجواب: أولًا: إنّ البلوغ وسن زواج البنين والبنات ليس موضوعاً تعاقـدياً لنضع له حداً معيناً، بل أمر طبيعى وفطرى خارج عن اختيارنا وحدودنا، وكل ولد أو بنت يبلغ فى سـنين معينـة من عمره فيسـتقبل فصلًا جديـداً من حياته. وقـد عين هـذا الفصل قبلنا كتاب الطبيعـة ولا يتزحزح باجتماعاتنا وقراراتنا. ويتزامن البلوغ مع تغييرات جسمية وروحية عميقة؛ فتتغير القامة وتزداد الطاقة البشرية وتتبدل أشكال الأعضاء عمّا كانت عليه، وتستجد ميولات خاصة فى الإنسان لتوسـيع الحياة، وتتفتح الرغبات الجنسـية كتفتح البراعم فى الربيع، ويتضاعف الشـعور اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۳۹۴ بالحاجة إلى الشريك وتغلظ العظام وتتغير نغمة الصوت. وعليه فقد أقر خالق الخلق هذه الحدود للحياة على صفحة وجودنا بخطه البـارز، ولابـدّ لنـا من الرجوع إلى كتاب الخلق لا إلى هـذا وذاك لتصـفح أوراقه المتعلقـة بعهـد البلوغ والتفتـح الجنسـى لنعين السـن القـانونى للزواج على ضوء سـنّة الخلقـة وقوانينها، ونبتعـد عن الخيال والوهم. ومن يتمرد على مطالعـة كتاب الفطرة ودفتر الخلق ويعتبر

البلوغ أمراً تعاقدياً ويعتقدبان الحقائق تابعة للنظريات والعقود إنّما يقف بوجه سنن الحياة وسيهزم فى خاتمة المطاف؛ ذلك لأنّ هذه السنن لا تتبدل تبعاً لأحاديث الغافلين. وكما أنّ تكامل الجنين فى رحم الأُم يستغرق تسعة أشهر ومن العبث أن يتصدى جماعة لكى يسنّوا قانوناً يجعل تكامله فى الرحم سنة، كذلك يبدو عبثاً التصرف فى حد البلوغ الذى يمثل أحد السنن الكونية. وقرار ذلك الاجتماع شبيه باجتماع أصحاب الدواجن ليقولوا هنالك أزمة اقتصادية تواجه العالم وحاجة ملحة للدجاج؛ وعليه فمن الآن فصاعداً ينبغى أن تستبدل مدّة الحادى والعشرين يوم للتفقيس بعشرة أيّام ليتضاعف مقدار الدجاج- والمراد من حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم»، عدم مواجهة سنن الكون، فليست لهذه المواجهة من نتيجة سوى الهزيمة. ثانياً: لابدّ من النظر إلى جميع الجوانب فى تدوين القانون؛ لأنّ معدل سن البلوغ الجنسى فى بنات بلدنا ۱۴ سنة والبنين ۱۶ سنة. ففى هذا الفصل من الحياة تتيقظ رغباتهم الجنسية، ولو رفعنا سن الزواج لاستسلم الطرفان للجماع الشاذ، وهذا ما يؤدى إلى آلاف المصائب الاجتماعية، أو الضغط على أعصابهم إزاء مقاومة طغيان الغريزة الجنسية ولمدّة طويلة إن أمكن ذلك لبعض الأفراد. ثالثاً: أتعلمون أنّ الزواج وانتخاب الشريك يفجر الطاقات الكامنة فيفكر الأفراد المتزوجون بطريقة أفضل من العزاب حيث يتعذر التفكير الصحيح على الشاب الذى تشتعل لديه غريزة الشهوة ولا يمتلك الوسيلة المشروعة لاطفاء جذوتها. وهذه هى الحقيقة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۵ التى اعترف بها بعض علماء النفس واجروا تجاربهم على أساسها. ولو كان الغرض من رفع سن الزواج الحيلولة دون زيادة السكان، فهنالك عدّة حلول طرحت لعلاج هذه المشكلة، والصحيح أن تعالج هذه المشكلة بالطرق العقلائية لا أن تلجأ لدفع الفاسد بالأفسد. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۷

۷۱ هل صلة الرحم ضرورة دائماً؟

سؤال: هنالك بعض الأفراد من القرابة ممن لا- يراعون الموازين الشرعية فى حياتهم فهل يجوز التواصل معهم؟ وهل نحن مكلّفون برعاية صلة الرحم فى هذه الحالة؟ الجواب: نعلم أنّ الأسرة مجتمع صغير، وكما أنّ لتماسك ومتانة علاقات المجتمع الكبير دوره فى تقدم الإنسان مادياً ومعنوياً، كذلك لهذا المجتمع الصغير دوره المؤثر، ومن هنا أولى الإسلام بصفته دينا اجتماعياً موضوع صلة الرحم (التى تعنى تقوية وترسيخ الروابط الاجتماعية والأسرية) أهمية فائقة حتى اعتبرها من الواجبات واعتبر قطعها من المحرمات والكبائر. ويكفى فى هذا الأمر ما أكّده القرآن كراراً أنّ الإنسان سوف يسأل يوم القيامة عن هذا الواجب، حيث قال: «وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً» «۱». ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ رجلًا أتى النبى صلى الله عليه و آله قال: يارسول اللَّه أهل بيتى أبوا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۸ إلّا توثّباً علىّ وقطيعة لى وشتيمة فارضهم؟ قال صلى الله عليه و آله: إذاً يرفضكم اللَّه جميعاً، قال: فكيف أصنع؟ قال: «تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمّن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك مان لك من اللَّه عليهم ظهير» «۱». كما صرح النبى صلى الله عليه و آله بأهمية هذا الموضوع فى موضع آخر حتى قال: «أوصى الشاهد من أُمتى والغائب منهم ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإنّ ذلك من الدين» «۲». وأن تؤدوا هذه الفريضة ولو يتحمل عناء السفر وأداء هذا الدَّين الأخلاقى والاجتماعى. طبعاً لا شك فى أنّ أداء أى واجب مشروط بعدم زوال المسائل الأهم، ولا يستثنى من هذا القانون موضوع صلة الرحم. فزيارة الأفراد الذين لا يراعون الموازين الشرعية وصلتهم إن أدّى إلى إعادة نظرهم فى أمور حياتهم والعودة إلى الالتزام بمقررات الدين أو على الأقل لم يكن لهذه الصِلة من أثر سيء على روحية الأفراد ووضعهم العائلى كانت صلة الرحم هذه ضرورية وواجبة. ولكن إن كان العكس بحيث أدّت صلة الرحم إلى تأثر الشخص بالمفسدين وأفكارهم المنحرفة، فما عليه إلّاالتخلّى مؤقتاً عن هذه الفريضة رعاية لأمر أهم وعدم تعرض عقائده إلى الخطر. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۹

۷۲ هل إعانة الفقير دلالة على ضرورة الفقر؟

سؤال: حثت الآيات القرآنية والروايات الإسلامية على مساعدّة المحرومين والمحتاجين حتى كان الفقراء والمحتاجين من مصارف الزكاة الثمانية، أو ليس التأكيد الإسلامي على إعانة الفقراء دليلًا على قبول الإسلام للفقر كقضية اجتماعية ثابتة في الشرع؟ الجواب: أولًا: أشارت الأحاديث الواردة في الضرائب الإسلامية كالزكاة إلى هذه الحقيقة وهي أنّ المجتمع الإسلامي إن كان سليماً فلا مكان فيه للفقير والمحتاج، ولو أدى الناس حقوق اللّه التي قررها لهذه الطبقة لما كان هنالك من أثر للفقر في المجتمع. قال الصادق عليه السلام: «لو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولاستغنى بما فرض اللّه له وأنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلّابذنوب الأغنياء» «۱». ويتبيّن من تأمل الأحاديث التي وردت بهذا الشأن أنّ الفقر الاقتصادي معلول لعدم قيام الأثرياء بوظيفتهم والظلم الاجتماعي لبعض الأغنياء. وعليه فالإسلام يرى الفقر نوعاً من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۰ المرض والانحراف ورد فعل شاذ بسبب عدم سلامة أنظمة المجتمع، لا أنّه يقرّه كضرورة اجتماعية أو ظاهرة طبيعية في كيان المجتمع. ثانياً: لم ينبثق الإسلام في مجتمع سليم، بل في مجتمع مريض بجميع جوانبه ومفعم بالتمييز والظلم، وبالطبع كان لابدّ من مشروع لتحقيق هذا الهدف من خلال اجتثاث جذور الفقر والحرمان؛ لأنّ الفقر والحرمان كان من الأمور التي تجذرت في المجتمع آنذاك ولابدّ من استئصاله بالخطط الإسلامية الصحيحة. ثالثاً: لا يخلو المجتمع الحر من بعض الانتهازيين والاستغلاليين الذين يسببون إرباكاً لأفراد المجتمع. وبالطبع لابدّ من مشروع وخطة تحبط مساعي وأنشطة هؤلاء الأشخاص. فمثلًا، نرى في الإسلام قانون القصاص والحدود والديات والعقوبات المتعلقة بالسرقة والزنا وأنواع العدوان، ليس فقط في الإسلام، بل هذه القوانين هي السائدة في المجتمعات المتحضرة كافّة؛ فهل يسع احد الاستدلال بهذه القوانين على ضرورة وجود القتل والجريمة والأعمال المنافية للعفة في هذه المجتمعات، وإلّا كان سن مثل هذه القوانين لغواً، قطعاً لا- بل كل فرد يوجه هذه القوانين في أنّ المجتمع الذي يتألف من مختلف الأفراد ولا يسوده النظام الاجباري، ممكن أن يضم بعض المتمردين الذين لابدّ من عقابهم. مثلًا، وجود الطبيب والدواء ليس دليلًا على وجود المريض والمرض إلزاماً في المجتمع، بل إنّ كان هنالك مثل هؤلاء الأفراد فعلاجهم بهذه الطريقة. وهكذا قضية مساعدّة الفقراء والمحتاجين، والهدف من مساعدتهم لا- يعني وجود الفقر والفقراء على نحو الضرورة؛ بل المراد إن كان هنالك هؤلاء الأفراد وأفرز الظلم والإجحاف مثل هذه الفئة، فلابدّ من مساعدتهم وعلاج هذا المجتمع بأسرع وقت. أضف إلى ذلك فهنالك بعض الأفراد في المجتمع الذين ينبغي أن يحصلوا على دعم بسبب عجزهم، كالأطفال اليتامى وقرابة الجنود الذين يستشهدون في ميادين الجهاد أو الكهول العجزة و ... فكل هؤلاء الأفراد ممن فقدوا قدراتهم ولا يسعهم مواصلة حياتهم ولابدّ من تغطية معيشتهم من بيت المال ومساعدّة الأثرياء، فليس لهم رواتب تقاعدية وليسوا من أصحاب الثراء. وبالطبع فإنّ الكلام الإسلامي في المساعدّة متعلق بهؤلاء. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۲

القسم السادس التفسير

۱ هل الأديان الأخرى حق؟

سؤال: إنّ الإسلام نسخ سائر الأديان فما معنى تصريح بعض الآيات القرآنية من أنّ الأفراد أو المجتمعات والأقوام اليهودية والنصرانية والصابئة والمجوس إن آمنوا باللّه وعملوا صالحاً فلا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون. أفلا تفيد هذه الآيات أنّ تلك الأديان حقّة ولم تنسخ من قبل الإسلام؟ الجواب: نشير إلى الآيات الشريفة الواردة بهذا الشأن قبل الجواب: ۱- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» «۱». ۲- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» «۲». اجوبة

المسائل الشرعية، ص: ۴۰۴ ٣- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» «١». ربّما يتصور بادئ الأمر أنّ هذه الآيات تقول إنّ أتباع أيٍّ من الأديان السابقة إن كان ممن آمن وعمل صالحاً فهو ناجٍ يوم القيامة وبالتالى فإنّ الأديان السابقة ليست منسوخة، وكل دين سبيل إلى اللّه والإنسان مخيّر بانتخاب أيِّ سبيل ولا ضرورة للاقتصار على الإسلام. وهذا الموضوع ورد كراراً ممن لم يقفوا على حقيقة القرآن الكريم. لابدّ من الإلتفات إلى أنّ تفسير أية لا يتمّ بمعزل عن سائر الآيات، بل من تأمل الآيات السابقة واللاحقة للآية المراد الوقوف على مفهومها بالإضافة إلى سبب النزول. وكان اتباع سائر الاديان التى ظهرت بعدالاسلام طبيعياً، اضف الى ذلك لم يكن من المناسب الاصطلاح على التشريع الاخر باسم الاسلام، والا لما صح ان يكتب النبى صلى الله عليه و آله كتبه الى زعماء و رؤساء كافة الاسم ويدعوهم لدينه، على ان دينه دين عالمى و شريعته الخاتمة. ورسائل النبى صلى الله عليه و آله وجهاد المسلمين لأهل الكتاب وروايات الأئمّة الأطهار عليهم السلام تشير جميعاً إلى نهاية الأديان إثر انبثاق الدعوة الإسلامية ولم تكن من نبوة سوى نبوة الخاتم محمد صلى الله عليه و آله. وما هو هدف الآية: تشير الآيات السابقة إلى حقيقتين: إجمالية ومفصلة: ١- لو كان اليهود والنصارى يؤمنون حقاً باللّه واليوم الآخر، ولايقتصرون على الظاهر اذن ينبغى إيمانهم بالنبى صلى الله عليه و آله على ضوء التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية، لأن هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۵ الكتب بشرت بنبى الإسلام صلى الله عليه و آله وأشارت إلى خصائصه بحيث يعرفونه كما يعرفون أبناءهم «١». وقد بيّن القرآن الكريم ذلك فقال: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» «٢». طبعاً المراد من إقامة هذه الكتب العمل بمضامينها، واحد مضامينها نبوة محمد صلى الله عليه و آله ورسالته العالمية والتى وردت فى هذه الكتب وأشار لها القرآن مراراً. فلو كان هؤلاء يؤمنون حقاً باللّه ويوم القيامة، يجب عليهم الإيمان برسالة النبى التى تشكل أحد تعاليم العهدين، وسيكونون على هذا الأساس مسلمين ومأجورين قطعاً. ٢- يتضح من خلال الآيات التى سبقت هذه الآية فى سورة البقرة أنّها ترتبط بطائفة من أهل الكتاب التى آمنت باللّه واليوم الآخر على عهد سابق الأنبياء وكانوا يلتزمون بأحكام دينهم آنذاك، وبالمقابل كانت هنالك طائفة أخرى حادت عن التوحيد وعبدت العجل حتى قالوا لموسى عليه السلام صراحة: لن نعبد اللّه ما لم نره. فكان حالهم حسب ما ورد فى القرآن «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» «٣». فقد وردت الآيات المذكورة بغية التمييز بين الطائفتين من أهل الكتاب. وعليه ستكون الآية مختصة بتلك الطائفة من أهل الكتاب التى عاشت قبل بعثة النبى صلى الله عليه و آله. ويؤيد ذلك سبب نزولها، حيث كان المسلمون يفكرون فى مصير الصلحاء من آبائهم وأجدادهم بعد أن ماتوا على دين آخر غير الإسلام. فنزلت الآية الشريفة لتعلن نجاة كل من آمن باللّه واليوم الآخر ونبى زمانه و عمل صالحاً. وقد تحدث سلمان إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين رآه عن صحبه من رهبان دير الموصل، فالتفت إليه البعض فقال: كان جميعهم ينتظرون بعثتك لكنهم توفوا قبل أن تبعث. فقال اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۶ أحدهم لسلمان، إنّهم فى النار، فشق ذلك على سلمان، فنزلت الآية لتعلن عدم الخوف والحزن على من مات مؤمناً ولم يدرك دعوة النبى صلى الله عليه و آله. والخلاصة فمن آمن على عهده فلا خوف عليه. وعليه فلا علاقة لهذه الآية ببعض الافكار الخاطئة من قبيل صلاح أتباع الديانات كافّة، ولا يكشف هذا التفسير إلّاعن جهل بالقرآن وبغض النظر عن ذلك فليس للآية ١٧ من سورة الحج ادنى علاقة بمدّعاهم ومفادها أنّ اللّه سيقضى يوم القيامة بين جميع الأمم ولا يعنى هذا فلاح الجميع «١». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۷

٢ ما علة طلب الهدى إلى الصراط المستقيم؟

سؤال: رغم أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين هدوا إلى الصراط المستقيم لكنّهم يسألون اللّه فى الصلاة: «اهْدِنَا الصِّرطَ الْمُسْتَقِيمَ» أوَليس هذا تحصيل للحاصل؟ الجواب: إن عالم الوجود بكل مكوناته- المادية والمعنوية- آيلة للزوال وعرضة للتغير، كما

أنّ أصل انبثاق ظاهرة يحصل فى ظل علّة وظروف معينة، ويتطلب استمرارها عناية خاصة ليكسوها ثوب البقاء ويحول دون زوالها. ويشمل هذا القانون موضوع الهدى إلى الصراط المستقيم، وبقاء واستمرار هدى الفرد أو المجتمع يتطلب عناية وشرائط خاصة، وإلّا يمكن أن يهتدى فرد وينحرف لاحقاً فيضل بعد الهدى. وعليه فمصير الفرد والمجتمع مبهم مهما كان على الهدى الآن ويمتلك عقائد سامية. وعليه أن يستفيد من هذا الوضع ويتجه إلى اللّه ويسأله دوام هذه النعمة التى يمكن زوالها فى كل آن. فعندما يقول المهتدى: «اهْدِنَا الصِّرطَ الْمُسْتَقِيمَ» الهدف منه ثبتنا على هذا الطريق اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۸ وأدم علينا هذه النعمة. وقال صاحب مجمع البيان: إنّ نظير هذه التعبيرات كثير لدينا، وإنّك حين تشعر بأنّ ضيفك يسعى إلى ترك الطعام تقول له: تفضل كل، فى حين هو ما زال يأكل، لكن مرادك مواصلته للأكل حتى يشبع.

۳ ما المراد من خلق السموات والأرض فى ستة أيّام؟

سؤال: قال اللّه تعالى «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ...» «۱» فما المراد بالأيّام الستة؟ فالليل والنهار لم يكن آنذاك، أضف إلى ذلك لِمَ لم يخلقها فى لحظة واحدة؟ الجواب: يشتمل السؤال على قسمين؛ الأول: ما المراد من الستة أيّام ولم يكن آنذاك ليل ونهار؟ الجواب: إنّ للفظ «اليوم» عدّة معانٍ حسب العبارات. وعادة ما يعنى ضد الليل والذى ورد كثيراً فى القرآن الكريم، لكنّه يستعمل أحياناً بمعنى العهد، بحيث لو كان لشىء عهود مختلفة لاطلق على كل عهد يوماً. فمثلًا يقول رجل كهل: يوماً كنت صبياً ويوماً شاباً واليوم أنا كهل. لأنّ هذه العهود كحلقة السلسلة المتصلة الواحدة بالأخرى كثلاثة أيّام متصلة، ومن هنا يعبر عن هذه العهود الثلاثة باليوم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۰ قال على عليه السلام: «الدهر يومان؛ يوم لك ويوم عليك» أى للإنسان عهدان طيلة حياته، عهد يبلغ فيه ذروة قوته وآخر ذروة ضعفه. وعلى هذا الضوء فالمراد من الستة أيّام (العهود الستة) التى مضت على السموات والأرض لتكون بوضعها الفعلى، أى أنّ هذا الوضع الفعلى للأرض والسماء نتيجة سلسلة تحولات متواصلة ظهرت فيهما، وبالتالى أصبحتا بهذا الشكل بعد طى تلك المراحل، وربّما استغرق (العهد) عشرة ملايين أو مليارات السنين. القسم الثانى: لِمَ لم يخلقها فى لحظة واحدة؟ الجواب: إنّ العالم الذى نعيش فيه عالم المادة والتكامل التدريجى من ملازمات الوجود المادى، والأمور المادية بالطبع تغيرت خلال الزمان من صورة إلى أخرى واجتازت مراحل لتتحول بالتالى إلى ظاهرة متكاملة ولا يستثنى من ذلك قانون الأرض والسماء. ولو أخذت أية ظاهرة مادية لرأيت تكاملها التدريجى. فالنباتات مثلًا بعد مدّة من الزمان تتحول إلى أشجار عملاقة، وهكذا المعادن الجوفية والحيوان والإنسان الذى لا يستطيع العيش فى هذا العالم الواسع ما لم يُنِه مرحلته الجنينية، وهذا القانون سارى المفعول بالنسبة لعالم الوجود برمّته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۱

۴ ما المراد من السموات السبع؟

سؤال: ما المراد من السموات السبع التى أشار لها القرآن الكريم؟ الجواب: ذكر المفسرون عدّة تفاسير للسموات السبع الواردة فى القرآن الكريم: ۱- المراد من عدد السبعة هنا، الكثرة؛ السموات الكثيرة، وهذا ما نستعمله كثيراً ولا نقصد به ذات العدد، بل الكثرة، فنقول على سبيل المثال: قلت لك هذا الموضوع خمسين مرّة، أو طالبته بالمبلغ عشر مرات، والمراد كثرة العدد. قال اللّه تعالى بشأن كلمات اللّه- علمه-: «وَلَوْ أَنَّمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۱» . فمن البديهى أنّ العدد سبعة هنا أريد به الكثرة، وإلّا فنحن نعلم لو أضفنا عشرة أو مئة بحر لما أمكن احصاء كلمات اللّه، ذلك أنّ اللّه لا متناهٍ من جميع الجهات، وكذلك الأعداد الأخرى فى القرآن كالسبعين وأمثاله إنّما تستعمل للكثرة، ولا تفيد عدداً معيناً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۲ ۲- المراد من السموات السبع السيارات التى كانت معلومة للناس حين نزول القرآن آنذاك، أو السيارات التى ترى اليوم بالعين المجردة. ۳- المراد طبقات الجو المختلفة والغازات المحيطة بالأرض. ۴- يعتقد بعض الأعلام أنّ

الكواكب والنجوم والمجرّات التى ترى كلها جزء من السماء الأولى ومن ورائها ستة عوالم كبرى. ومراد القرآن من السموات السبع، مجموع العوالم السبعة فى عالم الوجود، ورغم أنّ العلم لم يُمطِ اللثام سوى عن واحدة، ولكن لا ـ مانع من تقدم العلم ليكشف فى المستقبل العوالم الستة الأخرى خلف هذا العالم المحسوس. وقد استدل اصحاب هذا الرأى بالآية: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ» «۱» . يستفاد من هذه الآية أنّ جميع الكواكب فى السماء الأولى (لابدّ من الالتفات إلى أنّ الدنيا فى العربية تعنى الأسفل والقريب). جدير بالذكر أنّ الآيات والروايات التى ذكرت السموات كسبع لا تفيد تأييد «نظرية الهيئة» لبطليموس التى ترى السموات كأفلاك تشبه قشور البصل (لأنّ عدد الأفلاك والسموات حسب هذه النظرية تسعة). وأمّا الأرضين السبع التى وردت الإشارة إليها فى القرآن وفى بعض الأحاديث فقد تحدثت عنها نظريات كالسابقة فى أنّ المراد من (السبع) الكثرة، أو أنّه إشارة إلى مختلف طبقات الأرض، أو الأرضين السبع هى: عطارد والزهرة وزحل والأرض والمريخ والمشترى والقمر؛ أى كرات المنظومة الشمسية التى نراها. وعليه فالمراد بالسموات السبع الفضاء الذى يعلو هذه الكرات. بعبارة أخرى تعتبر هذه الكرات أرضاً وسمواتها ما حولها من أجواء وفضاء. هذه خلاصة تفاسير العلماء والمفسرين بشأن السموات السبع والأرضين السبع، وبالطبع فإنّ توضيح القرائن التى تؤيد أيّاً من التفاسير، ولا سيما التفسير الأخير الذى يبدو أقربها إنّما يتطلب شرحاً مسهباً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۳

۵ اين المشرقين والمغربين؟

سؤال: ما المراد من قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»؟ «۱» الجواب: ورد استعمال المشرق والمغرب فى القرآن بصيغة التثنية: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» وبصيغة الجمع: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ» «۲» ويقول فى موضوع آخر: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ...» «۳» وعليه فالمشرق والمغرب بصورة الجمع يفيد تعدد الأفراد وبصيغة التثنية يفيد فردين. وقد ذكر المفسرون معنيين؛ الأوّل: أنّ المراد من المشرقين والمغربين مشرق ومغرب نصفى الكرة الأرضية؛ أى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۴ الشمالى والجنوبى أو الشرقى والغربى، حتى عدّ البعض إشارة إلى نصف كرة جديدة، أى «قارة أمريكا» قبل اكتشافها وهذا خارج عن موضوع البحث. والمراد من المشارق والمغارب مختلف نقاط الكرة الأرضية حيث إنّ كل نقطة مشرق بالنسبة لنقطة، ومغرب بالنسبة لأخرى. وبعبارة أخرى فإنّ أحد خواص الكرة أنّ كل نقطة منها مشرق بالنسبة للنقطة المقابلة للمغرب، ومغرب بالنسبة للنقطة المقابلة للمشرق، ومن هنا اعتبر البعض هذه الآيات إشارة لكروية الأرض. الثانى: أنّ المراد من تعدد المشرق والمغرب هو تعدد نقطة الشروق والغروب الحقيقيين للشمس؛ ذلك لأنّ الشمس تشرق يومياً من نقطة وتغرب فى أخرى. وعليه لو أخذنا مجموع المشارق والمغارب لعبرنا بصيغة الجمع، وإن أخذنا آخر نقطة الميل الأعظم الشمالى للشمس (أول الصيف) وآخر نقطة الميل الأعظم الجنوبى (أول الشتاء) للزم التعبير بصيغة المثنى، وهذه إحدى روائع القرآن الكريم فى إلفاته الإنتباه إلى الأسرار العظيمة للخلق بعبارة قصيرة؛ لأننا نعلم أنّ لتغيير شروق وغروب الشمس تأثيراً عظيماً فى تنمية النباتات والزهور والثمار وبصورة عامة الأحياء كافّة.

۶ كيف يؤيد القرآن كروية الأرض؟

سؤال: هل هنالك شواهد قرآنية وروائية على كروية الأرض؟ الجواب: إنّ أحد أسرار الوجود التى أشار لها القرآن موضوع كروية الأرض، وهذا ما نستفيده من الآيات القرآنية ومنها: ۱- «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ...» «۱». ۲- «رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ» «۲». ۳- «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ» «۳». توضيح ذلك: إنّ هذه الآيات كما ورد سابقاً تفيد جميعاً تعدد المشارق والمغارب ونقطتى شروق وغروب الشمس ولازمة ذلك كروية الأرض؛ لأنّه لو كانت الأرض مسطحة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۶ ومستوية فسوف لن يكون للعالم أكثر من مشرق ومغرب. وعليه فتعدد

المشارق والمغارب دلالـة واضـحة على كروية الأرض. الروايات وكروية الأرض: كما تفهم كروية الأرض من بعض الروايات، منها ما ورد عن الإمـام الصـادق عليه السـلام قـال: «صـحبنى رجـل كـان يمسـى بـالمغرب ويغلس بالفجر وكنت أنا أصـلى المغرب إذا غربت الشـمس وأُصـلى الفجر إذا اسـتبان الفجر، فقال لى الرجل: ما يمنعك أن تصـنع مثل ما أصنع؟ فإنّ الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنّا وهى طالعـة على قـوم آخرين بعـد. قـال: فقلت: إنّمـا علينـا أن نصـلّى إذا حجبت الشـمس عنّا، وإذا طلـع الفجر عنـدنا اليس علينا إلّاذلك، وعلى أولئك أن يصلّوا إذا غربت الشمس عنهم ...» «۱». وقد بيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة فى رواية أخرى فقال: «إنّما عليك مشرقك ومغربك». وكل هذا طبعاً بسبب كروية الأرض. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۷

۷ حركة الأرض الوضعية

سؤال: هل ما يعتقـده علماء الفلك بأنّ الأرض كرويـة وتـدور حول نفسـها بسـرعة، حقيقـة علمية أم فرضـية؟ وعلى فرض حركتها فما آثارهـا العلميـة والحسـية؟ ولم يشاهـد كوكب الجـدى الـذى يعين القبلـة فى موضع واحـد؟ وهل فى القرآن والروايات ما يؤيـد هـذا الموضوع؟ الجواب: تعتبر كرويـة الأرض وحركتهـا من القضايا العلميـة المسـلمة اليوم فقـد أورد العلماء عـدّة أدلـة على ذلك، ولعل أوضـح الأدلة «اسـتدلال باندول» فلو علق جسم ثقيل بحبل فى نقطة مرتفعة وحرك لاسـتمر مدّة فى حركته؛ ولو كانت الأرض ساكنة لانبغى تردد ذلك الجسم على خط معين، بينما دلّت التجربة على أنّ حركته لن تكون مستقيمة على خط معين وينحرف أكثر تدريجياً عن الخط الأول. فأثبتت هـذه التجربـة أنّ للأرض حركـة دائميـة من جهـة معينـة إلى أخرى ويمكن تعيين جهـة هذه الحركة من جهة الغرب إلى الشرق على تلك الخطوط (يمكن الوقوف على تفاصيل هذا الدليل من خلال مختلف الصور فى كتب الهيئة). كما أكّدت التجربة: لو قذف اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۴۱۸ بحجر من نقطة مرتفعة فانّه لا يسـقط على خط مسـتقيم على الأرض، بل يتجه فى سقوطه قليلًا إلى المغرب وهـذا يـدل على حركـة الأرض الدورانيـة من الغرب إلى الشـرق. أمّا رؤيتنا «الجـدى» دائماً فى موضع واحد فـذلك لأنّ هذا الكوكب يقع تقريباً مقابل محور الأرض. ومن البديهى لو أدَرنا كرة حول محور (كان نغرز أُبرة وسط تفاحة ونديرها حول تلـك الأُبرة) لرأينا أنّ نقطـة المحور ثابتـة دائماً، ومن هنا يبـدو كوكب الجـدى القطبى ثابت دائماً. وأمّا بشأن وضع الأرض فى النقطة المقابلة لنا (فى القسم الذى تحت الأرض) فلابدّ من الإلتفات إلى أنّ الأرض كونها كروية فإننا نرى وضـعاً متساوياً أينما ذهبنا، أى سـنرى النقطة التى فوقنا سماءً والتى تحت أرجلنا أرضاً، والجاذبية تحفظنا على الأرض فى كل مكان. طبعاً أغلب الكواكب الواقعة فى نصف الكرة الأرضـى الجنوبى ترى، بينما تتعذر رؤيتها فى النصف الشـمالى وبالعكس؛ وهكذا السيارات ترى أحياناً فى نقطة من الأرض واحياناً أخرى فى نقطـة أخرى وأمّا الآيات والأخبار التى تـدعم نظريـة حركـة الأرض فمنها: ۱- «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» «۱» ويتصور أحياناً أنّ الآيـة متعلقـة بأوضاع القيامة فى أنّ الإنسان سـيرى الجبال يوم القيامة هكذا، إلّاأنّ العبارة «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ» تفند ذلك، فهى لا تتناسب مع يوم القيامة؛ يوم تغير المنظومـة الشمسيـة لا يوم اتقان الخلق، وبعبارة أوضـح: أن ذيل الآيـة الـذى يتحدث عن اتقان الصـنع أنسب لاسـتحكام النظام لا للانقلاب. فظاهر الآيـة يشـير إلى حركـة الجبال وإن بـدت لنا ساكنة وعديمة الحركة. وربّما يقال لم تحدث القرآن عن حركة الجبال دون الأرض، والحال حركـة الجبال تابعة لحركة الأرض. قلنا: إنّ كل جسم كروى يدور حول نفسه إنّما تلمس هذه الحركة من خلال ما عليه من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۹ نقوش وألوان، إضافة إلى أنّ الجبل مظهر عظمة ومن هنا ذكر دون الأرض، وإلّا لا معنى لحركـة الجبال دون حركـة الأرض. والطريف استعمال لفظ الجمود بدل السـكون الأعمق فى بيان فكرة سـكون الأرض المتوهمة من قبل الإنسان. وعلّة تشبيه اللّه لحركة الجبال بحركة السحاب أنّ حركة الأرض هادئة وصافية وفى نفس الوقت سريعة كحركة السحاب! ۲- «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً ...» «۱» فالقرآن الكريم يشبّه الأرض بالمهد، ولعل أحد جهات الشبه أنّ للأرض حركة دورانية على غرار حركة المهد «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۱

۸ ما تفسير هذه الآيات؟

سؤال: مـا المراد بالآيـة الشـريفة «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ»؟ «۱» الجـواب: «الخُنَّس»: تعنى لغويـاً الرجوع، و «الكُنَّس»: الخفى والجوار جمع جارٍ، والمراد من هذه الآيات كما تشهد ما قبلها وما بعدها من آيات وأيّده المفسرون، الكواكب السيارة التى ترى بالعين (عطـارد والزهرة والمريـخ والمشترى وزحـل) وهى فى حركـة وتظهر أحيانـاً وتغيب أخرى ويلفت القرآن الانتباه إلى وضـعها الخاص والاسـتثنائى وحركتهـا وعظمـة خالقها بواسـطة القسم بها. كما ينبغى الإلتفات إلى هـذه النقطـة وهى أنّ علماء الفلك اصـطلحوا عليها بالنجوم «المُتَحَيِّرة» لأنّها لا تتحرك على خط مسـتقيم، ويبدو أنّها تسير مدّة ثم تعود، ومن ثم تواصل مسيرتها، وقد وردت عدّة أبحاث فى كتب الهيئـة بشـأن أسباب ذلـك. ولعـل الآيـات المـذكورة التى وصـفت هـذه النجوم (بـالجوار الكنس) أشـارت إلى خط السـير المتأرجـح لهـذه اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۴۲۲ الكواكب (طبعـاً لهـذا السـير جـانب ظـاهرى فى مشاهـدتنا). على كل حال فهـذه كواكب سيارة ووضعها الاستثنائى شخّص كونها من الثوابت.

۹ هل ليلة القدر واحدة فى جميع العالم؟

سؤال: وردت عـدّة مطالب فى الإسـلام بشأن أهميـة وعظمة «ليلة القدر» كما وردت بعض الأعمال عن الأئمّة عليهم السـلام بشأن هذه الليلة المتوقعة حسب المشهور فى ۱۹ أو ۲۱ أو ۲۳ من شـهر رمضان. ويبدو أنّ ليلة القدر ليست أكثر من ليلة واحدة طيلة السـنة، لكننا نعلم وعلى أساس اختلاف الأفق أنّ شـهر رمضان يكون أبكر ليوم أو يومين فى بعض البلـدان وفى البعض الآخر متأخر ليوم أو يومين، وعليه فسـتختلف ليلـة القـدر ليلـة أو ليلتين، فتكون ليلـة القدر متعددة حسب اختلاف البلدان. فكيف التوفيق بين وحدة ليلة القدر طيلة السـنة، أم أنّ ليلـة القـدر تقتصـر على عهـد النبى صـلى الله عليه و آله ومكة ولا قدر فى الأزمنة المتأخرة؟ الجواب: تفيد الأدلة القطعية عدم اختصاص ليلة القدر بعهد النبى صـلى الله عليه و آله وتشمل الأماكن والأزمان كافّة وهذا ممّا لا نقاش فيه. وبرز هذا الإشكال من هـذا التصور أنّ ليلـة القـدر واحـدة ومشتركـة بين مختلف منـاطق العـالم لتبـدأ بساعـة معينـة وتنتهى بأخرى. والحال هـذا تصور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۴ خاطئ، لأننا نعلم بأنّ الأرض كروية، ودائماً هنالك نصف مظلم وآخر مضـىء. وعليه فلا يمكن أن يكون الليـل مشترك فى أنحاء الأرض كافّة. توضـيح ذلك: أنّ أهالى كل منطقـة يبـدأون عامهم القمرى حسب أفقهم بأول يوم من محرم، وبعـد مضـى عدّة أشـهر قمرية يبدأ شـهر رمضان حسب أفقهم أيضاً، وفى هذا الشـهر تكون ليلة التاسع عشـر أو الحادى والعشـرون أو الثالث والعشـرون بالنسبـة لأهل تلك المنطقة ليلة القدر. ولا يقتصـر الأمر على ليلة القدر بل يشـمل حسابهم لسائر الأيّام المقدّسة على أساس أفقهم، مثلًا عيـد الفطر والأضـحى من الأيّام المقدّسـة لدى المسـلمين وفيها أعمال خاصة، وكل يوم من هذين العيدين واحد لا أكثر، يتعين هـذا اليوم لكل بلد إسـلامى على ضوء أفقه الخاص، ومن هنا نشـهد أغلب أوقات عيد الأضـحى مثلًا فى العربية السـعودية أبكر من ايران وسـائر البلـدان الإسـلامية بيوم. وعليه فليلـة القـدر محفوظـة لكل بلـد ولا يتنافى هـذا أبـداً مع خصائص الليلـة من نزول ملائكة الرحمة وسعة العفو الإلهى.

۱۰ كيف رأى ذو القرنين غروب الشمس فى عين حمئة؟

سؤال: قال تعالى فى الآيـة ۸۶ من سورة الكهف ضـمن قصـة ذوالقرنين: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ...» فمـا المراد من العين الحمئة وكيف تغرب الشـمس فيهـا على عظمتهـا؟ إلّايتعـارض هـذا مع كرويـة الأـرض وحركتهـا حول الشـمس والمضـمون الجديد للهيئة؟ الجواب: معنى الآية على ضوء آخر تحقيقات الأعلام والمفسـرين بشأن قصّة ذوالقرنين، أنّه واصل مسيرته من جـانب المغرب حتى وصـل البحر (هنالـك اختلاـف بين المفسـرين هـل المراد المحيط الأطلسـى أم البحر الأبيض المتوسط، وهل

نهایـة مسیرته من جـانب المغرب كـانت مراكش أم أزمیر فی تركیا). على كل حال كان ذوالقرنین على الساحل حین الغروب ویتطلع إلى هـذا المنظر الرائع، وحیث یبـدو لكل من یقف على ساحل البحر أنّ الشـمس تأخـذ بالغروب شیئاً فشیئاً فی نهایـة أفق البحر، فقد أشار القرآن إلى ذلك الاحساس لـذى القرنین بأنّه: «وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَةٍ ...». اجوبة المسائل الشـرعیة، ص: ۴۲۶ وعلیه فالآیة مؤیـدة لكرویـة الأرض، والمراد من العین الحمئـة ذلك البحر الذی تغرب فیه الشـمس. أمّا لماذا عبر القرآن عن ماء البحر بالعین، فقد أجـاب المفسـرون بـأنّ أحـد المعـانی السـبعة للعین هو المـاء الكثیر، وحیث إنّ میـاه البحـار والمحیطـات كثیرة تصب فیهـا میاه الأنهار والشـطوط والجـداول فقد عبّر عنه القرآن بالعین، بمعنى الماء الوفیر ومصب المیاه. وأمّا علة تعبیر القرآن عن ماء البحر بالحمئة فذلك للأسباب التالیة: ۱- إنّ میاه ساحل البحر یتخذ شكل قائم وشبیهاً بالطین بفعل سقوط المیاه الطینیة للأنهار والأطیان الساحلیة. ۲- حین تنعكس الشمس على میاه البحار حین الغروب تتخذ میاه البحر لوناً قاتماً، ولهذا شبهها القرآن بالحمئة. ۳- كلما كان الماء أكثر وأعمق یبـدو أزرق مسود، ولمـا كـان المـاء الـذی رآه ذوالقرنین كثیراً وعمیقاً فقـد وصـفه القرآن الكریم بالماء المخلوط بالطین الأسود «۱». اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۴۲۷

۱۱ القرآن وتسخیر الكواكب

سؤال: هـل أشـار القرآن إلى الكرات السـماویة التی نجـح العلمـاء فی غزوها تقریباً أم لا؟ وهل سـیحققون نجاحات أكثر؟ الجواب: لا شـك فی أنّ الإنسـان منـذ الیوم الأول الـذی أتی فیه إلى العالم فی حالـة تكامل؛ ولا یمضـی یوم حتى نراه یحث الخطى نحو التكامل بهـدف الوقوف على أسـرار عـالم الوجود. وعلیه فلا مانع من حلول الیوم الـذی ینفتـح فیه الإنسان على العالم العلوی بما منحه اللَّه من وسائل وإمكانات. وقد وردت بعض الآیات بشأن تسـخیر السـماء والأرض للإنسان، ولعلها لا تخلو من إشارة إلى هذا الأمر؛ فالشـمس والقمر وكـل ما فی السـموات وإن سـخر للإنسان منـذ الیوم الأول، إلّاأنّ لهـذا التسـخیر والانتفاع به درجات؛ وأكملها جمیعاً أن یكون مهـداً للحیاة. وإلیك طائفة من الآیات بهذا الخصوص: ۱- «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِّنْهُ إِنَّ فِی ذَلِكَ لَآیَاتٍ اجوبة المسائل الشـرعیة، ص: ۴۲۸ لِقَوْمٍ یَتَفَكَّرُونَ» «۱». ۲- «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِی السَّموَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَیْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...» «۲». ۳- «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَر» «۳» . وقـد وردت هذه العبارة فی مختلف السور. وعلى ضوء هذه الآیات یصـرح القرآن أنّه سـخر لنا ما على الأرض منـذ الیوم الأول، والحال لم یظفر الإنسان بالمصادر الكامنـة تحت الأرض دفعة واحدة، بل وقف على بعضـها تدریجیاً وخلال عصور. ویتضح من هنا أنّ المراد لیس تسـخیر كل ما فی الأرض من ذخائر لجمیع البشر، ذلك لأنّ أغلب هذه المعادن اكتشـفت بمرور الزمان، وقد نجحت جماعة فی كل عصـر باكتشاف المصادر تحت الأرض، بل المراد المجتمعات البشـریة كافّة المتواجـدة طیلـة الزمـان، وإن ظفر البعض بجزء منهـا. ولا یسـتبعد نجاح الإنسان مسـتقبلًا فی اكتشاف مصادر جدیـدة لا یمتلـك عنهـا الیوم أی معلومات. وعلیه فما المانع من أنّ السـیارات سـخرت للإنسان منـذ الیوم الأول، مع ذلك فالإنسان یسـتفید منها أكثر طیلـة الزمان ویكتشف كرات جدیـدة، وأكمل وأتم مصـداق ما أورده القرآن الكریم: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِی السَّمَوَاتِ» «۴». أضف إلى ذلك یسـتفاد من الآیة ۳۳ من سورة الرحمن أنّ الإنسان سـیتمكن بالاسـتفادة من الإمكانات العلمیة والوسائل الصـناعیة من السفر إلى الفضـاء الخارجی حیث قالت: «یَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ». اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۴۲۹

۱۲ هل هذه الآیة اشارة إلى وسائط النقل المعاصرة؟

سؤال: قـال تعـالى فی سورة النحـل بعـد الإشـارة إلى خلق الأنعـام التی تحمل أمتعـة الإنسان «وَیَخْلُقُ مَا لَاتَعْلَمُونَ» «۱» فهـل المراد منها وسائـط النقل المعاصـرة؟ الجواب: ذكـر المفسّـرون احتمالین للآیـة؛ الأول: المراد من خلق ما لا نعلم، الوسائط النقلیـة الحدیثـة التی لم

تكن معلومة للإنسان آنذاك. ويؤيد ذلك كلمة «لتركبوها». والاحتمال الثانى: أنّ المراد الكائنات والأحياء فى أعماق البحار والغابات وسائر المناطق النائية والتى كانت خفية على الإنسان فى ذلك الوقت. وبناءً على الاحتمالين فإنّ الآية المذكورة من آيات القرآن الاعجازية، لأنّها تخبر عن موجودات كانت خفية على الإنسان، وستتضح له لاحقاً بتقدم العلم.

۱۳ هل تدعم هذه الآيات نظرية تكامل الأنواع؟

سؤال: سعى أحد الكتاب لتطبيق بعض الآيات على نظرية «الترانسفورية» (التكامل التدريجى للأحياء من نوع إلى آخر) ليثبت أنّ القرآن يدعم نظرية النشوء والارتقاء فاستدل بهاتين الآيتين: ۱- «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَکُ شَيْئاً» «۱» حيث فهم من كلمة «من قبل» و «لم يك شيئاً» أنّ الإنسان لم يك شيئاً قبل بلوغ مرحلة التكامل، لكنّه كان يعيش مع الحيوانات- من الحيوانات الأحادية إلى القرود التى تشبه الإنسان- ولم يكن له أى تكامل مادى أو معنوى. ۲- «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» «۲» وهنا أيضاً فهم أنّه «لم يكن بشيئاً مذكوراً» فى الكتب السماوية ولم يمتلك من تكامل يؤهله لأن يذكر فى صحف إبراهيم والتوراة والانجيل والقرآن. فهل هذه الآيات تؤيد حقاً النظرية المذكورة، وبخلاه فما تفسيرها؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳۲ الجواب: نعتقد بأنّ الآيات المذكورة لا علاقة لها بنظرية النشوء والارتقاء، واليك تفسير الآية الأولى: يعتبر المعاد من المواضيع الشائكة التى يصعب على الإنسان الاقتناع به والذى يقصد به الحياة فى عالم الآخرة. ومن هنا وردت عدّة آيات تصف حالة المنكرين ومنها الآيات ۶۶، ۶۷ و ۶۸ من سورة مريم. فقد قال تعالى فى بيانه لانكار المنكرين والرد عليهم: «وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً* أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَکُ شَيْئاً* فَوَرَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ...». ونلاحظ أنّ ما استدل به الكاتب من قوله تعالى: «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَکُ شَيْئاً» هو ردّ على من تساءل عن كيفية الحياة بعد الموت، أوَلا يذكر هؤلاء خلقتهم الأولى فقد خلقناهم من العدم «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» فهؤلاء الذين أمددناهم بهذه القوة كيف يعتقدون باستبعاد إحيائهم ثانية رغم بقاء مادتهم وطاقتهم. وعليه فالآية ليست بصدد بيان معيشة الإنسان بين سائر الحيوانات قبل بلوغه مرحلة التكامل، بل هى كسائر الآيات الكثيرة الأخرى فى مقام إثبات القيامة والرد على المنكرين. تفسير الآية الثانية: أنّ الطفل حين يولد ويتعرض إلى برد شديد فى ظل ظروف معينة قد يؤدّى به ذلك إلى الموت. فإن ظهر رجل صالح وحمله إلى بيته وعامله برأفة واحسان وأغدق عليه مختلف النعم حتى بلغ مرحلة وانفصل عن الرجل وحصل على جميع الإمكانات بما جعله ينسى فضل ذلك الرجل، بل ربّما يصطدم به بغية الحصول على بعض المنافع وبالتالى كفره بنعم ذلك الرجل. وهنا يحق لهذا الرجل أن يذكره بعجزه ويذمه على جحد النعمة. واللَّه تعالى سلك هذا السبيل أوائل سورة الإنسان لايقاظ المتجبرين الذين نسوا بداية خلقهم وسلكوا طريق كفران النعمة. ولذلك قال القرآن «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» وإرادة اللَّه هى التى خلقته من العدم وكسته لباس الإنسانية فهل نسى هؤلاء كل هذه النعم ليسلكوا طريق الكفر. وعليه فليس للآية المذكورة من علاقة بنظرية النشوء والارتقاء.

۱۴ هل تتعارض هذه الآية مع عالمية الإسلام؟

سؤال: ألا يفهم من الآية الكريمة: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» «۱» أنّها تتعارض مع عالمية الرسالة، فلو كانت نبوته صلى الله عليه و آله عالمية ولجميع الأفراد لَما كان القرآن بلغة أمّة معينة؟ الجواب: لابد أن يكون الكتاب السماوى للأنبياء الذين بعثوا لهداية عامة الناس بلغة قومهم بفعل انطلاق دعوتهم من هناك، ومن ثم اعتمادهم مختلف الطرق لنشر دعوتهم إلى سائر الأمم. ويسعى اليوم علماء كل بلد لتدوين كتبهم بلغة أُممهم، رغم أنّ مضامين كتبهم لا تقتصر على أمّة معينة. وحيث بعث نبى الإسلام صلى الله عليه و آله من وسط عربى وكانت بداية دعوته مع العرب، كان كتابه بأحد أوسع لغات الدنيا الحية وهى العربية، بينما تتعلق قوانينه وأحكامه بالعالم أجمع. ولو كانت هنالك لغة عالمية تتكلم بها جميع الأمم والشعوب حين بعث النبى صلى الله عليه و آله لأمكن

اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳۴ نزول الكتاب السماوى بتلك اللغة. والحال لم تكن مثل هذه اللغة آنذاك ولم تتحقق لحد الآن. وعليه فعربية القرآن لا- تنافى عالميته. بعبارة أوضح: أنّ الآية تقول إنّا أرسلنا كل نبى بلسان قومه لا أنّ نبوّته ورسالته مقتصرة على أولئك القوم. ومن المسلّمات أيضاً أنّ الإسلام يسمو على اللون والعرق واللغة ويرى العالم جميعاً وطنه، وعربية القرآن باعتبار عدم وجود لغة عالمية ليس بدليل على جزئية الإسلام. وأخيراً لدينا عدّة أدلة على عالمية الإسلام لا مجال لذكرها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳۵

۱۵ لماذا يطلق اللّه على نفسه ضمير الجمع؟

سؤال: لماذا يطلق اللّه على نفسه صيغة الجمع وهو الواحد الأحد؟ الجواب: استعمال ضمير المتكلم الجمع (نا) إشارة إلى عظمة المتكلم واللّه الأنسب لذلك من الجميع. وقال الأدباء فى دلالة ضمير الجمع على العظمة فى أنّ عظماء الأفراد ليسوا لوحدهم عادة، فهنالك العديد من الخدم والحشم والمرافقين، وهو بالتالى تجمع، ولذلك كان الضمير كناية للعظمة. وعليه فضمير الجمع فى كلمات اللّه يذكرنا بعظمة اللّه وكل هذه القدرة المطلقة وأسرار عالم الوجود المنقادة له ليكتمل توحيدنا وتوجهنا لذاته القدّسية.

۱۶ السمع والبصر فى القرآن الكريم

سؤال: لم وردت كلمة السمع مفردة فى هذه الآية والقلب والبصر بصيغة الجمع: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ...»؟ «۱». الجواب: قال بعض المفسّرين: السمع هنا بمعنى مصدرى وأن يضاف إلى كلمة استفيد منها معنى الجمع والعموم فلا حاجة لجمعه، بينما ورد القلب والبصر بمعنى الاسم «عضو خاص» فجاء بصيغة الجمع. وذهب البعض من المحققين فى بيانهم للفارق بين التعبيرين، أنّ الإنسان يدرك عدّة أشياء بقلبه وفكره كما يتحسس ببصره مختلف الألوان والأشكال، وحيث مدركات هذين العضوين متعددة فكان لكل فرد منّا قلوب وأبصار، بينما لا نسمع بالأذن سوى الأمواج الصوتية ولذلك ورد بصيغة الفرد. صحيح أنّ الأصوات متنوعة، إلّاأنّ تنوعها ليس كتنوع ما يرى بالبصر من أشياء، وهكذا ما يدركه الإنسان بقلبه.

۱۷ لماذا يحرق المعبود الباطل؟

سؤال: ورد بشأن المعبود الباطل فى الآية «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» «۱» وهنالك بعض الحيوانات التى عبدتها الأقوام الجاهلة فما ذنبها لتحرق بنار جهنم؟ الجواب: ذكر المرحوم العلّامة الطبرسى صاحب مجمع البيان أنّ الخطاب لمشركى مكة وقد نزلت فى مكة جميع آيات سورة الأنبياء، وكان معبود مشركى مكة من الخشب والفلز والحجر وما تحرقه النار من هذه المعبودات وهى الأصنام وأمثالها والتى كان يعبدها أهل مكة حين نزول القرآن، وبالطبع فإنّ أى معبود حى عبد من بعض الناس مستثنى من ذلك. والطريف أنّ معبوداً حياً لم يكن يعبد فى شبه الجزيرة آنذاك من قبل الوثنيين. الجدير بالذكر هنا أنّ هذه المعبودات الكاذبة تحرق فى جهنم ليعلم المشركون يوم القيامة أنّ تلك الآلهة التى كانوا يقدّسونها إنّما أصبحت حطب جهنم لتحرق حتى من عبدها، ولا تملك آنذاك من وسيلة للدفاع عن نفسها وعن عابديها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۴۱

۱۸ السجود لغير اللّه

سؤال: قال تعالى فى الآية ۱۰۰: «وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاى مِنْ قَبْلُ ...» «۱» بينما ورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مر بجماعة فى طريقه إلى صفين فلما رأوه أعظموه وجعلوا يتمرغون فى التراب كما كان يعظم الملوك الساسانيين فاستاء الإمام وخاطبهم أنّه بشر مثلهم. الجواب: السجدة كعبادة مختصة باللّه ولا تجوز لغيره. أمّا أخوة يوسف وأبواه-

حسب مـا روى عن الصـادق والهادى عليهما السـلام: «إنّما سـجدوا شـكراً للّه»، كما أشار صاحب مجمع البيان إلى أنّ ضـمير الهاء فى «وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً» يعود إلى اللّه لا إلى يوسف. وهكذا سجود الملائكهْ لآدم عليه السلام أى سجود للّهوقبلتهم آدم. وعليه فلا منافاهْ بين الآيهْ والخبر التاريخى عن الإمام على عليه السلام.

۱۹ التوبهْ النصوح

سؤال: مـا المراد بالتوبـهْ النصوح فى الآيـهْ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَهًْ نَّصُوحاً» «۱». الجواب: «النصـح»: فى اللغـهْ بمعنى الخالص، فالتوبـهْ النصوح الخالصـهْ من المعصيهْ ويلزم من هـذه التوبـهْ عـدم العودهْ إلى المعاصـى. ويؤيـد ذلك الروايات الواردهْ عن الأئمّهْ الأطهار عليهم السـلام، ومنها سئل الإمام الكاظم عليه السلام عن المراد من «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَهًْ نَّصُوحاً». فقال: «يتوب العبد ثم لا يرجع فيه» «۲». وأجاب الإمام الهادى عليه السـلام عن هـذا السؤال فقال: «أن يكون الباطن كالظاهر» «۳» .وهكذا وردت سائر الروايات التى تشير إلى حقيقهْ هذه التوبهْ بعدم العدم وتشابه الظاهر والباطن. اجوبهْ المسائل الشرعيهْ، ص: ۴۴۵

۲۰ هل هذه الآيهْ تتنافى مع الخلود؟

سؤال: إننا نعتقد أنّ من يرد الجنّهْ يخلد فيها وقد أثبتت ذلك العديد من الآيات، غير أنّ ظاهر الآيهْ ۱۰۸ من سورهْ هود يفيد غير ذلك وأنّه ربّما يخرج من الجنّـهْ: «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِْ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّموَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» فالظاهر أنّ عبارهْ الاسـتثناء «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» تفيـد أنّ اللّه ربّما يخرجهم يوماً من هذه النعمهْ، بينما تؤكد سائر الآيات على الخلود، فما معنى هـذه الآيـهْ؟ الجواب: صـحيح أنّ اللّه وعـد السـعداء فى أغلب الآيات بالخلود وليس لهـذا الوعد من خلف فهو القائل: «وَعْدَ اللَّهِ لَايُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» «۱». ولكن ربّما يتصور البعض أنّ زمام الأمور خرجت من يد اللّه بعد هذا الوعد القطعى فهم لن يخرجوا من الجنّهْ ويسلبوا النعمـهْ، ومن هنا أكـد القرآن هـذه الحقيقـهْ بالعبارهْ «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» فى أنّ اللّه رغم وعده بالخلود فى الجنّهْ وأنّه لن يخلف وعده، مع ذلك فهذا الأمر لا اجوبهْ المسائل الشـرعيهْ، ص: ۴۴۶ يحـد من قدرته وما زالت الأمور بيده وله أن يفعل ما يشاء ثم وردت نفس العبارهْ «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» بشأن أهل النار لتفيـد نفس الغرض. والعبارهْ «عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» هى من الأدلـهْ الواضـحهْ على التفسـير المذكور.

۲۱ فائدهْ ذكر اللّه عند مطلع كل عمل

سؤال: مـا فائـدهْ اسـتهلال الأعمال بـذكر اللّه؟ الجواب: يتضـح من خلال الإلتفات إلى آثار ذكر اللّه فى طهارهْ أعمال الإنسان أنّ هـذا الـذكر أول العمل يسوق الإنسان إلى صـحهْ العمل وإتقانه، ولو لم يكن لهـذا الموضوع من فائدهْ سوى هذا لكفاه. وعليه فذكر اللّه فى العمل والاسـتعانهْ به درس تربوى يـدعو الإنسان إلى صـحهْ العمل ويصده عن الخيانهْ وقبح العمل والتى تفضـى إلى البؤس الاجتماعى السائـد فى عصـرنا الراهن. وبغض النظر عن ذلك فالإنسان محدود وضـعيف يحتاج إلى الإمداد الغيبى كل آن، وبقوله البسـملهْ يعرب عن حاجته واستلهامه من اللّه. فيشمله اللّه الرحيم الغفور والقادر برحمته ولطفه وفضله.

۲۲ ما أدلهْ حفظ القرآن من التحريف؟

سؤال: هل القرآن بهذه الصورهْ هو ما نزل على النبى صلى الله عليه و آله وما الدليل على عدم تحريفه؟ الجواب: لابدّ من الالتفات إلى أنّ بلبلـهْ تحريف القرآن الكريم من جـانب اليهود والنصارى، حيث يشـهد التاريـخ أنّ الكتب السـماويهْ لهـذين القومين حرفت بمرور الزمان وفقـدت قيمتها، فهم يسـعون لإشاعهْ تحريف القرآن. والشواهد التاريخيهْ القطعيهْ تفيد أنّ نسخ التوراهْ حرفت مراراً إبان مختلف

الحوادث التاريخيـة- لا ـ سـيما حين هجوم نبوخـذ نصـر على اليهود- فضاعت أغلب النسـخ وحررت لاحقاً من بعض الأحبار «١». كما يشـهد التاريـخ أنّ الاناجيل الأربعـة كتبت بعـد سـنوات من المسـيح عليه السـلام فلم يبق أثر للانجيل الذى نزل ككتاب سـماوى على عيسـى عليه السلام «٢». اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۵٠ والأفراد الـذين يسـتندون فى معارفهم وعقائـدهم الدينيـة إلى هذه الكتب المحرفـة الفاقـدة للأهميـة يرغبون فى ذات المصـير للقرآن فيقولون إنّ القرآن أيضاً شـهد التحريف بعد مدّة من الزمان. والحال كيفية جمع القرآن خلال العهود الإسـلامية كافّة ممّا تأبى المقارنة مع تاريخ التوراة والانجيل فى العهود النصـرانية واليهودية. ولابد أن نشـير هنا إلى موضوعين كجواب لعديـد من الأسـئلة: ١- إنّ القرآن الكريم هو الكتـاب الـذى خلق ثورة فى شؤون الحيـاة الاجتماعيـة كافّة للمسـلمين. فقد حطم القرآن حياتهم السابقة واستبدلها بحياة جديدة قائمة على أساس الإيمان والمبادئ الإنسانية. وعليه فالقرآن كتاب يلامس شؤون حياة المسـلمين، فكانوا يسـتلهمون منه تعاليم سياستهم واقتصادهم وقوانينهم الأخلاقية وحتى سننهم وآدابهم وعلاقاتهم الأسـرية. فهم ينفتحون عليه بصلاتهم خمس مرات لكل يوم وليلة، وبالتالى فهم يتمسكون بالقرآن ومن ثم السنة فى أنشطتهم اليومية. وعلى هذا الأساس فكيف يقال بتحريف هذا الكتاب دون أن يلتفت إلى ذلك عوام المسلمين وخواصهم. فاحتمال وقوع التحريف فى القرآن وعدم الإلتفات أشـبه بتحريف الدسـتور لشـعب عريق دون علمهم، هل يمكن تحريف مواد دسـتور أمّة دون أن يلتفت أفرادها وتتعالى أصواتهم؟ والواقع أنّ دور القرآن فى الحياة الاجتماعية للمسـلمين أعظم من دور الدسـتور، وعليه فلو وقع أدنى تحريف لجوبه بالعديـد من ردود الأفعـال من هنا وهناك. ٢- أثبت التاريـخ المتعلق بجمع القرآن سواء على عهـد النبى صـلى الله عليه و آله أم بعـده والأهمية الفائقة التى كان يوليها النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله والمسـلمين لحفظ وتدوين القرآن استحالة فقدان حتى كلمة واحدة مـن القرآن. كمـا يشـهد التاريـخ أنّ رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله كـان أمر أكـثر من ثلاثـة وأربعين من العلمـاء «١» ليدونوا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵١ كل سورة وآيـة بمجرّد نزولها وكانت تحفظ بين المسـلمين. ولعل أبرز أولئك الشـغفين بالقرآن على بن أبى طالب عليه السـلام وزيـد بن ثابت، فكانت هنالك عـدّة نسـخ من القرآن بيـد المسـلمين بعد تدوينه من هؤلاء الأفراد. أضف إلى ذلـك فإنّ أغلب المسـلمين كـانوا يحفظون الآيـات والسور القرآنيـة، وكـانوا دقيقين فى الحفـظ. وكان يطلق على البعض منهم القراء الذين يرجع إليهم المسلمون فى القراءة. وموضوع حفظ القرآن من التحريف كان على درجة من الأهمية بحيث قتل العديد من القراء على عهـد خلافـة أبى بكر فى معركـة اليمامة فعزم المسـلمون على التركيز أكثر على القرآن، فجمعوا القرآن وحالوا دون وقوع الزيادة والنقيصـة فيه. وفى زمن خلافـة عثمان بن عفان دونت أربع نسـخ من القرآن وابلغت المناطق الإسـلامية كافّة بتطبيق ما لديها من قرآن على هـذه النسـخ. وقـد بلغ حرص المسـلمين ولا سـيما القراء درجة أن نشب خلاف بين أبى بن كعب وعثمان على عهد خلافته بشأن الآية: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ» «١» حيث زعم عثمان زيادة حرف الواو فى الذين ولابدّ من اسقاطها، فأجابه أبى إننا سـمعناها من رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله كذلك، وحين تشاجرا صـرخ أبى: لأضـعن سـيفى فى عنق كل من يسقط هـذا الحرف من القرآن، فتراجع الخليفـة عن رأيه. فهل ينبغى احتمال وقوع التحريف فى القرآن بعـد كل هـذا؟ ناهيك عمّا سـبق فقد صرحـت بعض الآيـات القرآنيـة بحفـظ القرآن مـن التحريـف ومنهـا: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» «٢». وقـد أجمع العلماء والمفكرون على عدم وقوع التحريف فى القرآن، وإن كان هنالك من يزعم التحريف فذلك ناشئ من بعض الأخبار الموضوعة، وإلّا فليس هنالـك أيـة قرينـة فى القرآن على هـذا الزعم. على كـل حال فإن أعلامنا أثبتوا بما لا يقبل الشك عـدم تحريف القرآن. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵٢ وأمّا الأخبار التى تشـير إلى وجود قرآن لدى أمير المؤمنين عليه السلام والذى يفرق عن سائر نسخ القرآن فلا تتنافى ومسألة «عدم تحريف القرآن»؛ ذلك لأنّه حسـبما قال العلماء: إنّ القرآن الذى جمعه أمير المؤمنين عليه السـلام كان يشتمل على شـرح نزول الآيات وتفسيرها وما كان يسمعه من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وهذا هو فرقه مع سائر نسخ القرآن فقط. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵٣

٢٣ كتاب الوحى

سؤال: مـا أول وآخر سورة حسب النزول، ومن كـان يـدون القرآن بعـد نزول الوحى؟ الجواب: إن أول سورة نزلت على النبى الأـكرم صلى الله عليه و آله حسب مـا ذكره المؤرخون المسـلمون هى سورة العلق وآخر سورة هى التوبـة، ومضامينهـا تؤيـد ذلك. وأمّا بشأن تدوين القرآن فلابدّ من القول إنّ عدداً من كبار الصحابة كانوا يدونون بالخط الكوفى السائد آنذاك ما ينزل على النبى صلى الله عليه و آله من آيات، وكان يطلق على هؤلاء «كتاب الوحى»، وذكرهم المؤرخون أنّهم كانوا ۴۳ صحابياً، وأبرزهم على بن أبى طالب عليه السـلام وزيد بن ثابت الذين كانا يدونان الآيات على ضوء توجيهات النبى صلى الله عليه و آله. وبالطبع كان النبى صلى الله عليه و آله يهتم كثيراً بالقرآن كونه أساس الإسلام ودستور المسلمين ومحور أنشطتهم الفردية والاجتماعية. وحين توفى النبى صلى الله عليه و آله كان القرآن مـدوناً لدى المسـلمين، كما كان البعض منهم يحفظ القرآن، وما زال بأيدى المسـلمين ذلك القرآن الذى كان فى صدر الإسلام.

۲۴ معنى التفسير بالرأى

سؤال: وردت عدّة روايات تنهى عن تفسـير القرآن بالرأى ومن فسّره برأيه فليتبوأ مقعده من النار، فما المراد بالتفسير بالرأى؟ الجواب: أجمع المفسـرون على حرمـة التفسـير بالرأى ووردت عدّة أحاديث بهذا الشأن نشـير هنا إلى طائفة منها: ۱- قال النبى صـلى الله عليه و آله: «من فسّـر القرآن برأيه فليتبوأ مقعـده من النـار» «۱». ۲- «مـن قـال فى القرآن برأيه «۲» فليتبوأ مقعـده من النار» «۳». ۳- «من فسّر القرآن وأصاب الحق فقـد أخطأ» «۴». اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۴۵۶ ولنرى الآن ما المراد بالتفسـير بالرأى أو دون علم؟ فقـد ذكر المفسرون ثلاثة أوجه للتفسير بالرأى نشير إليها باختصار: ۱- أحكام المفسر تؤدى به إلى تفسير اللفظ الذى له معنيان دون وجود قرينة للتعيين أو الآيـة المبهمـة والمجملة من حيث المضـمون والهدف والتى ينبغى رفع إجمالها وإبهامها على ضوء عقائده وأفكاره. وبعبارة أخرى فإنّ العقائد الشخصـية والأحكام المسـبقة تؤدّى به إلى تفسير الآية على أساسها (دون قرينة وشاهد) ويحمل آراءه على القرآن، بـدلًا من أن يهتـدى به «۱». ونموذج هـذا التفسـير بـالرأى فى كتب من يتبع مـذاهب «المعتزلـة» و «الأشاعرة» و «الباطنيـة» و «الصوفيـة» فالمفسّـر الذى أذعن مسـبقاً لآراء المعتزلة والأشعرية بشأن صفات اللّه وأفعاله ويتعامل مع أية ربّما يطبقها على عقيدته الخاصة وأحياناً ظاهرها خلاف عقيدته إنّما يسعى على ضوء عقائده السابقة إلى تفسيرها وفق مذهبه، فتراه يحمل عقائده على القرآن بدلًا من العكس. وتفسير الكشاف «۲» للزمخشـرى مصـداق بارز لتفسـير القرآن على أساس مـذهب الاعتزال، ومفاتيح الغيب للفخر الرازى نموذج بارز للتفسـير على ضوء المذهب الأشـعرى. ففى كل من هذين التفسـيرين يسعى المفسر لإثبات عقائده من خلال القرآن، ولا يسعه التخلى عن أحكامه المسـبقة فيتأمل مثلًا صـفات اللّه والعباد على أساس القرآن. كما فسّـر بعض علماء الباطنية والصوفية وبعض الفلاسفة جانباً من الآيات المتعلقة بالمعارف العقلية طبق نظرياتهم، فالملا عبدالرزاق الكاشـى انطلق فى تفسيره من آراء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۷ الباطنية، كما فسّـر محى الدين العربى «۱» القرآن على ضوء آرائه الصوفيـة. وهـذه الطائفة من التفاسـير التى دونت لاحياء مذهب معين (من قبل فرد غير معصوم) وعلى فرض صـحة بعض هذه التفاسير، لكنها لا تخلو على كل حال من التفسير بالرأى. وقد استفحلت النزعة المادية أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر وحصل تقدم علمى كبير. ومن هنا ظهرت أرضية خصبة للتفسير بالرأى فى أوساط بعض المفسـرين، وبالتالى فسّـرت الآيات المتعلقـة بعوالم الغيب وما وراء الطبيعـة كالروح والملائكة واعجاز الأنبياء بطريقة معينـة بغيـة مسـايرة علمـاء المـادة والطبيعـة وذلـك مـا نجـده فى تفسـير المنـار وأمثاله (طبعاً لبعض هـذه التفاسـير كالمنار العديـد من الابداعات الجديرة بالتأمل) حيث سـعوا إلى التوفيق بين القضايا الغيبية والأمور المادية بفعل تطور العلوم الطبيعية حتى اعتبروا الملائكة قوى كامنـة فى الطبيعـة. كما لم يسـلم بعض علماء الأخلاق أثر تركيزهم على المسائل الاخلاقية وتهذيب النفس من تفسـير طائفة من الآيات بالرأى حتى فسـروا الشـيطان بالنفس الامارة فأنكروا وجود الشـيطان. وذهب البعض إلى أنّ المراد من فرعون فى الآيـة: «اذْهَبْ

إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى «۲» .كناية عن نفس وتهذيب الروح وليس مقاومة فرعون معين. «۳» فكل هذه التفاسير مصاديق للتفسير بالرأى بحيث يحمل ظاهر الآية على خلافها بسبب الوسط أو الأحكام المسبقة. ۲- المعنى الآخر للتفسير بالرأى اتباع المعنى الابتدائى للآية (دون الإلتفات إلى الأدلة القطعية وسائر الآيات القرآنية الواردة بهذا الشأن)؛ كأن نغض النظر عن الأدلة العلمية والآيات التى تنفى الجسمية عن اللّه صراحة ونستدل بظواهر بعض الآيات الكنائية فى جسمية اللّه، فنقول مثلًا: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «۴» تدل على أنّ للّه يداً؟ والحال ممّا لا شك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۸ فيه أنّ المراد من اليد هنا كناية عن قدرة اللّه. ۳- المعنى الآخر، الاستعانة بغير القرآن؛ لأنّ مجموع الآيات القرآنية- سوى آيات الأحكام- يمكنها رفع إجمال الآيات ولسنا بحاجة فى تفسير القرآن إلى فهم الصحابة والتابعين. «۱» وذكر صاحب كشف الظنون «۲» خمسة نماذج للتفسير بالرأى ذكرت أصولها سابقاً. لابد هنا من الالتفات الى ان اى من المفسرين لم يقل ان مراد النبى صلى الله عليه و آله من التفسير بالرأى هو التفسير بالعقل لنهجم عليهم و نقول انما قالوا ذلك حتى لايفهم الناس القرآن فيبقى القرآن تصرفهم كما كانت التوراة والانجيل لدى القساوسة فى القرون الوسطى، و بمنعهم للتفكر والتعقل فى القرآن جعلوه كتاباً لايبقى سوى جسمه بين الناس وروحه مجهولة ليصبح الفاظ واوراد و نغمة مقدسة ومجهولة و لغز غير مفهوم. فقد تحدث المفسرون الاسلاميون عن التفسير بالرأى ولم يعنوا الاحاديث بهذا الشكل؛ بل علماء الاسلام و خاصة علماء الشيعة يعتبرون العقل احدى الحجج الشرعية و الادلة القاطعة حتى عدوه فى مصاف الكتاب و السنة والاجماع. وكيف لهم تفسير لفظ الرأى الوارد فى حديث النبى صلى الله عليه و آله بالعقل و قد صرحت المعاجم العربية المدونة لتفسير الفاظ القرآن والحديث ان اللفظ المذكور بمعنى الظن والحدس والتخمين. «۳» وان كانت هنالك طائفة (الاخبارية) لاتعمل بظاهر الايات المتعلقة بالفروع والاحكام العملية؛ لا لانهم يقولون لاينبغى تفسير القرآن بالعقل، بل العلة ان لهذه المجموعة من الايات ناسخ و منسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد، ولايمكننا تشخيصها دون الرجوع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۹ لائمة اهل‌البيت عليهم السلام. و لهذا لايعملون بظاهر هذه الطائفة من الايات و بغض النظر عن ذلك لنقرض ان شخصاً مجهولًا أو اثنين قالوا ذلك، فهل تصح هذه النسبة الجوفاء بحيث يتصور الانسان ان اعلام الاسلام منعوا الناس طيلة القرون الاسلامية من فهم القرآن و لم يأذنوا لهم بفهمه، بينما اورد هؤلاء الاعلام مئات التفاسير و بمختلف اللغات العالمية، و من اراد الوقوف على عدد التفاسير فليراجع كتب «كشف الظنون»، و «الذريعة». «۱» ترى لو كان همهم احتكار القرآن لانفسهم كالتوراة والانجيل فما بالهم القوا كل هذه التفاسير و بمختلف اللغات وخاضوا فى جميع خصائص ايات القرآن من حيث العقل والنقل. الخطأ الاخر لقائل هذا الكلام ان الحديث «من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار» هو تفسيره لكلمة «تبوء» وهى لا تعنيى الملئ، بل تعنى الاعداد واخذ المكان. بغض النظر عن ذلك فقد عبر عن لفظ المقصد فى الكرامة بالموضع الخاص و هو ليس كذلك والمراد منه فى الحديث مكان، و قد ورد اللفظان فى هذه الاية «... تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال» «۲» بالمعنى الذى ذكرناه. وعليه فمعنى الحديث من فسر القرآن برأيه عليه ان يختار له مكاناً فى النار، أو يعد لنفسه من النار مكاناً (و من فسره بشكل آخر فدليل على عدم علمه باداب العربيه). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۱

۲۵ علّة التكرار فى القرآن

سؤال: ما علّة تكرار بعض الآيات والقصص فى القرآن الكريم؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ القرآن نزل خلال ثلاث وعشرين سنة وعلى ضوء مختلف الأحداث والوقائع. فالقرآن ليس كتاباً قانونياً جافاً ولا كتاباً تقليدياً يبيّن القوانين والمسائل العلمية بصيغة تصنيفية. بل القرآن كتاب إرشاد وهدى وهدفه بيان حقائق حياة الإنسان والخطوات الضرورية لبلوغه الكمال الإنسانى ويخلق من خلال نفوذه إلى الأرواح والأفكار البشرية وسن القوانين الاجتماعية الصائبة مجتمعاً يتصف بالكمال المادى والمعنوى. ولضمان ذلك تحدث القرآن بشأن المواضيع المهمّة كافّة فنزل خلال ۲۳ سنة وفى مختلف الأحداث. وأمّا بشأن التكرار: فإننا نشاهد نوعين من التكرار: ۱- تكرار بعض التواريخ والقصص. ۲- تكرار بعض الآيات المبينة لحقائق خاصة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۲ ففى

القصص التاريخية لابدّ من الإلتفات إلى أنّ هدف القرآن الاساسى من ذكر القصص التاريخية السابقة تنبيه الآخرين إلى قوانين الحياة المسلمة التى تحكم البشرية. فالقرآن يريد تعريف الناس بهذه القوانين ويلفت انتباههم إلى العوامل التى تقف وراء رقى المجتمعات وانحطاطها، والآثار السلبية لتمردها على دعوات الأنبياء، وبالتالى كشف نقاط ضعفهم وقوتهم. ومن هنا كان لابدّ للقرآن من متابعة سيرة الأمم السالفة وعرض صورة عنها. وعليه فإن تحدث القرآن عن «بنى اسرائيل» أو «خلق آدم» فقد أشار فى كل موضع إلى جانب معين، حيث أراد فى كل مورد تنبيه الناس لقضية معينة لم يتطرق إليها فى موضع آخر. وأمّا تكرار بعض الآيات كالآية «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» فى سورة الرحمن، فلابدّ من الإلتفات إلى تأثير هذا التكرار فى روحية قارئ القرآن ومستمعه. فقد يركز القرآن على جانب عاطفى ونفسى فى شرح موضوع معين. مثلًا فى سورة الرحمن كان القرآن بصدد بيان النعم التى تلعب دوراً رئيسياً فى خلق الإنسان وتشكيل المجتمع المدنى وديمومته؛ كما تحدث عن النعم الكبرى التى تنتظر الإنسان فى عالم الاخرة، وكرر أثناء ذلك الآية المذكورة بغية إثارة العاطفة لدى الإنسان فيوقظ من خلال ذلك شعور الإنسان بضرورة الشكر ورد الجميل ويسوقه للخضوع والخشوع. وعليه فهذا التكرار ضرورى على مستوى الوعظ والإرشاد والهدى، كما لا يقدح بفصاحة القرآن وبلاغته، بل يعد من محسنات الكلام، كونه يضاعف التأكيد والتأثير. بالطبع هنالك شواهد كثيرة فى الأدب العربى والفارسى على هذا التكرار يتمثل بالتركيز فى العقيدة على بيت من الشعر أو مصراع. فقد كرر عدى بن ربيعة فى رثائه لأخيه كليب البيت «على أن ليس عدلًا من كليب» عشرين مرة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۳

۲۶ هل كانت الشجرة المحظورة شجرة العلم؟

سؤال: نقرأ فى سلسلة «دروس تاريخ الأديان»: «ما كانت الشجرة المحظورة؟ ما أورده التوراة صراحة والقرآن إشارة إلى أنّها شجرة الباصرة؛ فعلى ضوء آيات القرآن أنّ اللّه خاطب آدم وحواء فأجاباه دون أى حياء من عريهما، غير أنّهما خجلا من عريهما بعد التناول من الشجرة. وعدم خجلهما من عريهما بالأمس وخجلهما اليوم بعد الأكل من الشجرة دليل على أنهما لم يبصرا بالأمس عريهما، فالشجرة المحظورة كانت شجرة الباصرة. فهل أراد اللّه أن يأكل الإنسان من تلك الشجرة أم لا؟ فلا ينبغى أن نتعامل مع هذه القصة على غرار السائد فى أنّ اللّه مثلًا لم يرد لآدم الأكل من تلك الشجرة المحظورة واستاء من ذلك الفعل؛ لأنّه كان يقدر بإرادته على منعه، وعليه أراد أن يأكل من الشجرة، فلولا تلك الشجرة لما وجد الإنسان وهذا ما خطط له اللّه ليوجد الإنسان». فهل كانت تلك الشجرة شجرة العلم والباصرة؟! الجواب: وردتنا الكثير من الأسئلة عن هذه الدروس ومنها السؤال المذكور، ولابدّ لنا من ذكر اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۴ بعض الأمور فى الجواب: ۱- قلنا كراراً بأنّ أحد موارد التحريف فى التوراة هذا الزعم من أنّ الشجرة المحظورة كانت شجرة العلم والمعرفة أو الخير والشر أو الباصرة (وردت تعبيرات فى ترجمة التوراة تعود جميعاً إلى معنى واحد). وعلى هذا الأساس- حسب صريح التوراة- فإنّ أول وأكبر ذنوب الإنسان ذنب العلم، ولعل هذا هو السبب الذى دفع بالقائمين على شؤون الكنيسة فى القرون الوسطى و المظلمة إلى محاربة العلم والمعرفة واتساع هذا الذنب! ويعتقدون أنّ آدم كان على جهل فى اليوم الأول بحيث لم يخجل حتى من عريه وكشف عورته؛ ولكن حين أكل من الشجرة المحظورة (العلم والمعرفة) أصبح انساناً واعياً فطرد من الجنّة والرحمة! حقاً أنّ هذه الأمور من خرافات عصور الظلام، فالقرآن على العكس يصرح بعلم آدم قبل سكنه الجنّة وقد تغذى كما ينبغى من شجرة العلم حتى أصبح معلماً للملائكة: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» «۱». وعليه فآدم القرآن غير آدم التوراة. فأعظم قوّة لآدم كانت علمه وباصرته، وكان ذنب آدم الآخر العلم، فآدم هذا هو آدم الحقيقى وذلك آدم الجاهل بكل شىء، وآدم هذا خلق من أجل العلم والمعرفة، بينما لا ينبغى لذاك أن ينفتح على العلم. وعليه فمن العجيب أن تعد التوراة المحرفة والقرآن واحداً بهذا الشأن. ۲- تقول التوراة إنّ آدم وحواء كانا عريانين ولا يخجلان من عريهما. «۲» وهذا النقل صحيح، ولكن أين ذلك فى القرآن، بل بالعكس يصرح القرآن بلباسهما قبل الأكل من الشجرة ونزع عنهما بعد المعصية: «يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا» «۳» وفى آية

أخرى: «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا» «۴». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۵ وعليه فالعبارة «بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا» فى الآية ۲۲ من هـذه السورة لا تعنى ابداً عريهما وعدم ادراكهما. فادم الذى يتحدث عنه القرآن كان مستوراً ومحترماً وانساناً وتعرّى بعد المعصية (لابدّ من الدقة). أمّا آدم فى التوراة فكان كالحيوانات عارياً ولم يخجل من عريه، فهل يمكن تسوية القرآن بالتوراة؟ ۳- الطريف أنّها عنت «لا تأكل» ب «يجب أن تأكل» فهل هناك من فوضى أعظم من تفسير النفى بالإثبات والحسن بالسيء؟ فلم سمّيت تلك الشجرة بالمحظورة؟! ما هذا التفسير والمعنى؟ لو كان هذا التفسير صائباً فما أجدرنا أن نفسر سائر المناهى والمحظورات بمثل هـذه التفاسير ونزعم أنّ اللَّه أراد حصول هـذه الأفعال المحظورة، وإلّا لمنعها، فهل نحن مجبرون على أفعالنا؟! إنّ اللَّه أرادنا أن نكون أحراراً ومنح الإنسان أرادة وترك للإنسان اتخاذ القرار، وقد إصدر العديد من الأحكام لتهذيبه. إذن فهذا الاستدلال (إنّ اللَّه لو أراد لمنع آدم) غير صحيح. لأنّ نفس الاستدلال يصدق على المذنبين، والواقع اختلطت هنا الإرادة التشريعية بالتكوينية (لابدّ من الدقة). إلّا تعتقد معى عزيزى القارئ- على ضوء ما ذكر- أنّ مثل هـذه المطالب ينبغى عرضها على أهل الخبرة المسلمين قبل نشرها بصيغة دروس؟ ترى من يتحمل مسؤولية شاب أن قرأ هذا الكتاب واعتقد أنّ الشجرة المحظورة كانت شجرة العلم والمعرفة وكان آدم وحواء عريانين كالحيوانات ولا يفهمان حتى أكلا من الشجرة، ثم طردا من الجنّة بسبب علمهما ومعرفتهما ...؟ والحال منطق القرآن عكس ذلك تماماً والـذى يفهم من المصادر الإسلامية أنّ تلك الشجرة كانت شجرة الحسد ونوعاً من المنافسة وما أشبه ذلك (طبعاً ليس الحسد الـذى يبلغ مرحلة الذنب أو ممارسته). توضيح ذلك: إنّ آدم كان عالماً بوضع ولده ومصيرهم ورأى فيهم مَن هو أعظم منه مرتبة من الأنبياء وأُمناء الوحى. فتمنى رؤية مقاماتهم، ولم يكن مؤهلًا لـذلك رغم كافّة خصائصه، فتلك الأمنية أبعدته من الجنّة، وتلك كانت الشجرة المحظورة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۶ وأخيراً هنالك بعض الروايات التى فسرت الشجرة المحظورة بالحنطة وما شابه ذلك وكان النهى عنها من باب الاختبار. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۷

۲۷ ما المراد من قوله: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ»؟

سؤال: من مسلّمات أصولنا نحن المسلمون استناد أفعال اللَّه للعدل والحكمة، فما المراد من قوله تعالى: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ» فى الآية ۹۳ من سورة النحل؟ فإنّ كانت الضلالة والهدى بإرادة اللَّه فكيف ينسجم ذلك مع العدل الإلهى فى أن يعاقبنا على الضلال ويثيبنا على الهدى؟ الجواب: إنّ آيات القرآن تفسّر بعضها بعضاً، فالكثير من الآيات تتضح من خلال ربطها مع بعضها. والآية الواردة بشأن «الضلال والهدى» من هـذا القبيل. وعليه لابدّ من معرفتها على ضوء سائر الآيات الواردة بشأن الهدى والضلال. ورد فى هـذه الآية «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ» وفى سائر الآيات كالآية ۷۴ من سورة المؤمن «كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ» والآية ۳۴ من سورة المؤمن «كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ». فهاتان الآيتان توضحان كيف يفقد الإنسان توفيق اللَّه ولطفه ويبتعد عن سبيل السعادة والفلاح، ونستطيع بالاستناد إلى هاتين الآيتين أن نفهم معنى الآية الأولى الواردة فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۸ السؤال. وحين نضع الآيتين مع الآية الأولى يتضح أنّ من يحرم الهدى حسب مضمون الآية الأولى هم أولئك الظلمة والفسقة عديمو الإيمان لا غيرهم. وينبغى الإلتفات إلى ضلال الأفراد الآثمين وانحرافهم كأمر طبيعى تماماً، وسعادة الإنسان تعتمد على تنميته لقابلياته المادية والمعنوية وإخراجها إلى مقام الفعل. وأفضل سبيل لتنمية هـذه القابليات يكمن فى إمتثال التعاليم التى بعث اللَّه بها الأنبياء. فمن تمرد على هـذه التعاليم كان آثماً وحرّم السعادة، وهؤلاء لا يستحقون اللطف الإلهى ولا يوفقون للهدى ومعنى ضلالتهم إثر ذنوبهم كما وردت الإشارة إليه فى الآيات السابقة هو ما ذكرناه. ووردت هـذه الحقيقة بشكل آخر فى الآية ۷۹ من سورة النساء: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ...» فالإنسان بأعماله يسير فى طريق الضلال والانحراف عن الصراط وبالتالى الابتعاد عن السعادة والفلاح. والأمر كـذلك بالنسبة لما ورد فى الآية: «وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ» والمراد من الهدى لطف اللَّه وتوفيقه الشامل لعباده المخلصين، فهؤلاء الأفراد يضاعفون قابلياتهم كل يوم لنيل التوفيق الالهى إثر التزامهم بالتعاليم السماوية والعمل بها. والنتيجة: هدى

اللّه يعنى توفيقه وعونه على أفعال الخير والسعادة ويختص باولئك الـذين يسيرون فى طريق الحق ويجاهدون فى هذا السبيل «وَالَّذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» «۱» والضـلال يعنى سلب هـذا التوفيـق وقطـع العون الإلـهى ويختص بـالظلمة والمسرفين والأفراد غير المؤمنين، وإلّا فإنّ اللّه لا يهدى أحداً عبثاً ولا يصده عن الهدى كذلك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۹

۲۸ لِمَ خلت هذه ا لسورة من البسملة؟

سؤال: لِمَ خلت سورة التوبـة من البسـملة وذكرت وسط سورة النمل؟ الجواب: كان ينبغى أن تخلو سورة التوبـة من البسـملة كما يبدو من مقـدّمتها الواردة فى تهديـد المشـركين وإعلان الحرب على نـاكثى العهود وأولئك الـذين جنـدوا كل طاقاتهم لمواجهـة الـدعوة ومجابهة التوحيد والإصـلاح الأخلاقى والاجتماعى فى شبه الجزيرة العربية. وأمّا البسملة وسط سورة النمل فقد تصدرت رسالة سليمان عليه السلام إلى «ملكة سبأ»، وحيث نقل القرآن مضمون تلك الرسالة فقد ذكر بدايتها وكانت البسملة.

۲۹ هل هنالك أكثر من خالق؟

سؤال: قـال تعالى فى الآيـة ۱۴ من سورة المؤمنون: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ» فهـل هنالـك خـالق آخر غير اللّه؟ الجواب: لمـادة الخلق لغوياً ثلاثـة معانٍ: ۱- التقدير وقياس الشـىء. ۲- تبـدل صورة شـىء إلى أخرى كصـنع مختلف الآلات من الحديد أو غيره. ۳- الإبـداع وإيجـاد الشـىء من العـدم. طبعـاً المعنى الثـالث يختص باللّه ولا يطلق الخالق هـذا المعنى على أحـد سواه، إلّاأنّ المعنى الأول والثانى يصدق على الإنسان أيضاً. وقد استعملت مادة «خلق» فى القرآن بالمعنى الأول أحياناً والثانى أحياناً أخرى فمثلًا قال تعالى بشأن عيسى بن مريم «وَإِذ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ» «۱» فالخلق فى هذه الآية تبدل صورة إلى أخرى والخلق فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۲ الآية الواردة فى السؤال بالمعنى الثانى أو الأول وحيث إنّ الخالق متعدد بهذين المعنيين صحَّ القول أنّه أحسن الخالقين.

۳۰ لماذا شبّه الانفاق بالسبعمائة حبّة سنبلة؟

سؤال: قالت الآيـة: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» «۱» وقد توجهنا بالسؤال إلى عدد كبير من المزارعين والمهندسين الزراعيين المتخصصين بهذه المحصولات فى مختلف بلدان العالم، وفقالوا: لو توفرت جميع مقومات الزراعة من تربة ومياه ومكافحة الآفات وما إلى ذلك لما أنبتت كل سنبلة أكثر من ثلاثين حبّـة، ولم نشاهـد لحـد الآن أرضاً تعطى مثل هـذه المحاصـيل بهـذا العدد، فكيف ورد ذلك العدد الكبير أو مضاعفتها فى القرآن الكريم؟ الجواب: لابـدّ من الإلتفات إلى نقطتين قبل الجواب: أولًا: لم يرد فى الآيـة كلام عن القمح والحنطة، بل ذكرت كلمة «حبّـة» ومـا ذكره السائل كمثال تفسـير ليس من شأن القرآن. وعليه لو كانت هنالك حبّـة من بين الحبوب يحصل منها اجوبـة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۴ على سـبعمائة لكفى. ويبدو أنّ هنالك مثل هذه الحبّة ومنها الذرة التى لو زرعت حبوبها فى مسافات معينة يمكنها أن تنتج سبعمائة حبّة، ويقال يحصل ذلك بالنسبة لحبّة الارزن (راجع تفسير منهج الصادقين، هذه الآية) «۱». ثانياً: يقال وجهه كقرص القمر لا محاق فيه، أو شـمس لا غروب لها أو قامته كالسـرو المتسلق، رغم أننا نعلم بعدم وجود شمس لا غروب فيها أو سرو متحرك أو قمر لاـ محاق له. وعليه فالمراد من هـذه التشبيهات مثلًا لوجهه صـفاء ووضوح القمر- مع هـذا الامتياز فى أنّ للقمر محاق ولا محاق له- وهذا كثير عند الأدباء. وورد مثل ذلك فى القرآن فحين يتكلم القرآن عن الكلمات الطيبة يقول: «تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ...» «۲» ولعله ليس هنالك شـجرة تهب الثمار طيلـة السـنة أو أنّها نادرة على الأقل. إذن المراد لهذه الشـجرة (الكلمة الطيبة) امتياز على سائر الأشـجار هو عدم تحديدها بالوقت فى الثمرة، وفى موضع آخر يضـرب مثلًا بنور اللّه فيقول: «كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ ...» «۳» مع العلم لا يوجد زيت مهما كان خالصاً يشـتعل دون نار، وهذا فى الواقع امتياز ذكر للمشبه فى هذا المورد. والسبعمائة

حبّة فى الآية امتياز لهذه الحبّة (الإنفاق) على سائر حبوب العالم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۵

۳۱ لماذا كان ابن نوح ليس من أهله؟

سؤال: أمر اللَّه نوحاً عليه السلام بصنع سفينة بعد أن أخبره اللَّه تعالى بالطوفان الذى سيغرق الكفّار ولا ينجو منه إلّاالمؤمنون ومنهم أهل نوح وأبناؤه. وحيث كان أحد أبناء نوح مشركاً فلم يستمع لكلام أبيه ولم يركب فى السفينة حتى غرق، فخاطب نوح اللَّه أنّ إبنى من أهلى وقد وعدتنى بانقاذهم فخوطب بأربع عبارات، فما المراد منها: ۱- «إِنَّهُ لَيسَ مِنْ أهلِکَ»؟ لماذا ۲- «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ»؟ لماذا ۳- «فَلَا تَسأَلْنِ مَا لَيسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ»؟ لماذا ۴- «إِنِّى أَعِظُکَ أنْ تَکُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ» «۱» بم كان نوح جاهلًا؟ الجواب: ليس المراد من العبارة أنّه ليس إبنك النسبى، فهو ابن نوح الذى ولد منه، بل المراد ليس إبنك معنوياً، حيث قطعت هذه العلاقة المعنوية مع أبيه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۶ والمراد من العبارة الثانية أنّه كان صاحب عمل طالح إلى درجة كان ذاته وشخصه تجسيد للعمل غير الصالح. والمراد من العبارة الثالثة أنّه لا ينبغى للإنسان إصدار الأحكام بشأن الأسرار التى لا علم له بها. وأمّا العبارة الرابعة فالذى كان مجهولًا لنوح واللَّه عالم به ما تصور من أنّ اللَّه وعده نجاة مطلقة لأبنائه، لكنه التفت لاحقاً إلى أنّ الوعد المذكور يصدق على من لم يقطع علاقته المعنوية بنوح.

۳۲ هل تنسجم هذه الآية مع عصمة النبى؟

سؤال: إذا كان نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وسائر الأنبياء عليهم السلام معصومين من الذنب فما المراد من غفران ذنب النبى فى هذه الآية: «إِنَّا فَتَحْنَا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً* لِيَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْکَ وَيَهْدِيَکَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً» «۱». الجواب: لابدّ من الالتفات أولًا إلى أنّ زعماء النهضات والثوار الذين يسيرون خلاف الرأى العام ويسعون إصلاح المجتمعات المنحطة إنّما يواجهون سيلًا من التهم والافتراءات. والتهمة إحدى الحراب السائدة فى المجتمعات المتخلفة بحيث تعدّ تلك الشخصيات نفسها لهذه التهم. ونبى الإسلام صلى الله عليه و آله لم يستثن من هذه القاعدّة، فقد واجه معارضة قريش واتهاماتها الرخيصة. فمن كان صادق وأمين قريش بالأمس، اتّهم بالسحر والكهانة والجنون والافتراء على اللَّه منذ اليوم الأول الذى تصدى فيه لأفكارهم ودعاهم للَّهوعبادته، وبالطبع إن لم تؤثر تلك الاتهامات فى البعض، لكنّها انطلت على البسطاء من الناس وشككتهم فى صدق اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۸ مزاعم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فظلّت جماعة تعيش هذا الشك حيال الاتهامات مدّة من الزمن. فكيف يمكن فى ظلّ هذه الظروف القضاء على التهم وايضاح الحقيقة. هنالك أسلوب واحد فإن انتصر هذا الرجل المصلح وعكس نتائج نشاطه ولمس الناس معطياته ذابت تلك التهم وتحولت إلى امتيازات فريدة ومعنوية عظيمة، وإلّا ظلّت هذه الاتهامات فى أذهان البعض لمدّة وأثرت فيهم. وهذا ما يمكن ذكره بالنسبة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فقد اقتحم الميدان بسلسلة من المفاهيم والقوانين السامية لصالح الناس وضد الجهاز الحاكم، وكان يخبر عن انتصاراته فى المستقبل وقد تغلّب على جميع الصعوبات بعناية اللَّه وصبره وإستقامته وشدّ أزره بأصحابه الأوفياء حتى اجتاح مراكز الشرك وفتح مكة. فأدّى ذلك النصر إلى استسلام قريش للإسلام، فقد تمكن بتحقيقه لهذا النصر من إخماد أصوات المفترين والكذابين، وعليه فلا يمكن نعته بالجنون والسحر والكهانة بعد هذا النصر، ذلك لأنّ من اتصف بهذه النقائص الفكرية لا يحقق مثل هذه النهضة. وعليه فالمراد من «الذنب» تلك التهم الجوفاء التى كانت مترسخة فى قلوب بسطاء قريش حتى قبيل فتح مكة وقد أبطل النصر كل تلك التهم. وبالطبع كانت ستستمر تلك التهم لو لم يحرز النبى تقدماً وبقى الوضع كما كان قبل الفتح. ويؤيد هذا التفسير أمران: ۱- صريح الآية، إننا أعددنا فتح مكة لنغفر لك فى ظلّ ذلك ذنوبك. فإن كان المراد من غفران الذنب ابطال تلك التهم- كما بينا- لصح واتضح الإرتباط بين «فتح مكة» و «غفران الذنب»؛ وإن كان المراد الذنوب الشرعية فإنّ غفرانها عن طريق التوبة لا من خلال فتح عسكرى ونصر ظاهرى. ۲- المفاد الواضح للآية أنّ هذا

الفتح والنصر سيوجب غفران الـذنوب المتقدمـة والمتأخرة، ولا تصح هذه العبارة إلّاأن يكون المراد تلك التهم والافتراءات، أى أنّ هذا النصـر الاجتماعى العظيم أدّى إلى زوال التهم السابقة وسوف لن يلجأ فى المسـتقبل أحد إلى توجيه التهم للنبى الأعظم صـلى الله عليه و آله، بينما ليس لغفران الذنوب المتأخرة من معنى لو كان المراد الذنوب الشرعية.

۳۳ ما معنى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»؟

سؤال: هل تفنى روح الإنسان، أم لا؟ إن قلت إنّها مجرّدة لا تفنى، فما معنى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»؟ «۱» الجواب: ليس المراد من الهلاـك فى الآيـة، العـدم والفنـاء المطلق؛ ذلك لأنّ جسم الإنسان لا يفنى تماماً فضـلًا عن روحه، فالجسـد يتحلل ويعود يوم القيامـة، وعليه فـالروح لاـ تفنى مطلقاً سواء اعتبرناهـا مجرّدة أم لم نعتبرهـا، حتى جسم الإنسان لن يكون كـذلك، بل المراد منه فى الآيـة فناء الصورة. ففناء الإنسان قطع رابطـة الروح بالجسد واختلال وضـعه السابق، وإن واصل كل من الجسم والروح بقاءه بوضع آخر. والشاهد على ذلك الآيات الواردة بشأن هلاك الأقوام الماضية مثل: «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى «۲» ومن اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۸۰ الواضـح أنّ المراد من هلكـة قوم عـاد وثمود ونوح فى هـذه الآيات موتهم وإخلاـل علاقـة أجسـامهم بـأرواحهم. وعليه فـالمراد من الآيـة «كُلُّ شَـيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»، تغيير موجودات عالم الوجود كافّـة سوى الذات القدسية المنزهة عن أى تغيير.

۳۴ كيف أذن يوسف باتهام أخيه؟

سـؤال: حين أراد يوسف أخيه فى مصـر جعـل السـقاية فى رحله ثم أذّن مؤذن «أَيَّتُهـا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسـارِقُونَ» فكيف وضع يوسف تلك السـقاية الثمينـة فى رحـل أخيه، وكيف سـمح باتهام أخوته بالسـرقة، مع العلم أنّ الافتراء حرام؟ الجواب: الآيـة الشـريفة: «فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون» «۱» ، فصـريح الآيـة أن يوسف وضع السقاية فى رحل أخيه، إلّا أنّ رمى القافلـة بالكذب كان من قبل شـخص آخر، والعبرة هنا. أمّا لماذا قام يوسف بذلك الفعل؟ فقد وردت علته فى الآية ۷۶ حيث لم يكن هنالـك من سبيل غيره، فقوانين مصـر إبان القحط لم تكن تسـمح ببقاء أخى يوسف فى مصـر، وعلى ضوء ما ذكره بعض المفسـرين فـإنّ يوسف أطلع أخاه على ذلك، حيث صـرحت الآيـة ۶۹ بـأنّه اجتمع به سـرّاً وربّمـا أطلعه على ذلك. وعليه فكان الموضوع ممّا لا إشـكال فيه عند يوسف، فقد رضـى أخوه بذلك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۸۲ ومن جـانب آخر فإنّ يوسف لم يتهم أخاه ولم يكـذب ويوجّه إليه التهمة، بل تصور المأمورون حدوث سـرقة ففتشوا الأمتعة واتهموا أخا يوسف واعتقلوه. وحيث كان يعلم بالقضية سكت، إضافة إلى أنّ الآية لا تحمل أى قرينة على أنّ القضية وقعت أمام يوسف.

۳۵ هل يجب الضحك قليلًا والبكاء كثيراً؟

سؤال: ما المراد من الآية: «فَلْيَضْـحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً» «۱» هل أمر اللّه الناس بالضـحك قليلًا والإكثار من البكاء، مع أنّ كثرة البكاء فيها اضرار كثيرة لا يرضاها الشارع المقدّس قطعاً، بينما فى الضحك نشاط الجسم والروح فلماذا هذا المنع؟ الجواب: إنّ من فسّر الآية هكذا لم يلتفت إلى صدرها وعجزها، فالآية الواردة فى سورة التوبة تتحدث عن المنافقين والمتقاعسين عن الجهاد، وقبلها الآية: «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» «۲» . ثم تلتها الآيـة «فَلْيَضْـحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِـبُونَ». والخلاصـة، فـذيل الآيـة وما قبلها وبعـدها وشـروع العبـارة بفـاء التفريـع كلّهـا تشير بوضوح اجوبـة المسائـل الشـرعية، ص: ۴۸۴ إلى أنّ الآيـة متعلقـة بوضـع المنـافقين والمتخلفين عن الجهـاد، ولاـ يوجـد مثـل هـذا الأـمر عنـد عامّـة النـاس، وقوله تعالى «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِـبُونَ» إشارة إلى أنّ هؤلاء لو

يعلمون بما ينتظرهم من عقاب لبكوا كثيراً وضحكوا قليلًا.

۳۶ هل هنالک سؤال يوم القيامة أم لا؟

سؤال: ورد فی سورة الرحمن: «فَيَوْمَئِذٍ لَايُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ» «۱» مع العلم وردت عـدّة آيات بشأن سؤال المذنبين؟ الجواب: يستفاد من سائر آيات هـذه السورة أنّ المراد من عـدم سؤال المـذنبين هنا السؤال اللسانى بحيث يردون بلسانهم كما هم عليه هنا، بل شكلهم يتحدث عن أعمالهم وستتحدث أيديهم وأرجلهم عن أفعالهم. فالآيتان اللاحقتان: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» «۲». وقال تعالى فى سورة يس: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» «۳» وعليه فالمراد من عدم السؤال، اللسانى.

۳۷ هل كان النبى يستشير؟

سؤال: إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان متصلًا بالوحى، فما حاجته لاستشارة أصحابه فى الشؤون الحربية والاجتماعية، بحيث ألزمه اللَّه- فى الآية ۳۸ من سورة الشورى- بالمشورة؟ وكيف أمره اللَّه بالمشورة وهو أسمى الخلائق فى العلم والمعرفة والسياسة؟ الجواب: لقد ردّ القرآن على هذه الأسئلة فقال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» «۱» وعليه كان المراد من المشورة، بعدها التعليمى والتربوى- فكان يلقن أصحابه دروساً عملية باستشارتهم بحيث يتبادلون الرأى بعده ويحلون مشاكلهم. فإن كان ذلك الزعيم العظيم المعروف بعلمه وسياسته وتدبيره لا- يرى نفسه غنياً عن الاستشارة وينفتح على آراء صحبه، فما ظنّك بأتباعه وأنصاره (طبعاً لابدّ أن تقتصر المشورة على الأمور التى لم يرد فيها أمر قاطع من اللَّه تبارک وتعالى).

۳۸ لماذا وصف اللَّه نفسه بربِّ الشِعرى؟

سؤال: ورد فى القرآن الكريم بشأن اللَّه تعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى» «۱» فما الميزة فى كوكب الشعرى ليوصف اللَّه بأنّه ربّه ومالكه، ولماذا لم يذكر سائر الكواكب وهو خالقها وربّها جميعاً؟ الجواب: يعود هذا إلى سببين: أ) كانت قبيلة «خزاعة» تعبد الكوكب المذكور وتقدّسه وتراه الفاعل فى الأرض. ومن هنا أراد القرآن أن ينبههم إلى أنّ هذا الكوكب- كسائر المخلوقات- مخلوق للَّه، أى أنّ هذه القبيلة خلطت الخالق بالمخلوق فعبدته بدلًا من خالقه «۲». ب) كوكب الشعرى أحد كواكب السماء المشعة والذى يصطلح عليه علماء الفلك بملك الكواكب، ويتميز هذا الكوكب ببعض العجائب نشير هنا إلى بعضها: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۰ ۱- تبلغ درجة حرارة هذا الكوكب على ضوء مراصد باريس حدود ۱۲۰۰۰۰ درجة ومصاحبه ۸۰۰۰ درجة، بينما تبلغ درجة حرارة الشمس التى تضيء المنظومة الشمسية ۶۵۰۰ درجة، وهذا بدوره يكشف عن عظمة هذا الكوكب. ۲- تبلغ كتلته خمسين ضعفاً لكتلة الماء، بينما تبلغ كتلة أعظم كوكب من منظومتنا الشمسية وأعظمها بهذا الخصوص كوكب عطارد ستة أضعاف كتلة الماء. وهذا ما يكشف عن طبيعة العناصر المؤلفة لهذا الكوكب. ۳- يقع كوكب الشِّعرى تحت هرم جميل تشاهد وسطه ثلاثة كواكب ممتدة على شكل خط مستقيم، ويعد الهرم المذكور من أجمل مواقع السماء وتضم الكوكب المعروف بالجوزاء. ۴- كوكب الشِعرى ألمع ثوابت السماء، ويظهر فى فصل الشتاء، بينما كان يظهر فى السماء تزامنا مع بداية فصل الصيف على عهد المنجمين المصريين الذين عاشوا قبل سبعة آلاف سنة. ۵- واستناداً لما ذكر، وعلى ضوء التحقيقات الحديثة فإنّ الشِّعرى كوكب كبير يكبر حجم الشمس بعشرين مرّة (كتلة الشمس بالنسبة للأرض ۱۳۱۰۰۰۰) إلّاأنّ بُعده عن الأرض مقارنة بالشمس شاسع جدّاً بحيث يعدل مسافة الشمس مليون مرّة. وتعلم أنّ سرعة الضوء ۳۰۰۰۰۰ كيلومتر فى الثانية، أى تطوى ۵۰۰۰۰ فرسخ ثم يصل ضوء الشمس إلى الأرض بعد أن يقطع مسافة ۱۵۰ مليون كيلومتر خلال ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية، بينما لا يبلغ ضوء كوكب الشِعرى الأرض إلّابعد عشر سنوات «۱». طبعاً هذه

الخصائص موجودهٔ فی سائر الکواکب، إلّاأنّها مجتمعهٔ فی کوکب الشِعری. اجوبهٔ المسائل الشرعیهٔ، ص: ۴۹۱

۳۹ هل ینسجم معراج النبی صلی الله علیه و آله مع العلم؟

قلَّ من لم یسمع کلاماً بشأن معراج النبی الأکرم صلی الله علیه و آله ویتساءل عن صحهٔ هذه القضیهٔ وبالتالی تفاصیلها وجزئیاتها. وربّما تبقی بعض هذه الأسئلهٔ دون جواب ولا یظفرون بایضاحات قانعهٔ، وبعض یعتبرها ضرباً من الخرافات، وأخیراً ینظر إلیها البعض الآخر بعین الشک والریبهٔ. أسئلهٔ ضروریهٔ: ۱- هل هنالک حقّاً بعض الأدلهٔ فی الآیات القرآنیهٔ والروائیهٔ وأقوال الأعلام علی مسألهٔ المعراج، أم أنّها وردت فی کتب وأخبار ضعیفهٔ تفتقر إلی الاعتبار العلمی والمنطقی. ۲- لو أیِّدت الأدلهٔ القطعیهٔ هذه المسألهٔ، فهل یعنی ذلک عروج النبی صلی الله علیه و آله إلی السماء بهذا البدن، أم أنّه حصل فی عالم الرؤیا وبعبارهٔ أخری أکان المعراج بالروح أم بالبدن؟ «۱» ۳- ما هی الوسیلهٔ التی تمّت بواسطتها هذه المسألهٔ، ولم تکن وسائل الرحلات الفضائیهٔ السائدهٔ الیوم موجودهٔ آنذاک. اجوبهٔ المسائل الشرعیهٔ، ص: ۴۹۲ وبغض النظر عن ذلک لو حصلت تلک الرحلهٔ إلی جمیع أنحاء السماء لواجهتنا مشکلهٔ کبری من حیث «الزمان»، فالمعراج کان یتطلب زماناً لا ینسجم مع ما ذکر بشأنه، بل تستحیل علی مستوی عمر النبی الأکرم صلی الله علیه و آله. ۴- ناهیک عمّا سبق، یرد سؤال آخر: ما المراد من المعراج وما تتضمنه الرحلات الفضائیهٔ من صعوبات؟ الأجوبهٔ: القرآن والمعراج: ۱- قالت الآیهٔ الأولی من سورهٔ الإسراء: «سُبْحَانَ الَّذِی أَسْرَی بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِی بَارَکْنَا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ»، فإشارت إلی «مقدمهٔ المعراج» أی الحرکهٔ من مکهٔ إلی بیت المقدس ولم تتطرق إلی رحلته إلی السماء. ویستفاد من ذلک أنّ السیر المذکور کان من المسجد الحرام وقد وقع فی لیلهٔ واحدهٔ والهدف رؤیهٔ آیات العظمهٔ الإلهیّهٔ. وظاهر الآیهٔ أنّه وقع فی الیقظهٔ لا فی النوم؛ لأنّ مفهوم العبارهٔ «أسری بعبده» أنّ اللَّه هو الذی ساقه لتلک الرحلهٔ، بالإضافهٔ إلی ما یؤید اهمیهٔ الموضوع استهلال الآیهٔ بکلمهٔ «سبحان»؛ فالقضیهٔ لو حصلت فی النوم لما تطلبت التعبیر بتلک الکلمهٔ. ۲- وردت فی الآیهٔ ۱۳- ۱۸ من سورهٔ النجم: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرَی عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهَی عِنْدَهَا جَنَّهُ الْمَأْوَی إِذْ یَغْشَی السِّدْرَهَ مَا یَغْشَی مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَی لَقَدْ رَأَی مِنْ آیَاتِ رَبِّهِ الْکُبْرَی . ورغم أنّ الآیات لم تتضمن تصریحاً بالمعراج ووقوع مشاهدهٔ هذه الایات فی السماوات، لکن القرائن الموجودهٔ تشهد أنّها وقعت حین المعراج؛ ومنها حصول اللقاء عند السدرهٔ، ومن هنا اعتبر مفسّرو الفریقین الآیات واردهٔ فی المعراج. کما أنّ لهذه الآیات ظهور فی أنّ الحادثهٔ کانت فی الیقظهٔ، والآیهٔ «مَا زَاغَ الْبَصَرُ اجوبهٔ المسائل الشرعیهٔ، ص: ۴۹۳ وَمَا طَغَی شاهد آخر علی هذا الموضوع. کما أجملت الآیهٔ: «لَقَدْ رَأَی مِنْ آیَاتِ رَبِّهِ الْکُبْرَی هدف المعراج فی رؤیهٔ آثار عظمهٔ اللَّه وآیاته فی العالم العلوی. وبالطبع هنالک الکثیر من الکلام فی تفسیر هذه الآیات وخلاصهٔ ما ذکرناه سابقاً. ویفهم ممّا ذکر أنّ موضوع المعراج کان مجملًا فی القرآن الکریم. العراج والروایات: یستفاد من مصادر التفسیر والحدیث والعقائد أنّ الاعتقاد بالمعراج وخلافاً لما یظنّه البعض لا یقتصر علی طائفهٔ من المسلمین، بل یشمل جمهور المسلمین مع بعض الفوارق کما سیرد لاحقاً. فقد وردت عدّهٔ روایات عن الفریقین بهذا الخصوص لا یسعنا ذکرها جمیعاً، والمهم إجماع أغلب العلماء علی تواترها أو شهرتها. وإلیک نماذج من ذلک: ۱- قال المفسّر والفقیه الکبیر الشیخ الطوسی رحمه الله صاحب «تفسیر التبیان» فی ذیل الآیهٔ الأولی من سورهٔ الأسراء: «إنّ علماء الشیعهٔ یعتقدون أنّ اللَّه أسری بنبیّه فی تلک اللیلهٔ من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصی وعرج به إلی السماء لیریه آیاته، وکان ذلک فی الیقظهٔ لا المنام، إلّاأنّ القرآن اقتصر علی الإسراء من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصی وغیره من الأخبار». ورغم نسبهٔ جانب من المعراج إلی القرآن وما بعده للأخبار، إلّاأنّ ما ذکره فی تفسیر الآیات الست من سورهٔ النجم تنطبق علی الجانب الآخر من المعراج، وکأنّه غیّر رأیه السابق ونسبه إلی القرآن أیضاً، لکنه اعتبر دلالهٔ الأخبار قطعیهٔ بهذا الخصوص. ۲- وقال المفسر الکبیر المرحوم الطبرسی صاحب «مجمع البیان» فی تفسیر ذیل الآیات الواردهٔ فی سورهٔ النجم: «ظاهر مذهب الأصحاب والمشهور فی أخبارنا أنّ اللَّه أسری بالنبی الأکرم صلی الله علیه و آله بهذا البدن وفی الیقظهٔ وعرج به إلی السماء وهذه عقیدهٔ أغلب المفسرین». اجوبهٔ المسائل

الشرعيهٔ، ص: ۴۹۴ ۳- وذكر المحدّث الشهير العلّامهٔ المجلسى فى الجزء السادس من بحار الأنوار: «إنّ إسراء النبى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ممّا دلت عليه الآيات وأحاديث الفريقين المتواترهٔ، وانكار أمثال هذه الأمور أو تأويلها وتفسيرها بالمعراج الروحى أو النوم ناشئ من عدم الوقوف على أخبار أئمّهٔ الهدى أو ضعف اليقين ...». وثم أضاف: «لو أردنا جمع الأخبار الواردهٔ بهذا الشأن لتطلبت كتاباً كبيراً». ثم روى أكثر من مائهٔ حديث بهذا الخصوص وردت أغلبها فى كتاب الكافى الذى يعدّ من مصادر الشيعهٔ المعتبرهٔ. كما ذهب علماء العامهٔ والمفسرون والمحدثون إلى أنّ أحاديث المعراج من الأحاديث المشهورهٔ. وفى الختام يبدو من الضرورى ذكر هذه النقطهٔ- بغيهٔ إيضاح المسار التاريخى لهذه المسألهٔ بين المسلمين على الصعيد الروائى ونظرهٔ علماء الإسلام- وهى أنّ صاحب «مجمع البيان» قال: الأحاديث الواردهٔ فى المعراج أربعهٔ طوائف: ۱- الروايات القطعيهٔ التواتر (كأصل موضوع المعراج). ۲- الروايات التى لا- تمتنع عقلياً ونقلياً (كمشاهدهٔ آيات عظمهٔ اللّه فى السماء). ۳- الظاهرات الشاذهٔ الظاهر، ولكن يمكن توجيهها وتفسيرها. ۴- الروايات الباطلهٔ التى يتضح وضعها وبطلانها. وكما صرّح هؤلاء العلماء فإنّ قبول مسألهٔ المعراج لا تعنى التسليم بكل خبر ورد فى كل كتاب، ذلك لأنّ المعراج كسائر المسائل لم يسلم من التحريف والوضع؛ وعليه فلابدّ من تمييز غث الأخبار من سمينها من خلال العقل والنقل فى التعامل مع هذه الأحاديث. وهذا خلاصهٔ الكلام بشأن المعراج على ضوء الأدلهٔ النقليهٔ. المعراج والعلوم: لابدّ من طرح بعض الأسئلهٔ والرد عليها لرفع الشبهات كافّهٔ: اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۴۹۵ ۱- هل المعراج يعنى السير فى السماء، وبعبارهٔ أخرى هل يرى العلم من إمكانيهٔ للرحلات الفضائيهٔ الواسعهٔ؟ ۲- ما الوسائل اللازمهٔ إن كان ممكناً؟ ۳- ما الزمان اللازم للقيام بهذه الرحلات؟ جواب العلم عن السؤال الأول بالإيجاب، فالرحلهٔ الفضائيهٔ ليست ممكنهٔ فحسب، بل أصبحت أغلبها عمليهٔ اليوم. فلم يعد اليوم من إمكانيهٔ لسماع نظريهٔ بطليموس التى ترى سير الإنسان فى السماء يوجب خرق العادهٔ والتئام الأفلاك. فالصواريخ العابرهٔ للفضاء- وبعضها بركاب وأخرى دونهم- قد شقت عنان السماء لتبلغ كوكب الزهرهٔ الواقع فى الفلك الثالث فى هيئهٔ بطليموس، ولم يحدث محال عقلى ولا خرق ولا التئام. صحيح أنّ هذا التقدم لا يعدّ شيئاً إزاء الكواكب ومسافاتها العجيبهٔ، لكنّه أخرج الموضوع من الاستحالهٔ العقليهٔ والعمليهٔ، وكما قيل فإنّ وقوع موضوع دليل على إمكانه ... هذا ما يتعلق بالسؤال الأول. وأمّا السؤال الثانى فلابدّ من الإذعان بأنّ الرحلهٔ الفضائيهٔ تتطلب عدّهٔ رسائل للتغلب على العراقيل التى تعترض هذا السبيل. ولعل أهم هذه العراقيل. ۱- الجاذبيهٔ الأرضيهٔ التى ينبغى التغلب عليها ببعض الوسائل. وقد أثبت العلماء بواسطهٔ بعض الحسابات أنّ ذلك يتطلب وسيلهٔ لا تقل سرعتها عن أربعين كيلومتر فى الساعهٔ، وبعبارهٔ أخرى ۲/ ۱۱ كيلومتر فى الثانيهٔ. فلو منحت سفينهٔ فضائيهٔ مثل هذه السرعهٔ لاخترقت الجاذبيهٔ وشقت طريقها نحو المنظومهٔ الشمسيهٔ. ويبدو الحصول على هذه السرعهٔ ممكناً، لكنه صعب وشاق. ۲- إنعدام الهواء فى الوسط الخارج عن الجو. فهنالك طبقهٔ من الجو وبغض النظر عن بضع كيلومترات مجاورهٔ للأرض والتى تحتوى على أوكسجين يمكن التنفس فيها، بينما يتعذر التنفس فى سائر الطبقات الأخرى ولو ارتفع الإنسان فى أعالى الجو لاختنق بسبب قلّهٔ الأوكسجين. وقد أثبتت التجربهٔ أنّ الإنسان اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۴۹۶ العادى يغيب عن الوعى خلال ثوانٍ فى فاصلهٔ ۱۵ كيلومتر عن سطح الأرض ويموت إن لم يسعف، ومن هنا يحمل رواد الفضاء مقداراً من الأوكسجين فى رحلاتهم الفضائيهٔ. ۳- الحرارهٔ والبرودهٔ القاتلهٔ فى الفضاء، أى عدم تعرض الجسم للحرارهٔ يجعله بارداً جدّاً. ذلك لعدم وجود الهواء هناك ليوازن الحرارهٔ المحرقهٔ ويختزن قسماً منها. ۴- الأشعهٔ الخطيرهٔ خارج الجو، كالأشعهٔ البنفسجيهٔ واشعهٔ X والاشعهٔ الخارقهٔ «۱» ولو تعرض الجسم لهذه الاشعاعات مدّهٔ زمينهٔ قصيرهٔ إختلت أجهزته، وحيث تتواجد بكثرهٔ فى الفضاء فهى مميتهٔ وقاتلهٔ. ۵- أجسام الشهب الكثيرهٔ والتى تنطلق بسرعهٔ عاليهٔ فى الفضاء ولعل ارتطام إحدى ذراتها الصغيرهٔ بجسم الإنسان أعظم خطورهٔ من إطلاقهٔ البندقيهٔ مع علمنا بأنّ تأثير الجسم يتناسب طردياً مع سرعته، ومن هنا يتمّ التعرف على مدى تأثير الإطلاقهٔ من خلال سرعتها لا مادتها وشكلها. وطريقهٔ مقاومهٔ هذه الأجسام بنسبهٔ معينهٔ للسفينهٔ الفضائيهٔ وألبسهٔ خاصهٔ يمكنها المقاومهٔ للأجسام. ۶- إنعدام الوزن، فنحن نعلم بأنّ الجاذبيهٔ تتناسب عكسياً مع مربع المسافهٔ، أى لو كانت مسافهٔ الجسم عن مركز الأرض ضعفين لقلّ وزنه إلى الربع، فالوزن هو تأثير الجاذبيهٔ على بدن الإنسان أو سائر الأجسام،

وهكذا يقلّ وزن جسم الإنسان حتى يصل إلى الصفر، ورائد الفضاء يشعر بإنعدام الوزن تماماً، بالإضافة إلى أنّ السرعة إحدى عوامل إنعدام الوزن. والعوارض الناشئة من إنعدام الوزن صعبة التحمل رغم عدم خطورتها، ويضطر رواد الفضاء لممارسة مختلف التمارين الشاقة بغية التغلب على هذه المشكلة. هذه مختلف المواقع التى تعترض الرحلات الفضائية، ولكن كما قيل فإنّها لا تحيل الرحلة الفضائية إلى الاستحالة، بل يمكن التغلب عليها ببعض الوسائل، والإنسان ظفر اليوم ببعض الوسائل. ولكن لا ينبغى اعتبار الأمر متقصر عليها، بل هنالك العديد من الوسائل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۷ التي من شأنها القضاء على هذه الموانع. هذا بشأن الرحلات الفضائية البشرية اليوم، أمّا بشأن معراج النبى صلى الله عليه و آله فلابدّ من القول: إنّنا نعلم بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لم يسلك هذا الأمر بالوسائل العادية، بل انطلق من خلال قوّة عظيمة من عالم ماوراء الطبيعة، فطوى هذا الطريق بوسيلة مجهزة، وليست هنالك من مشكلة بهذا الخصوص. فهل هنالك من مؤمن بقدرة اللّه المطلقة (طبعاً المراد بهذا الكلام الموحدون) يسعه انكار عدم وجود أى مانع إزاء قدرة اللّه فقد زوّد نبيّه بوسيلة معينة خارجة عن نطاق فكرنا لينطلق إلى السماء ويرى عجائب الخلقة؟! المعراج والزمان: طبعاً يعدّ هذا الموضوع مشكلة كبرى فى المعراج (وخلال ليلة واحدة). ولكن هنالك حلّان لهذه المشكلة: ۱- ربّما حصل المعراج داخل المنظومة الشمسية فقط، لأنّ الإشكال المذكور يكون وارداً إن اعتبرنا المعراج خارج المنظومة الشمسية، والحال ليس لدينا دليل قاطع على هذا الموضوع. فلا مانع من حصول هذه الرحلة داخل المنظومة الشمسية، وعليه لا يرد أى إشكال على هذه القضية. فأبعد سيارة فى المنظومة الشمسية التى ترى بالعين المجردة «زحل» والمسماة سابقاً السماء السابعة (لانها تبعد عنا أكثر من عطارد والزهرة والمريخ والمشترى والشمس). فهى تبعد عنا أكثر قليلًا من ۱۴۰۰ مليون كيلومتر. وهذه المسافة بالنسبة لوسيلة أسرع من حركة الضوء قصيرة وتتم بمدة قصيرة جدّاً. وعليه فمشكلة الزمان محلولة داخل كرات المنظومة الشمسية ولا يتعارض ذلك مع نظريات علم الفيزياء، واطلاق السموات على كرات المنظومة الشمسية تعبير عادى، ذلك لأنّ أحد معانى السموات كرات المنظومة الشمسية، والطريف أنّ روايات الفريقين تحدثت عن الوسيلة التى حملت النبى إلى السماء وأسمتها «البراق» من مادة برق التى قال فيها اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۸ المحدثون: لعل سرعتها وحركتها كالبرق هو الذى يقف وراء تسميتها. والأطرف من ذلك ما ورد فى بعض الروايات بشأن هذه الوسيلة أنّ «خطاه مد بصره» حيث يستفاد أنّ سرعته كانت كسرعة الضوء، ذلك لأنّ رؤية الأشياء تتمّ بواسطة الضوء، والطول الزمانى لرؤية كل شىء تساوى سرعة ضوئه. ۲- سرعة الضوء ليست أعظم سرعة. تفيد دراسات العلماء المعاصرين عدم صحة النظرية التى تزعم عدم وجود سرعة تفوق سرعة الضوء مهما كانت الظروف، بل هنالك مثل هذه السرعة التى تفوق سرعة الضوء (لابدّ من الدقة). ومنها أنّ البعض يعتقد بأنّ امواج الجاذبية لا- تحتاج فى حركتها إلى الزمان مطلقاً، بل تخترق العالم خلال لحظة. قال العالم «جيور جيو»: «... ولكن هنالك سرعة آنية وتؤثر فى لحظة من جهة هذا العالم لأخرى وهى سرعة أمواج الجاذبية، ولو انفصل فى هذه اللحظة نهاية عالم مجرة تضم عشرات ملايين الشموس وتبدلت إلى أمواج فستقوم الجاذبية بردة فعل فى نفس هذه اللحظة لإعادة توازن العالم، ولو لم يكن الأمر كذلك، لتفككت تلك المجرّة آنذاك وتبدلت إلى أمواج تقضى على عالم الشمس». وكما نلاحظ فالبحث هنا عن سرعة تفوق سرعة الضوء بشأن المجرات، وهذا يكشف عن عدم قطعية السرعة النهائية للضوء، وقد يتضح مستقبلًا على ضوء بعض الاختراعات بحيث يمكن لجسم ترابى فى ظروف معينة (لا فى ظل أية ظروف) أن يسير بسرعة تفوق الضوء، فتحل مشكلة الزمان فى مسألة المعراج وإن كان خارج المنظومة الشمسية، وليس هنالك من محذور علمى فى معراج النبى عليه السلام إلى السماء خلال ليلة واحدة. علّة المعراج: لم يسلم المعراج للأسف كسائر المسائل التاريخية الصحيحة من الخرافات، ليبدو اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۹ مستهجناً لدى أولئك الذين ليس لهم رصيد من المطالعات والتحقيقات. فالقرآن يكشف هذه الحقيقة بصفته أفضل سند حى بعيد عن التحريف لإدراك هدف هذا المعراج والحقائق الإسلامية كافّة. ولنا أن نستنبط هدف المعراج من القرآن والذى ينسجم مع مبادئ العلم والمنطق. ورغم أنّ الآيات المتعلقة بالمعراج لا تبلغ عشرة، إلّاأنّ اثنتين منها وضحت الهدف: فالآية الأولى من سورة الأسراء صرحت قائلة: «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِی بَارَکْنَا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ». فالهدف من المعراج فی هذه الآیة رؤیة آثار وآیات عظمة اللَّه فی العالم العلوی. وصرحت الآیة ۱۸ من سورة النجم قائلة «لَقَدْ رَأَی مِنْ آیَاتِ رَبِّهِ الْکُبْرَی ویفهم من الآیتین أنّ هدف المعراج لم یکن التطلع إلی سلطة اللَّه أو سماع صوت قلمه أو مشاهدة جماله! فنحن المسلمون لاـ نعتقد بوجود موضع معین للَّه، فهو فی کل مکان «فَأَیْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» «۱» ، «وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ...» «۲» والمراد بالکرسی سعة عالم الخلق. «۳» وعلیه فالمراد من المعراج رؤیة آثار عظمة اللَّه فی العالم العلوی لیزداد قلب النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بصیرة وفکره اتساعاً واستعداداً لزعامة وهدایة الخلق إلی اللَّه فی ظل مشاهدة هذه الآثار المذهلة «۴». اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۰۰

القسم السابع استفسارات مختلفة

۱ ما أسباب تقدم المسلمین سابقاً وتخلفهم حدیثاً؟

سؤال: ماذا کانت أسباب تطور المسلمین بالأمس وانحطاطهم الیوم؟ لماذا أصبح المسلمون تابعین لبلدان العالم المتطورة بعد أن حکموا بحضارتهم أغلب دول العالم؟ الجواب: حقاً إنّ هذا لمن الأسئلة الحساسة والرائعة، والأجدر إصدار کتاب بهذا الشأن. فقد ذکر العالم المصری المعروف فرید وجدی فی مادة العلم من موسوعته عشرة أسباب تقف وراء تطور المسلمین، کما خاض عالم آخر فی هذا الموضوع «۱»، والحق أنّ سبب ذلک التقدم وهذا التخلف یکمن فی اتباع أو رفض التعالیم الإسلامیة، فالمسلمون فی صدر الإسلام کانوا یمتثلون التعالیم الإسلامیة کافّة- وفی جمیع شؤونهم- بینما انحرف المسلمون الیوم فی أغلب مناطق العالم عن هذه التعالیم، وربّما یسعنا القول إنّ البعض مسلم بالجنسیة لاـ علی نحو الواقع، مع ذلک هنالک بعض العوامل والأسباب، ومنها: اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۰۴ ۱- التضحیة الشاملة کان المسلمون الأوائل مضحّین بالمعنی الحقیقی لهذه الکلمة، فکانت التعالیم الإسلامیة لدیهم أولی من الأخ والمرأة والمقام والثروة والمنصب، فکانوا یؤثرونها علی مصالحهم المادیة، ویشهد علی ذلک التاریخ الإسلامی وما تخلله من حروب، إلّاأنّ الدین أصبح هامشیاً الیوم لدی أغلب المسلمین فقلَّ ذلک الإیثار والتضحیة، فالإسلام محترم لدی البعض مادام لا یتعارض مع مواقعهم وأموالهم، وإلّا طرحوه جانباً. ۲- الاتحاد والأخوة کان المسلمون فی صدر الإسلام متحدین واخوة لحکم القرآن، ثم حدثت بعض الاختلافات التی أعقبت وفاة النبی صلی الله علیه و آله استطاع أمیر المؤمنین علیه السلام والمعصومون من ولده علیهم السلام إزالتها والحیلولة دون تعثر رقی المسلمین، حتی تنازلوا عن حقّهم بغیة حفظ کیان الإسلام، بینما بلغ الخلاف الیوم والنفاق ذروته فی الأوساط الإسلامیة فراجت العقائد الفاسدة وکفرت بعض الفرق الفرق الأخری وقد اتسع الیوم حجم الاختلاف بین المسلمین وشوهت الصورة الحقیقیة للإسلام ببعض الخرافات، فهل یتصف المسلمون بذلک المجد الذی حققوه سابقاً. ۳- الظروف الزمانیة کان العلم بشرائط الزمان أحد العوامل المهمّة لرقی المسلمین، فکانوا یتسلحون بالعلم والمعرفة، یذکر أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أخبر بوسیلة فی الیمن اخترعت لتحطیم القلاع فأوفد فریقاً إلی الیمن للتعرف علیها. «۱» کما کان المسلمون یترجمون لقرون علوم الآخرین من قبیل الفلسفة والفیزیاء والکیمیاء والحساب والهندسة والنجوم والهیئة ... ویکملونها بآرائهم فأسسوا الجامعات والمکتبات الضخمة فغدوا مشاعل تحمل العلوم. وأصبحت المراکز الإسلامیة فی بغداد والشام ومصر والأندلس وایران تستقطب الدارسین من أنحاء العالم کافّة، بینما غفل أغلب المسلمین الیوم عن متغیرات الزمان اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۰۵ والأوضاع السائدة وسعوا لممارسة حیاتهم بوسائلهم السابقة، فی حین هنالک تطورات واکتشافات کل لحظة، وما زلنا نعانی من الضعف فی إعلامنا ونشر معارفنا الإسلامیة. هذه بعض العوامل التی تقف وراء تقدم مسلمی الصدر الأول؛ بالإضافة إلی عوامل أخری کان لها بالغ التأثیر فی رقیهم لا یسعنا الخوض فیها مراعاة للاختصار، ونختتم البحث بالآیة التالیة التی تشیر إلی علل سمو المسلمین «وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ» «۱» ویتضح ممّا سبق والآیة جواب سؤال آخر هو: هل من أمل فی استعادة المسلمین

لسابق عزتهم؟ والجواب بالايجاب من خلال إعادة النظر فى أسباب رقى المسلمين فى صدر الإسلام. فلو بلغ المسلمون تلك التضحيات واستبدلوا الخلاف والنفاق بالوحدة والأخوة وانفتح الزعماء المسلمون على حقائق الزمان لعادوا إلى سابق مجدهم وعظمتهم، وبالطبع لابدّ أن يتمّ كل تطور ورقى فى اطار قوانين الإسلام، وأن لا يكون موضوع إدراك «روح الزمان» وسيلة لتحريف المفاهيم الإسلامية أو التخلى عنها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٥٠٧

٢ هروب الشباب من الأوساط الدينية

سؤال: ما السبب أو الأسباب التى أدّت إلى نفرة الشباب من حضور الأوساط الدينية، ألم يأن الوقت للتغلب على هذه المشكلة؟ ما السبيل لحل هذه المشكلة، وكيف يوجه الشباب لهذه الأوساط؟ الجواب: نعتقد أنّ ابتعاد الشباب عن الأوساط الدينية يستند إلى عدّة عوامل نشير إلى عاملين مهمّين منها: الأول: الدعايات المغرضة التى يبثها العملاء منذ مدّة بين شبابنا فشوهوا لهم الحقائق لينظروا بعين الشك إلى الأوساط الدينية والمؤسسة الدينية. الثانى: غياب الإنضباط فى بعض الاجتماعات الدينية وعدم رعاية الأصول الصحيحة للخطابة والإعلام الدينى فى بعض هذه الأوساط بالصورة التى تلبى طموحات هؤلاء الشباب وريّها بالمفاهيم الإسلامية السامية. نعم، لحسن الحظ فإنّ يقظة سادت شبابنا فى السنوات الأخيرة ووقفوا على طبيعة تلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٥٠٨ الدعايات السامة. ومن هنا كان للشباب حضور فاعل فى المجالس والمؤتمرات الدينية، وهذا ما نلمسه بالفعل فى المجالس. كما اتخذت بعض التدابير بشأن الفاعل الثانى فلم يعد قليلًا المبلغون العارفون باللغات الذين يستطيعون اعتماد المنطق الإسلامى الرصين فى مخاطبة الشباب، رغم اعترافنا بعدم تناسب عددهم مع مدى المتطلبات المعاصرة.

٣ السيطرة على استغلال تعدد الزوجات

سؤال: صحيح أنّ منزلة المرأة وحقوقها وعدم تعرضها للظلم إنّما تحلّ من خلال رعاية الرجل للعدل فى تعدد الزوجات والطلاق ... أى لا يطلق نساءه عبثاً ويتركهن حيارى- لكن من الواضح هنالك استغلال لقانون تعدد الزوجات فى عصرنا الراهن من قبل أولئك الذين لا يحملون من الإسلام سوى اسمه. وهنا يرد هذا السؤال: ما الذى يتخذه الإسلام إزاء هؤلاء الأفراد الطائشين وكيف يسيطر على هذا الاستغلال؟ الجواب: إنّ القوانين مهما كانت رصينة فهى ليست كافية لتحقيق سعادة أفراد المجتمع ما لم تكن هناك ضمانة تطبيقها. ورغم أنّ التربية والتعليم والإيمان باللَّه يمكن أن تحول دون الاستغلال والتمرد على القانون، إلّاأنّ هذه العوامل ليس من شأنها جعل الأفراد بصورة كلية ملتزمين بوظيفتهم. فهنالك بعض الأفراد شئنا أم أبينا ممن يستغلون القانون ويتمردون عليه. وعليه لابدّ من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ٥١٠ مسؤول يسعى لتنفيذ القوانين ويشرف على ممارسة المجتمع لها بغية ضمان العدالة الاجتماعية وحماية الأفراد الضعفاء، وذلك المسؤول هو الحكومة الإسلامية. ومن هنا منح الإسلام الحكومة الإسلامية صلاحيات واسعة فى مجال تنفيذ القوانين بحيث يحق لها اتخاذ عدّة إجراءات ضد كل من يتطاول على حرمة القوانين ويحاول استغلال الضعفاء. ولا فرق هنا بين الطلاق وتعدد الزوجات وسائر الأبواب الفقهية، أى كما تقف الحكومة الإسلامية إلى جانب المظلومين وتعادى الظالمين كذلك بشأن الطلاق والزواج وتعدد الزوجات وظلم المرأة ليحفظ من خلال ذلك حقوقها، حيث يحق لها الحيلولة دون استغلاله للمرأة. بالاضافة إلى قضية ينبغى الإلتفات إليها فى مختلف الأبواب الفقهية وهى أنّ القوانين الإسلامية كحلقات السلسلة متصلة مع بعضها البعض ولا- يمكن التعامل مع بعضها دون الآخر. فلابدّ من النظرة الشمولية إلى جميع القوانين الإسلامية فى الوسط الذى يحكمه الإسلام وليس فى كل وسط؛ فمثلًا أحكام الحدود والديات والقضاء والزواج والطلاق الإسلامى لابدّ أن تناقش فى الوسط الذى تطبق فيه المبانى والمبادئ الحقوقية والعقائدية الإسلامية كافّة. وعلى هذا الأساس فإن طبقت جميع القوانين الإسلامية كما هى فسوف لن يكون هناك من ينتهك حرمة القانون ويهضم حقوق الآخرين ليتمسك الفرد بالقوانين الإسلامية كافّة ولا يستحسن منها تعدد

الزوجات فقط والتعسف فی الطلاق. اجوبهٔ المسائل الشرعیهٔ، ص: ۵۱۱

۴ هل ینبغی التریّث بعد العطسهٔ؟

سؤال: هل ورد فی الإسـلام ما یشیر إلی الصبر بعد العطسهٔ؟! الجواب: لیس فی الإسلام شیء بهذا الشأن وروح الإسلام لا تنسجم أصلًا مع ذلک، حتی ورد الحث علی التوکل ومتابعهٔ العمل بعد العزم علیه وإن تشائم أحد من ذلک، وعدّ الفأل السیء علامهٔ علی الشرک. نعم، مـا ورد بشـأن العطسـهٔ تسـمیت العـاطس فتقول له: «یرحمکم اللَّه»، فیرد علیـک: «یغفر اللَّه لکم». أمّا التریث والتوقف بین عطسـهٔ وأخری خرافهٔ ینبغی للمسلم عدم التعویل علیها.

۵ قصاصات فی المنام صحیحهٔ؟

سؤال: تنتشر بین الحین والآخر ورق تحکی عن أحلام تحمل عنوان خادماً للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله تتضمن الحث علی التقوی والابتعاد عن المعاصـی وقرب ظهور إمام الزمان علیه السلام! نقلًا عن النبی صلی الله علیه و آله فهل هذا صحیح؟ «۱» الجواب: للأسف یحصل هذا العمل المسـتهجَن بدفع من بعض أعداء الإسـلام والتشیع، ویتکرر لسـنوات وکل سـنهٔ خادم النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله- طبعاً لیس لهذا الاسم من وجود خارجی- یری رؤیا جدیدهٔ ویعین تاریخاً لظهور ولی العصـر أرواحنا فداه وحین لا یقع یری رؤیا أخری ویبـدو أنّ اصـحاب هـذه الرؤیا یرومون بخیالاتهم الساذجهٔ إثارهٔ الشک فی نفوس الضـعفاء بشأن ظهور إمام العصـر «عج»، وقد غفلوا عن عدم إکتراث المسـلمین- مهما کانوا بسـطاء- لهذه الأباطیل. أضف إلی ذلک فالدین لا یری من اعتبار لرؤیا شخص. اجوبهٔ المسائل الشرعیهٔ، ص: ۵۱۵

۶ منشأ عبارهٔ «السادهٔ»

سؤال: من أین أتت عبارهٔ «السادهٔ» ومن اطلق هذا اللقب علیهم؟ الجواب: السیادهٔ شرف معنوی فی نسل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وهـذا موضوع عـام فی أنّ الأشـراف یحظون بحرمـهٔ تتنـاسب مع مقـام الانتمـاء؛ وعلیه فـإنّ حرمـهٔ «السادهٔ» تسـتند إلی انتسابهم لأعظم شخصـیهٔ للبشـریهٔ- أی النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله- ومن هنا اطلق لفظ السـید، وقد وردت فی کلمات النبی صـلی الله علیه و آله والأئمّهٔ علیهم السلام بشأن بعض أهل البیت. ولکن ینبغی الإلتفات إلی أنّ السادهٔ لا یمکنهم ارتکاب أدنی مخالفهٔ اعتماداً علی نسبهم وهم کسائر الأفراد إزاء القوانین. فالواقع أنّ أساس السـیادهٔ هو عظمـهٔ النبی صـلی الله علیه و آله وعلی علیه السـلام من حیث الصـفات والأعمال؛ فقد کان هؤلاء سادهٔ لشخصیتهم الربانیهٔ فشمل شعاع هذه الشخصیهٔ آل هاشم وذریّته.

۷ تقییم کتاب «إعادهٔ التعرف علی النبی محمد صلی الله علیه و آله»

سؤال: قرأنـا فی مجلـهٔ المدرسـهٔ الإسـلامیهٔ نقـاط قوّهٔ وضـعف کتاب «إعادهٔ التعرف علی النبی محمّـد» فهل تقتصـر نقاط ضـعفه علی الجوانب المتعلقهٔ بعالم التشیع واغماض الکاتب عن مناقب أمیر المؤمنین علی علیه السـلام وخلافته بعد النبی صـلی الله علیه و آله، أم تشـمل حیاهٔ النبی صـلی الله علیه و آله أیضاً؟ الجواب: یشـتمل الکتاب علی نقاط ضـعف وقوّهٔ، ولا تقتصـر نقاط ضـعفه علی الجوانب المتعلقـهٔ بالشیعهٔ، بل وردت فیه بعض المطالب التی لا یعتقـد بها أحـد من المسـلمین ولم تـذکر فی أی من مصادر الفریقین المعتبرهٔ، کما لا تنسـجم مع الموازین العقلیـهٔ، ومن ذلک ما ذکره فی بحث المعراج ص ۲۲۵ أنّ النبی صـلی الله علیه و آله اقترب من اللَّه حتی سمع صوت قلم اللَّه وفهم أنّه مشـغول بحساب أفراد البشـر! ورغم سماعه لصوت قلم اللَّه إلّاأنّه لم یره، فلا یستطیع أحد رؤیته وإن کان نبیّاً. ولا نـدری من أین أتی مؤلف الکتاب بهذه القصهٔ المضـحکهٔ، وأیهٔ روایهٔ ضـعیفهٔ نقلتها: أولًا: لیس للَّهمن مکان لیسارع إلیه النبی

صلى الله عليه و آله والهدف من المعراج بصريح القرآن رؤية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۸ آيات اللَّه فى السماء «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى» «۱» لا-الوصول إلى مقر حكومة اللَّه أعلى العرش! ثانياً: اللَّه عالم بأعمال العباد كافّة ويعلم حسابهم، ولا- يحتاج للمسارعة فى احصاء أعمال العباد ليسمع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله صوت قلمه- ولابدّ أن يكون قلمه من الخشب ليكون له مثل هذا الصوت- ثم ما حاجة اللَّه لذلك والملائكة يحصون الأعمال. ثالثاً: يلزم من هذا الكلام أنّ اللَّه جسم وله يد ورجل؛ وهذه أمور تدعو كل مسلم مدرك للعجب والدهشة. طبعاً نحن سعداء باهتمام العلماء والكتاب الأجانب بشخصية وعظمة النبى صلى الله عليه و آله، أمّا أن نتوقع بأن يشرح لنا الآخرون تفاصيل سيرة النبى صلى الله عليه و آله وتعاليمه فهذا ما لا يسعدنا قط، مع ذلك هنالك بعض نقاط القوة فى الكتاب. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۹

۸ الإسلام والأُمّية

سؤال: لقد حث النبى صلى الله عليه و آله على العلم والمعرفة، كما دعى المسلمين بلسانه وتقريره وفعله لكسب العلوم والمعارف ومقاومة الأمّية و ... مع ذلك هنالك الكثير من المسلمين أمّيون اليوم؟ الجواب: إنّ العلم والمعرفة كان انتشرتا كالبرق فى أوساط المسلمين حين لم يحيدوا عن تعاليم الإسلام، والشاهد على ذلك تلك الجامعات الإسلامية العظيمة والمكتبات التى غص بها التاريخ، ففى ذلك الوقت الذى لم تخترع فيه وسائل الطباعة وصنع الورق كما هو عليه اليوم كانت «مكتبة مراغة» تضم أربع مائة ألف كتاب و «مكتبة دار الحكمة» فى بغداد أربعة ملايين كتاب، كما كانت مكتبات سائر البلدان الإسلامية ثرية بالمؤلفات العلمية والطبيعية. كما كانت نسبة المتعلمين عالية حتى قبيل السيطرة عليهم من قبل الاستعمار، على سبيل المثال كانت الغالبية العظمى من المجتمع الجزائرى قبل الاستعمار الفرنسى من المتعلمين، بينما انعكس الأمر إثر الاحتلال. وفى الفترة الأخيرة اصطدم بعض حكام البلدان اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲۰ الإسلامية مع بعضهم فابتدأ عهد جمود المسلمين وانحطاطهم، فوقفت عجلة التقدم وتفشت الأمّية فى الأوساط الإسلامية. نأمل بأن ينهض المسلمون ثانية ويجدون فى طلب العلم بفعل تمسكهم بهويتهم الإسلامية، ولعلنا نرى اليوم بوادر هذه النهضة.

۹ هل ينبغى للصالحين أن يصلوا؟

سؤال: نعلم أنّ الصلاة تصدنا عن الفواحش، فلو امتنعنا عن الفواحش، فهل يجب علينا أن نصلّى أم لا-؟ الجواب: الصلاة وجوب عمومى وقطعى: فلا- يستثنى منها الفرد وإن جانب الفواحش، ولا يمكن التذرع بالصلاح بغية ترك الصلاة. وبغض النظر عن ذلك فليس هنالك من ضمانة بترك الفواحش دون ذكر اللَّه الذى تفرزه هذه الفريضة الدينية العظيمة، وقد دلّت التجربة على أنّ من لا يصلّى لا يسعه الابتعاد عن المعاصى، وعلى الأقل لا يلتزم بطهارة البدن واللباس والطعام؛ وناهيك عمّا سبق فإنّ للصلاة والتوجه إلى اللَّه دوراً فى ترسيخ الإيمان وتكامل روح الإنسان- حتى ذلك الذى يترك المعاصى- وبالتالى فنحن مكلّفون دون استثناء بأداء هذه الفريضة.

۱۰ الإنسان والملائكة

سؤال: يقال إنّ الإنسان أشرف المخلوقات، فهل المراد أنّ الإنسان أكمل موجود خلقه اللَّه فهو أسمى حتى من الملائكة؟ الجواب: الإنسان والملائكة كسائر الموجودات مخلوقات اللَّه، مع هذا الفارق وهو أنّ للإنسان قابليات خارقة ليست فى الملائكة. بالإضافة إلى أنّ خلق الملائكة بعيد عن الأهواء، بخلاف الحيوان المركب من الشهوة دون العقل، بينما اشتمل الإنسان على الشهوة والعقل. ومن هنا أصبحت مسؤولية الإنسان ثقيلة. وعليه فإن اتبع الإنسان عقله وآمن باللَّه وقمع هواه فإنّه سيكون أسمى من الملائكة، وإن اتبع هواه

وجانب عقله وابتعد عن الإيمان والحق والفضيلة كان أسوأ من الحيوان. ولـذلك ورد فى القرآن أنّ اللّه حين خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له، وأمر آدم بتعليمهم ما علّمه اللّه، فكان فى الواقع معلم الملائكة.

۱۱ سكنة الكواكب

سؤال: هـل هناك كائنات حيّة فى العالم العلوى، أم أنّ الحياة مقتصرة على الكرة الأرضية؟ ولو فرضنا توفر ظروف الحياة فى العالم العلويى فهل الكائنات الحيّة هناك عاقلة مثلنا لها حضارة، ما رأى الإسلام فى ذلك؟ الجواب: إنّ سعة وعظمة عالم الخلق ممّا أذهلت العلماء، ورغم دعم إمتلاكنا للمعلومات الدقيقة عن سعة وعدد المجرّات والكواكب، إلّاأنّ مجرتنا «۱» فقط تحتوى على ۱۵۰۰۰۰ مليون كوكب من بينها بعض الكواكب التى تشبه شمسنا؛ وعليه واستناداً إلى سعة عالم الخلق يستبعد إقتصار الحياة على كوكبنا دون الكواكب الأخرى رغم اعتقاد علماء الفلك بضعف احتمال وجود الحياة فى سائر الكواكب؛ لأنّ كوكب عطارد والزهرة محرقان وخانقان والمريخ بارد والمشترى وزحل يسبحان فى الأمونيا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲۶ والميثان. إلّاأنّ هـذه الأحكام بشأن كواكب المنظومة الشمسية لا تبدو منطقية. ذلك إننا وضعنا أنفسنا فى إحدى هذه الكواكب فماذا سنقول بشأن الأرض؟ قطعاً سيقول منجم مريخى أنّ غاز الأوكسجين السام محيط بأرضنا، ولا يفهم كيفية تكيف بنيتنا مع هـذا الغاز فيظن باستحالة الحياة على الأرض! ولو أرسلت الأقمار الصناعية من المريخ إلى الأرض- كأقمار الأرض- والتى تلتقط الصور من مسافة ثلاث مئة كيلومتر لما ظهرت فيها أية آثار للحياة! وعليه فلا يستبعد أن تكون أحكام بعض العلماء بشأن عدم توفر ظروف الحياة فى كواكب منظومتنا كأحكام المنجم المريخى الذى يرى من بعيد عدم مساعدّة الأرض على الحياة، لاننا لا نمتلك معلومات عن خصائص ظروف الحياة وخصائص بنية الكائنات هناك- طبعاً على فرض وجودها- وهل تستطيع العيش فى ظل تلك الظروف أم لا. على كل حال فإنّ أغلب العلماء مثل «ساجان» العالم الأمريكى و «شكلوفسكى» عضو الدار الروسية للثقافة و «فولتير موسيفان» فى كتابه «لسنا وحيدين فى العالم» يعتقدون جازمين بالحضارة خارج الكرة الأرضية، وأنّها أسمى من حضارتنا؛ ولا يرى هؤلاء العلماء ثمّة دليل على حصر الحياة بكوكبنا، بل هنالك آلاف المنظومات الشمسية كمنظومتنا الشمسية فى هـذه المجرة. قال العالمان الأولان أنّ مجرتنا يمكن أن تضم على الأقل ألف مليون كوكب تسوده الحياة، وأقرب وأوفر كوكب للحياة «ابسيلون» ومن بين آلاف السيارات هنالك الكثير من الكواكب المؤهلة للحياة وفى بعضها مدنية وإزدهار صناعى، وطبق تقرير المرصد النجومى الفيزيائى «يوراكان» فى روسيا الذى يبث من الفضاء علامات راديوية وكان سكنة العوالم الأخرى يسعون إلى شد أنظار سكنة سائر الكواكب إليهم «۱». فقد تقدم العلم إلى هذه الدرجة والعلماء ما يزالون يواصلون أبحاثهم فى أنحاء العالم كافّة بغية التعرف على الحقيقة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲۷ ورأى الإسلام واضح بهذا الشأن والقرآن والأحاديث حلت هذا الإشكال قبل أربعة عشر قرناً، ودعونا نُذكّر بنقطة حول مقتضى الحكمة الإلهيّة بهذا الخصوص قبل أن نتحدث عن هـذا الموضوع من وجهة نظر القرآن والسنة. فالموحد الذى يؤمن باستناد خلق العالم إلى الحكمة الإلهيّة ليستبعد إقتصار الحياة على جزء من الكرة الأرضية من بين مليارديات الكواكب وكأنّها صحارى جرداء تفتقر إلى معانى الحياة والتفكير والشعور، فهـذا الأمر لا ينسجم قط والهدف من الخلق وحكمة الخالق. والقرآن الكريم يشير صراحة إلى وجود الحياة فى السماوات فيقول فى وصفه لقدرة اللّه: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» «۱». ولا يكتفى القرآن بالتصريح بوجود الحياة فى كواكب السماء، بل يصرح فى بعض الآيات بتكليف هذه الموجودات على غرار تكليف البشر فى الأرض وأنّهم سيحشرون إلى ربّهم يوم القيامة: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً»، «۲» «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً» «۳» ، «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً» «۴» . فالآيات الثلاث الأخيرة تشير صراحة إلى تكليف هـذه الموجودات العاقلة وستحشر يوم القيامة كما هى عليه الحالة بالنسبة للبشر ونكتفى بنقل رواية واحدة من بين الروايات بهذا الشأن. قال أمير المؤمنين عليه السلام بشأن هـذه النجوم: «إنَّ هـذِهِ النُّجُومُ الّتى فِى السَّماءِ مَدائِنَ مَثلَ المَدائِنِ الَّتى فِى الأرضِ مَربُوطَة كُلُّ مَدِينَةٍ إلى عَمَدٍ مَنْ نُورٍ»

«۵». وجاء فی دعاء الإمام الحسین علیه السلام: «اللّهمَّ إنّی أَسئَلُکَ بِکَلِماتِکَ وَمَعَاقِدِ عِزِّکَ وَسُکَانِ سَماواتِکَ وَأَرضِکَ». فالعبارة تشیر بوضوح إلی سکان السماوات- وهم من المقربین- رغم ما فسّره بعض العلماء بالملائکة حیث لا دلیل لدینا علی الحصر. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۲۹

۱۲ التضحیة والفداء

سؤال: یقال کل أنشطة الإنسان بهدف الحصول علی منفعة روحیة ومادیة أو دفع ضرر، حتی تلک الطائفة من أعمال الإنسان من قبیل إعانة الفقراء وتربیة الأبناء لا- تشذ عن القانون المذکور؛ ذلک لأنّ الإنسان إنّما یسکن روعه ویخلص نفسه من تأنیب الضمیر إثر مشاهدة هذه المناظر الرقیقة عن طریق مساعدتهم ومعاملتهم بالود والاحسان. وبالنظر إلی هذا الدافع المحرک للإنسان فی أنشطته وأفعاله کافّة هو الحصول علی النفع أو دفع الضرر، فکیف تعتبر بعض الأعمال نوعاً من الإیثار والتضحیة؟ وعاطفة الاُم وحنانها من أسمی مظاهر التضحیة والفداء، فی حین تستمتع المرأة بهذا الحنان والحبّ لولدها وتتعذب من الامتناع عن تربیته وملاعبته فکیف یمکن اعتبار حنان الاُم عشقاً طاهراً وفعلها تضحیة وفداء؟ الجواب: یمکن الاجابة عن هذا السؤال بطریقین: ۱- المراد من «الإیثار» و «التضحیة» قیام الإنسان بعمل دون توقع العوض من الفرد المقابل أو المجتمع. فرضاً یشعر شخص بالألم حین رؤیته لمشاهد الضعفاء والمحتاجین اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۳۰ والیتامی أو یشعر بالفرح والسرور لنجدة هؤلاء الأفراد، فإن تنازل هذا الفرد دون ریاء لجانب من حاجاته للآخرین فإنّ عمله هذا یصطلح علیه بالإیثار والتضحیة. صحیح أنّ هذا العمل ینقذه من تأنیب الضمیر ویمنحه نشاطاً وحیویة، ولکن حیث لم یکن دافعه من هذا العمل منفعة دنیویة، ولم ینطلق فیه من توقع عوض ومقابل إزاء العمل، فإنّ عمله هذا یعدّ إثرة وتضحیة علی ضوء العقل والشرع. بعبارة أخری لابدّ من الرجوع إلی دوافع العمل لتقییم الذات فی أنّ هذا العمل تضحیة وإیثار. والممارسات العاطفیة والإنسانیة التی یعبر عنها أحیاناً بالتضحیة والإیثار هی الأفعال المجردة من حسابات الربح والمنفعة فینطلق فیها الشخص من کوامنه الذاتیة وأعماق قلبه دون أدنی سمعة ورباء أو منفعة من فرد أو مجتمع. وبخلافه لا یصطلح بالإیثار علی أی عمل لا یخلو من دوافع مادیة وتوقع الحصول علی عوض وأجرة، فهذا العمل نوع من المعاملة. ۲- أحیاناً یبلغ عشق شخص أو شیء مرحلة بحیث لا- یری الإنسان سواه فینسی نفسه، ومن ینسی نفسه سینسی بالتأکید مصالحه؛ وهنا لا یری سوی المحبوب والهدف المقدس ولا یفکر سوی فی منافع المحبوب، ویتخلی کلیاً عن قانون التبادل التجاری فی القیام بفعل إزاء منفعة، فتبلغ التضحیة والإیثار باتجاه الهدف بما تجعله یلتذ بخدمة المحبوب التی تضفی علیه أسمی أنواع اللذائذ وتفیض السکینة علی روحه وبدنه، وبالتالی یصل تلک المرحلة التی ینسی فی ظلها روحه وبدنه فیعیش درجة الفناء. وهذه هی الدرجة التی بلغها أئمتنا علیهم السلام إزاء الذات المطلقة، فهم یعبدونه لذاته المقدّسة التی تمثل غایة الکمال والجمال، فیطلبونه لذاته ویضحون بمهجهم من أجل هذه الذات. ولعل ما روی عن أمیر المؤمنین علیه السلام إشارة إلی هذا الموضوع، إذ قال: «ما عبدتک خوفاً من نارک ولا طمعاً فی جنتک بل وجدتک اهلًا للعبادة». ونموذج ذلک أدعیته ومناجاته علیه السلام؛ فقد بلغ مرحلة من الذوبان فی جمال الحق وکماله المطلق بحیث لا یشعر بالسهم حین یُسلّ من قدمه؛ فمثل هذا العبد لا یسعه التفکیر بنفعه وضرره حین قیامه بعمل وعبادة؛ فهو لا یری سوی اللّه ولا یعمل إلّاله ولیس لذاته. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۳۱

۱۳ تکامل الأخلاق والحاجة إلی الدین

سؤال: ما دور الدین فی البلدان التی تسود أبناءها العلاقات الاجتماعیة الحسنة والتعاون والعدالة وحسن التفاهم واحترام حقوق الآخرین؟ الجواب: لا- شک فی أنّ للأخلاق مساحة معینة فی منع المفاسد وتنظیم شؤون المجتمع، ولکن هل یکفی هذا النظام الظاهری لاصلاح المجتمع؟ الجواب بالسلب قطعاً وذلک لأنّ سلسلة من المفاسد زالت من المجتمعات المتمدنة، بینما طرأت أخری

أكثر خطورة، والواقع أنّ المفاسد قائمة، والذى تغير هو شكلها ولونها، فالسرقات القديمة أصبحت بصيغة حملات مسلحة على البنوك والمصارف! والبلدان المتمدنة التى أصبحت اليوم سمعتها وحسن خلق أبنائها أشهر من نار على علم قد جاوز عدد اللقطاء فيها العشرين ألف خلال سنة واحدة! فإن كان باستطاعة الأخلاق ممارسة دور الدين فما معنى كل هذا الانتحار والطلاق والاغتيال. قال بعض العلماء: «إنّ القدر المسلّم هو أنّ الأخلاق إن انطلقت من الإيمان باللّه كانت اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۲ كالسلاح الصارم، وإلّا فإنّ هذه الصرامة والقدرة مشكوكة بالنسبة لنا من كل الجوانب ولا ينبغى أن نفقد وسيلة قطعية على الأمل بموضوع غامض». وإن لاحظنا حالة من النظام والاستقرار فى بعض البلدان فإنّ جانباً منها هو من تأثير التعاليم الدينية التى ورثها الناس عن أخيارهم. أضف إلى ذلك فإنّ الدين يرسى علاقات بين أفراد المجتمع إلى جانب علاقة الإنسان باللّه التى تعد أساس تكامل الإنسان على المستوى المادى والمعنوى، والمسلم به أنّ هذا الجانب لا يتأتى من الأخلاق المادية القائمة على أساس حفظ المنافع المادية. طبعاً البحث واسع حول حكومة الإيمان والأخلاق، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «الزعامات الكبرى والمسؤوليات العظمى». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۳

۱۴ مدرسة أصالة العمل

سؤال: ما تقول مدرسة «أصالة العمل» وما أسلوبها فى تحليل المسائل الفلسفية؟ الجواب: «مدرسة أصالة العمل» منهج من يقتصر بالبحث على الأمور الحسية والعملية دون المسائل العقلية والفكرية المحضة؛ ونرى أن نبيّن آراء هذه المدرسة بغية الوقوف على منهجها وملاحظة خطأها: المسائل الفلسفية [وهى سلسلة من المسائل الكلية والعامة التى لا تختص بموضوع معين؛ مثلًا البحث حول العلة والمعلول بحث فلسفى؛ لأنّ مثل هذه الأمور لا تبحث فرعا معينا، أمّا البحث عن الآثار الظاهرية للأجسام «الفيزياء» أو «باطنها» بحث علمى لا فلسفى إلى قسمين: الأول: المسائل الخارجة عن الحس، ولا يمكن اختبارها بالوسائل العلمية المادية ولا قياسها فى المختبرات، كالمسائل ماوراء الطبيعة التى لا تبحث سوى فى عالم العقل. الثانى: تلك السلسلة من الأبحاث الكلية التى يمكن الاستدلال بها على ضوء المسائل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۴ القطعية للعلوم الطبيعية والرياضية التى تستند إلى التجربة. تعتقد مدرسة أصالة العمل أنّ الشكوك تشوب الآراء بشأن تلك الطائفة من المسائل الكلية التى لا تستند إلى العلوم الحسية ولا يمكن تجربتها عن طريق الأجهزة العلمية. ويزعمون أنّ الفلاسفة العقليين بحثوا لسنوات حول المسائل الفلسفية وقد اتسعت الخلافات بينهم بشأن هذه المسائل؛ الأمر الذى يدل على صعوبة هذه المسائل وتعذر حلّها. هذه خلاصة نظرية هذه المدرسة التى انبثقت فى القرن السابع عشر واستقطبت العديد من الأنصار. أمّا العلماء الإلهيون (الذين لا يقتصرون على الوجود بالمادة والطاقة وينظرون إليه بواقعية عريضة) فقد أوردوا العديد من الإشكالات على هذه المدرسة وفنّدوا الأسس العلمية لهذه النظرية ونشير هنا إليها باختصار: ما يقال بالاكتفاء على التعويل على الأمور الحسية كلام يخالفه عملياً حتى اتباع هذه المدرسة؛ ذلك أنّهم يتعاملون مع القضايا بصورة كلية، مثلًا، يقولون: إنّ سرعة الضوء ثلاثمائة الف كيلومتر بالثانية؛ بينما لم تجرب هذه القضية بصورة كلية، والذى خضع للتجربة بعض الحالات الخاصة وفى ظروف معينة، ثم عمم بنوع من الاستدلال العقلى، وهو أنّ السرعة المذكورة تتعلق بحقيقة النور وليس للظروف من نصيب فيها؛ فللنور هذه السرعة أينما كان. وبعبارة أوضح: قام العلماء بتجاربهم بشأن سرعة الضوء فى ظروف مختلفة وحيث رأوا هذه السرعة ثابتة فى جميع الظروف، فقد توصلوا من كل هذه التجارب إلى قانون عقلى كلى فادّعوا أنّ للنور سرعة ثابتة فى كل زمان ومكان، وبدورنا نسألهم: هل كان هذا القانون محسوساً لديكم بصورة كلية أم أدركتم غير المحسوس ببعض المحسوسات؟ قطعاً الجواب هو التالى، وهكذا يعتمد علماء الطبيعة فى أغلب نظرياتهم وفرضياتهم على سلسلة من المسائل العقلية الحدسية ويتوصلون إلى النتائج، مثلًا، لعلماء الجيولوجيا نظريات فى ظهور الأرض وطبقاتها المختلفة ليست محسوسة لأحد، والمحسوس آثار كعلامات لسلسلة من العلل تحصل عن طريق الحدس والتفكير. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۵ وما قيل: «إنّ علماء العقل يختلفون دائماً على هذه

المسائل فهى غير قابلة للحل» بعيد عن الحقيقة؛ لأنّ وجه الحقيقة مغطى بحجب تزول إثر الحوار بصورة تدريجية: والواقع أنّ كل اختلاف خطوة نحو الواقع، والاختلاف لا يدل على عدم وصول هؤلاء العلماء إلى الواقع؛ بل لما كان الموضوع واسع ومهم فإنّ كل عالم من هؤلاء العلماء أدرك جانباً من الواقع وهكذا تتضح كل يوم سلسلة من الحقائق الجديدة. فاغلب المسائل الفلسفية التعقلية اليوم بهذه الصيغة، ثم تصبح قطعية بعد اجتياز عدّة مراحل على أساس اصولهم المعينة لتعتبر من المسائل الفلسفية المسلمة، وجود المسائل الخلافية الأخرى ليس بدليل على عدم تقدم النقاشات الفلسفية فى المجالات كافّة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۷

۱۵ اليوغا؟

سؤال: ما المراد ب (اليوغا) ذات الأتباع الكثر فى الهند؟ الجواب: اليوغا نوع من التصوف ترى الخلاص فى التركيز على الروح وترك العلاقات المادية؛ وقد اعتمدوا لهذا الهدف مجاهدات ورياضات مُضنية حيث يعتقدون بكبح جماح النفس عن هذا الطريق. والهدف الأعظم فى (اليوغا) فصل الروح عن البدن وايصالها لعالمها (برهمن) وربّ العالم، ويزعمون أنّ هذا الفصل يحصل فى الحياة فقط. ففلسفة اليوغا لم تتخلص من مخالب الشرك، وبالتالى فهى تعتقد أنّ خالق عالم المادة المعروف بالنقص والتضاد، غير الخالق الذى خلق عالم الأرواح والموجودات المنزهة من العيب والنقص. طبعاً الارتياض لا يقتصر على اليوغا، بل هنالك عدّة مراكز أديان فى الهند تمارس بعض الرياضات الشاقة بهدف السيطرة على النفس، ومن هنا يطلق (بلد المرتاضين) على الهند. طبعاً هذه الأمور مرفوضة فى الإسلام، فالإسلام لا يرى فى الانقطاع عن الماديات من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۸ صواب، بل الاعتدال فى العلاقات المادية وسيلة لنيل الكمال، كما يحظر هذه الرياضات الشاقة، كما رفض الاثنينية فى العقيدة وعدّها شركاً لأنّ اللَّه الواحد هو خالق العالم.

۱۶ الخلية الحية

سؤال: هل نجح العلماء فى صنع الخلية الحية، وعلى فرض النجاح هل يستطيعون تحويلها إلى بشر كامل خارج رحم الأُم (الطريق الطبيعى لولادة الإنسان)؟ وكيف ينسجم ذلك إن استطاعوا مع كون الحياة بيد اللَّه؟ الجواب: رغم الجهود والتحقيقات الواسعة والتجارب التى قام بها العلماء للوقوف على أسرار الحياة وصنع «الخلية» إلّاأنّهم لم يوفقوا لحدّ الآن فى إدراك أسرار وكوامن بنية الخلية- فوضع الخلية- سيما بالنظر للوظائف الخاصة لكل عضو منها- ما زال معقداً فى ايجاد الحياة وتنميتها، ولم تتضح لحدّ الآن هذه الوظائف المعقدة. والعلماء لم ينجحوا رغم مساعيهم فى صنع الخلية الحية؛ مع ذلك فهم لا يرون استحالة هذا الأمر وما زالوا يسعون لتحقيقه بفضل التقدم الذى يحرزه علم الأحياء كل يوم. إلّاأنّ التوصل إلى خلق إنسان خارج الرحم يبدو فى غاية التعقيد، حيث إنّ ذلك يتوقف بالدرجة الأساس على صنع الخليتين «أسبرماتوزوئيد» و «أوفل» اللتين تُعدّان من الخلايا الأصلية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۰ فى تكوين الإنسان؛ والحال هاتان الخليتان ليستا بسيطتين، بل تبدو عملية تكوين الخليتين المذكورتين مستحيلة بفعل ما تحتويهما من عناصر خاصة ومعقدة «الجينات والكروموسومات» وصفات وطبائع البشرية وبالتالى ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات والتى تمكن فيها، عوامل الوراثة؛ ذلك لأنّ تكوين خلية بسيطة يختلف عن أخرى تضم عشرات الامتيازات الروحية والبدنية. وعليه فالجواب بالسلب عن هذا السؤال: هل نجح العلماء فى صنع الخلية الحية؟ والمهم حتى لو نجح العلماء يوماً فى تكوين نطفة بصورة صناعية وانبثق منها إنسان كامل فإنّ ذلك لا يتعارض وكون الحياة بيد اللَّه. وتوضيح ذلك: أنّ المراد من كون الحياة بيد اللَّه أنّ الحياة ظاهرة ليست مادية ونوع من الوجود الذى يكتسب وجوده كسائر الموجودات المادية وغير المادية من اللَّه فخلق الحياة مختص باللَّه، ولا يسع كائن من كان أن يضفى الحياة والوجود على شيء، فحيثما كانت الحياة كان اللَّه واهب الحياة وخالقها. وعليه فلو تمكن العلماء من خلق خلية حية فلا يعدو فعلهم إعداد مقدمات الحياة. فهؤلاء يركبون مواد معينة فى ظل ظروف خاصة ويرون فيها الحياة،

ولكن من وهب هـذه المواد تلـك الحيـاة؟ هو اللّه تبـارك وتعـالى. وعليه فلو نجحوا فى تكوين إنسـان فإنّمـا يسـتمد حياته فى جميع مراحلهـا من اللّه. بعبـارة أخرى إيجاد خليـة حيـة من قبل العلماء (على فرض نجاح العمليـة فى المسـتقبل) أشبه بتجميع قطعات سـيارة استوردت من الخارج، ومن الطبيعى أنّ المجمع ليس الصانع. (وعليك بالدقة). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۱

۱۷ القلب والادراك

سؤال: نسب القرآن، الفكر والعقل للقلب والسمع والبصر وسيلة السماع والرؤية، وعين موقع القلب وأنّه فى الصدر حتى قال تعالى: «... وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ» «۱» بينما توصل علماء الفسلجة بعد عدّة تجارب إلى أنّ الدماغ وسيلة التفكير وعمل القلب ضخ الـدم إلى أعضـاء الجسم على غرار المضـخة التى تعمـل دائمـاً بصورة تلقائيـة. الجواب: ما أثبته العلماء فى مختلف العلوم- كالفسـلجة وعلم النفس- أنّ لأعصاب الإنسان ودماغه وظيفـة خاصـة كسائر الأعضاء، وما تسـتلمه هذه الأعصاب من إيعازات من الخارج ترسـلها إلى الـدماغ؛ مثلًا، حين تكون يـدنا إزاء عامـل خارجى كالنار فإنّها تعكس آثار النار فوراً إلى مركز القيادة الظاهرى للجسم؛ أو العين التى خلقت كعدسة التصوير وتقسم طبقات مختلفة ومياه متنوعة، فطريقة عمل العيون ورود الأشـعة من الجسم بصورة غير مباشرة إليها وبعـد عبورها من الأغشـية تظهر صورة فى نقطة خاصة من العين فتقوم الأعصاب البصـرية اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۵۴۲ بإيصالها إلى الـدماغ لتحقّق عمليـة الرؤيـة. تقول الفسـلجة بشأن الأنشـطة الدماغيـة: إنّ الخلايا الدماغية تقوم بعدّة أنشـطة حين التفكير، فيتناول الـدماغ مزيداً من الغذاء ويفقد مزيداً من المواد الفوسـفورية ... وهكذا تقوم سائر أعصاب الإنسان كل باتجاه بوظيفته الادراك، الا ان النتيجة التى توصل اليها اغلب العلماء من هذه التجارب وظنوا بأنّ مركز الإدراك والشعور هو الخلايا الدماغية على الاعصاب بعد تاثير العوامل الخارجية خاطئة؛ ذلك لأنّ هذه فى إدراك الإنسان وشـعوره، ودون هذا الفصل لا يتسطيع الإنسان التفكير والإدراك والسمع والبصـر، وأمّا أنّ المـدرك الواقعى أو المشاهد والسامع هو الدماغ، فليس بصـحيح. ومن هنا يعتقد كبار العلماء أنّ هنالك جهازاً فوق الجهـاز المـادى للبـدن وينسق مع هـذه الوسائـل الماديـة وينهض بمسؤوليـة تـدبير هـذا الجهـاز وبتفعيله للأدوات الماديـة ... كـالعين والأعصـاب- فـإنّ الـدماغ يمكنه الحصـول على معلومـات من الخـارج، والواقع هو المـدرك الحقيقى والـذى ترتكز فيه- جميع علوم الإنسـان وأفكـاره والـذى يعبر عنه بأسـماء مختلفـة كالعقـل والروح والقلب. ولاـ شـك فى أنّ الناس يسـتعملون القلب فى محاوراتهم اليومية بمعنى العقل والروح وكذا فى العرف، فنقول قلبى يعتصـر على إبنى البعيد عنّى. ولا يخفى أنّ المراد بالقلب ليس ذلك العضـو الصـنوبرى الشـكل، بـل فسّـروا أحـد معـانى القلب بالروح والنفس البشـرية التى تعتبر مركز الشـعور والإدراك، ويصـطلح عليه العلماء بالعقل والروح- وعلة اختيار لفظ القلب ككناية عن الروح أنّ القلب الصـنوبرى يعتبر مظهر الحياة لدى الإنسان، فهم يميزون بين الحى والميت على ضوء عمـل القلب وتوقفه. وتوازن دقـات القلب وسـرعتها دليل الصـحة والسـقم وأول مرحلـة لظهور الآثار الروحيـة لكل حادثـة هو القلب. والقرآن من جانبه اسـتعمل مفردة القلب بمعنى العقل والروح والقوة المدركـة. أضف إلى ذلك هنالك العديد من القرائن القرآنيـة على هـذا المعنى، ومنها: اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۵۴۳ ۱- قـال القرآن بعـد بيانه لأوضاع القيامـة: «إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» «۱» .فـالمفروغ منه أنّ القرآن اعتبر القيامـة وسـيلة تـذكير لأصـحاب القلوب، فإن كان المراد ذلك العضـو المعروف سوف لن تسـتقيم العبـارة، ذلـك أنّ لكل الناس هـذا العضو، وعليه فالمراد به العقل والقوة والتفكير. ۲- اعتبر القرآن القلب مركز طائفـة من الصـفات والروحيات التى لا ترتبط قطعاً بهـذا القلب المادى، بل أوصاف تلك الروح الإنسانية، فيصف بعض القلوب بـالقسوة والمرض والعمى- كما يرى القرآن القلب مركز الطهر والإيمان والـدنس والكفر ووسـيلة نيل السـعادة والشـقاء وخص القلب السليم بالسعادة والفلاح «۲». ومن البديهى أنّ هذه الأمور من صفات الروح الإنسانية، فلا معنى للقسوة والعمى والمرض فى هذا القلب المادى. ويتضـح ممّا مر سابقاً معنى الآيـة الواردة فى السؤال؛ فالقرآن وإن نسب التعقل للقلب وأنّ مكانه فى الصدر، لكن كما يتضـح أنّ القلب الـذى فى الصـدر اصـطلح عليه القرآن كنايـة عن الروح والعقل، وسـبب هـذا التعبير ذلك الارتباط القوى للقلب الصـنوبرى

بالروح وظهور وانعكاس الحالات الروحيـة والحياة والموت فى القلب. والقرآن لا يكتى القلب بالعقل والروح فقط، بل أحياناً يسـتعمل الصدر بهذا المعنى فيقول: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ» «۳» و «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» «۴» ؛ ومن الطبيعى أنّ صدر الإنسان العادى لا يضـيق ويتسع بقبول أو عدم قبول الإسـلام؛ بل كناية لسـعة وكبر الروح، ولكن ورد التعبير السابق بسـعة الصدر مركز ظهور انعكاسات الحياة.

۱۸ لماذا يطلق اسم «أُمُّ القرى على مكة؟

سؤال: يسـتفاد من التفاسير والأخبـار أنّ أول مـا ظهر من الأـرض، أم القرى- مكـة- ومن ثم تلتهـا سـائر البقـاع، فكيف ينسـجم هـذا الموضوع مع عقيـدة العلماء المعاصـرين الـذين يرونها سـيارة انفصـلت دفعـة عن الشـمس؟ الجواب: ذكر علماء الأرض بشأن ظهورها والتطورات التى طرأت عليها أنّ الكرة الأرضيـة تعرضت إلى سـيول وأمطار شديـدة بعد أن انفصـلت عن الشـمس وبردت فغطى الماء جميع سـطحها، وظهرت التنوعات فانحـدر الماء إلى النقاط العميقـة وشـكل البحار وبـدات البقع الجافـة تظهر شـيئاً فشـيئاً. ولعل مسألة ظهور أرض مكـة إشارة إلى هـذه البقع الجافـة، فكانت أول بقعـة ظهرت من الماء المناطق الاسـتوائية ومنها مكـة. وعليه فلا منافاة بين الروايـة المـذكورة وعقيـدة العلمـاء فى ظهور الأـرض؛ لأـنّ المراد من ظهور مكـة ليس انفصالهـا عن الشـمس، بـل ظهورهـا من الماء واستعدادها للسكن.

۱۹ لماذا لا تطابق المناسبات الدينية فصول السنة؟

سؤال: ضُـرِبَ على عليه السـلام فى التـاسع عشـر من شـهر رمضـان فى فصـل الشـتاء مثلًا (طبعاً هنالك فارق ۱۱ يوم بين العـام القمرى والشمسـى) ولكننا نلاحظ وقوع التاسع عشـر من رمضان فى الشـتاء أحياناً والصيف أخرى والربيع والخريف، إذن فالشهر القمرى ليس صحيحاً ولاـ يبيّن التاريـخ بدقّة، ويرد هـذا الإشـكال على سـائر أيّام العزاء والأعياد الدينيـة خلال الفصول. الجواب: إنّ العام والشـهر موضوع تعاقدى لتنظيم الأمور الاجتماعية، غايته كيفوه مع حركة الكواكب بغية عدم الخطأ والاستناد إلى الطبيعة. فجعل البعض مقياس حسـاب العـام والشـهر حركـة الشـمس (أو الأصـح حركـة الأـرض حول الشـمس) ونتيجـة ذلك العام الشمسـى المنطبق على الفصول الأربعـة. كما جعله البعض حركـة القمر حول الأرض ولا ينطبق على الفصول الأربعـة الناتجة من حركة الشـمس. والنتيجة لو لم تنطبق الأشـهر القمرية على فصول السـنة فلا إشـكال عليها؛ لأنّ المدار فيها ليس حركة الشمس والفصول الأربعة. وعدم مراعاتنا للفصول فى إقامة مراسم العزاء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۸ والسـرور، لأنّ مقياسنا فى هذه المراسم هو الأشهر القمرية المطابقة لحركة القمر، والمهم لنا، اليوم القمرى الذى وقعت فيه تلك الحادثة، لا الفصل. كما نعلم أنّ تنظيم التواريخ الإسـلامية كافّة طبق هذا الشهر القمرى. والواقع هنالك فارق بين الأشـهر القمرية- وهى أشـهرنا الدينية- والأشـهر الشمسـية ومنها: أنّ حساب الأشهر القمرية أسهل على أغلب الناس من الأشـهر الشمسية، بحيث لا يجد أى فرد من صعوبة فى حسابها، بينما لابدّ من التقويم لحساب الأشهر الشمسية- بعبارة أخرى يمكن عادة تعيين الحـدود التقريبيـة لكل شـهر وبـدايته ونهايته بواسـطة الأشـهر القمريـة، بحيث لو نظرنا إلى قرص القمر يمكننا تقريباً معرفـة كم ليلـة مضت على الشـهر، بينما يتعـذر تعيين الأيام فى الأشـهر الشمسـية (الأبراج) ما لم يكن لـدينا تقويم، حتى بدايـة ونهاية الشـهر؛ ويقتصـر الأمر على الحسابات النجومية فقط؛ والحال تقويم الأشـهر القمرية صـفحة السـماء وتأمل طلوع وغروب القمر والهلال والتربيع والبـدر، ممكن للجميع، ولو لم تنطبق هـذه الأشـهر على فصول السـنة، فلاـ يمكن المسـاس بها مع كل هـذه الامتيازات. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۹

۲۰ سند دعاء الندبة

سؤال: هل من سـند معتبر لدعاء الندبة؟ الجواب: دعاء الندبة دعاء من حيث المضـمون مستدل ورفيع وفصيح وعاطفى وحماسى، وفى حالة إدراكه من قبل الداعى فهو ملهم لأصـلاح الوضع الاجتماعى ومقاومة الظلم والفساد وطفرة نحو الأهداف الإنسانية الكبرى. لكننا لا ندرى لماذا كل هذه الحملات المغرضة من البعض، فتارة على العبارات وأخرى على السـند، والحال ليس فى مضمونه أية مثلبة ولا يمكن القدح فى سـنده ضمن إطار الدعاء. وسنوضح لاحقاً إن شاء اللّه خواء تهمة مشابهة عباراته لعقائد الفرقة الكيسانية. وسنشير إلى الاشـكال الذى ورد على فقراته، ومن ثم نشـرح السـند: إشـكال البعض على العبارة «وعرجت بروحه إلى سـمائك»، إنّها لا تنسجم مع عقائد الشيعة، لأنّ المعراج لم يكن مقتصراً على الروح. والحال لو عدنا إلى مصادر الدعاء الأصلية لزال الإشكال، فالدعاء ورد قبل كل شيء فى كتاب «المزار الكبير» لمحمـد بن اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۵۵۰ جعفر المشـهدى أحد علماء القرن السادس، والعبارة فى كتابه «وعرجت به إلى سمائك» ولم ترد فيه كلمة الروح (لابدّ من الدقة). والكتاب القديم الثانى «المزار القديم» الذى عاش مؤلفه فى القرن السادس ووردت فيه هذه العبارة «وعرجت به إلى سمائك» لم ترد العبارة المذكورة سوى فى «مصباح الزائر» للسيد بن طاووس، مع العلم ذكر المرحـوم الحـاج نـورى صـاحب «المسـتدرك» أنّه رأى فى بعض نسـخ كتـاب المصباح «عرجت به» والنتيجـة هنـالك مصدران من ثلاثة مصادر نقلت العبارة «به» ووردت أيضاً فى المصدر الثالث لبعض نسخه دون الآخر، ولكن حيث كانت النسخة لدى العلامة المجلسى رحمه الله تشتمل على كلمة «بروحه» وعادة ما تؤخذ الأدعية منه، فقد أثير هذا البحث، والحال لم ترد هذه الكلمة فى المتون القديمـة. وعليه فالمتن الأصـلى والأصـح لم ترد فيه مفردة «بروحه». سـند الـدعاء: ورد هـذا الـدعاء كما ذكر فى ثلاثـة مصادر معتبرة وقديمـة هى: ۱- المزار الكـبير لمحمـد بـن جعفر المشـهدى من علمـاء القرن السـادس. ۲- المزار القـديم لمؤلفه أحـد العلماء المعاصـرين- المرحوم الطبرسى- صاحب كتاب الاحتجاج (القرن السادس). ۳- مصـباح الزائر للسيد رضى الدين بن طاووس من كبار زهـاد وعبـاد ومحـدثى القرن السابع. والـدعاء فى الكتب الثلاثـة عن محمـد بن على بن يعقوب بن اسـحاق بن أبى قرة عن محمـد بن حسين بن سفيان البزوفرى «۱» الذى عاش فى الغيبة الصـغرى وكان يتصل قطعاً بالإمام عليه السـلام بواسـطة المكانية عن طريق البواب وينقل عن المهدى عليه السـلام أنّه أمر بهذا الدعاء. والشـخص الأول، أى محمد بن على بن يعقوب طبق التراجم والرجال هو من رواة اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۵۵۱ الشـيعة والأفراد الثقات وله عدّة مؤلفات، والبزوفرى من أساتذة الشـيخ الجليل المفيد. وكان الشـيخ يـذكره بإجلال واكبار. الجـدير بالـذكر أنّ صاحب كتاب الذريعـة ذكر فى الجزء الثامن ص ۱۸۴ أنّ هذا الشـخص (محمد بن حسين البزوفرى) ألّف كتاباً ورد فيه دعاء الندبة. وعليه فسند الدعاء يعود إلى رجال كلهم ثقات أو معروفين وليس فيهم مجهول. أضف إلى ذلك وعلى فرض مجهوليـة سـند الـدعاء فإنّه لا يمكن القـدح به من باب القاعـدّة الأصوليـة المعروفة «قاعدّة التسامح فى أدلة السـنن» فهنالك تشـدد فى الأحكام المرتبطـة بالواجبات والمحرمات دون المسـتحبات. وعلى ضوء هـذه القاعدّة فإنّ الفقهاء لا يشـكلون على سند المسـتحبات والأدعية ويكتفون بما ورد منها فى الكتب المشـهورة. ومن هنا قد تكون أسانيد أغلب الأدعية المشـهورة ليست أكثر من حـديث مرسل. والطريف أنّ أحـدهم رصـد فى كتابه مبلغ عشـرة آلاف تومان لمن يأتيه بسـند لـدعاء الندبة. وينبغى أن يقال لهذا المؤلف المحترم لو تصـدقت بـدرهم من ذلك المبلغ على الفقراء بعد مطالعتك لهذه السـطور وعدم العودة إلى إطلاق هذه الأحكام الجوفاء «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۳

۲۱ الإستخارة

سؤال: كيف يفوّض الإنسـان مصيره ومقـدراته للإسـتخارة ويعين تكليفه من خلاـل التفؤل بـالقرآن أو المسبحة؟ الجواب: أولًا: تعنى الإسـتخارة: طلب الخير من اللّه؛ اللّه المهيمن على عالم الخلق وبيده أمور الخلائق ويهدى عباده إلى ما فيه خيرهم و صـلاحهم. ومعنى هذه الإسـتخارة أنّ الإنسان إذا أراد أن يقوم بعمل فلابدّ أن يعد جميع مقدماته قدر المسـتطاع ويبتعد عمّا يوجب الضـرر، ثم يسأل اللّه من أعماق قلبه أن يوفقه فى هذا العمل ويفيض عليه الخير. والخلاصة حين يريد الإنسان القيام بعمل جبار ولا يعرف عاقبته فإنّه يسـعى

لاعداد مقدماته ويتوجه إلى اللّه بالدعاء ليوفقه فى هذا العمل ويسهل له غايته وهدفه. وهذه هى الإستخارة بمعنى طلب الخير والتى وردت بشأنها الروايات الصحيحة. ولا تحتاج هذه الإستخارة إلى قرآن ولا مسبحة، بل تتطلب توجهاً باطنياً إلى اللّه من الإنسان. ورد فى الخبر: «ما استخار اللّه عبد مؤمن إلّاخار اللّه له». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۴ والهدف من هذه الإستخارة ليس رفع الشك والريبة، بل سؤال اللّه التوفيق إلى الخير بعد اتخاذ التدابير الصحيحة. ولا أحد من الموحدين يسعه إنكار تأثير الإرادة الإلهيّة فى جميع الأمور. وهذا التوجه يمنح المؤمن نشاطاً وحيوية لمقاومة الصعاب والمشاكل. ثانياً: ليس الأمر كما ورد فى السؤال بشأن الإستخارة من أنّ الإنسان يفوض أموره لمسبحة، بل هنالك أمور ينبغى مراعاتها قبل الإستخارة: ۱- الاستلهام من العقل والفكر: لقد من اللّه على عباده بنعمة العقل الذى يمكنه تشخيص عاقبة العمل من حيث النفع والضرر، ولا حاجة له فى مثل هذه الموارد إلى الإستخارة بالقرآن والمسبحة. ۲- مشاورة الآخرين: أولى الإسلام مسألة الاستشارة أهميّة فائقة حتى عدها علامة الإيمان «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم» «۱» كما أمر اللّه تعالى رسوله باستشارة الآخرين فى الأعمال المهمة «وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ» «۲» وفى هذه الحالة إن طرح بعض الأفراد من ذوى الخبرة رأيا جازما بشأن عمل، فليس هنالك من حاجة للإستشارة. ولا تبدو هنالك حاجة إلى الإستخارة حين يكون هنالك رأى ضعيف من قبل الأفراد من ذوى التجربة. أمّا أن تعذر حسم الأمر من خلال العقل والاستشارة فلربّما يعيش الإنسان حالة من القلق والترديد، والفائدة الأولى للإستخارة بالقرآن أو المسبحة إزالة ذلك القلق ومنحه الهدوء والاستقرار، وبالتالى فهو يسأل اللّه بهذه الإستخارة هدايته إلى الخير والفلاح، فقد غلقت جميع الأبواب بوجه العبد ولا يمتلك سوى الإخلاص فى التوجه إلى اللّه، فما المانع أن يأخذ بيده اللّه ويريه سبيل الخير والصلاح؟ ولنفترض أنّ هذا الشخص القلق لم يستخر فهل يسعه القيام بفعل أم تركه؟ قطعاً لا، وبالتالى يفعل ذلك العمل أم لا. فما أحراه هنا أن يتوجه إلى اللّه بقلبه ويستخيره على القيام بذلك الفعل أو تركه. قطعاً سيندفع بقوة على ضوء الإستخارة وهذا ما يلعب دوراً مهماً فى موفقيته ونجاحه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۵

۲۲ اختلاف الأشهر القمرية

سؤال: تعلم أنّ الأرض تدور حول الشمس والقمر حول الأرض ولهذه الحركة حساب معين، لكن لم كانت بعض الأشهر القمرية ۲۹ يوم وأخرى ۳۰ يوم؟ الجواب: يدور القمر حول الأرض خلال ۲۹ يوماً و ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة. وثلاث ثوانٍ وهذه المدّة ۳۰ يوماً. ومن هنا فإنّ بعض الأشهر القمرية ۲۹ يوماً والبعض الآخر ۳۰ يوماً. لأنّ المقدار الزائد على ۲۹ يوماً (يعنى ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة و ۳ ثانية) فى الأشهر المتتالية بيقدّر يوماً واحداً، ولذلك يكون الشهر القمرى أحياناً ۳۰ يوماً.

۲۳ هل يمكن أن يكون شهران قمريان متتاليان ۲۹ يوماً؟

سؤال: أجيب عن السؤال السابق بأنّ حركة القمر حول الأرض ليست خلال ۳۰ يوماً، بل خلال ۲۹ يوم و ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة و ۳ ثانية، ومن هنا كانت بعض الأشهر القمرية ۲۹ يوماً والمقدار الزائد يضم إلى الأشهر التالية فيكون يوماً واحداً، وعليه تكون بعض الأشهر ۳۰ يوماً. وهنا يطرح هذا السؤال: هل يمكن القول: لا يوجد شهران متتاليان ۲۹ يوماً، حيث على أساس الإضافة لابدّ أن يكون الشهر الثانى ۳۰ يوماً وليس أقلّ، فى حين يتعاقب شهران أحياناً ۲۹ يوماً؟ وبغض النظر عن ذلك لو كان شهران متتاليان ۳۰ يوماً فلا ينبغى أن يكون الشهر الثالث أكثر من ۲۹ يوماً، فلو انعدمت رؤية الهلال ومضى شهران ۳۰ يوماً ينبغى جعل الشهر التالى ۲۹ يوماً، بينما تصرح الكتب الفقهية بأنّ كل شهر ۳۰ يوماً حتى تتأكد أنّه أقلّ. الجواب: نعلم أنّ مدّة كل شهر قمرى تقوم على أساس دورة القمر حول الأرض، وحيث أنّ المنجمين مجبرون على بيان عدد أيّام كل شهر بعدد صحيح- لأنّه لا يمكن ثبت وقائع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۸ تاريخ الثلاثين من الشهر بأن يعود نصفه إلى الشهر السابق والنصف الآخر للاحق- فلابدّ من حساب الشهر القمرى على أنّ أقلّه ۲۹ يوماً وأكثره ۳۰ يوماً. وعلى هذا الأساس هنالك نوعان من الشهر القمرى: ۱- الشهر الحسابى ۲- الشهر الهلالى بما أنّ

مدّة الشهر القمرى أكثر من ۲۹ يوماً ب ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة و ۳ ثانية وهى أقل من نصف يوم، لذلك يحسب الشهر الأول للسنة «محرم» ۳۰ يوماً والشهر الثانى «صفر» ۲۹ يوماً وهكذا سائر الأشهر الفردية (۳، ۵، ۷، ۹، ۱۱) ۳۰ يوماً والأشهر الزوجية ۲۹ يوماً وهذا ما يقال له الأشهر «الحسابية». وعليه فليس هنالك شهران متتاليان ۳۰ يوماً أو ۲۹ يوماً، بل تحسب دائماً ۳۰ يوماً فى الشهر الأول و ۲۹ يوماً فى الشهر التالى وهكذا؛ أمّا المراد بالشهر الهلالى فهو الشهر الذى يثبت بواسطة رؤية الهلال بالعين وعلى هذا الشهر مدار الأحكام الإسلامية. وهنا يرد هذا السؤال: لماذا لا ـ يولى الفقهاء من اعتبار للشهر الحسابى؟ والجواب: الأخبار والروايات بشأن رؤية الهلال فى الصوم والافطار. حيث ورد فى الخبر «صم للرؤية وافطر للرؤية» ولم يرد شىء بشأن حساب ۳۰ يوماً و ۲۹ يوماً. ويمكن أن تكون بضعة شهور– أربعة أشهر كحد أقصى– أثر حركة متموجة خفيفة فى القمر ۳۰ يوماً، أى لا يرى القمر فى أقل من هذه المدّة، ويمكن أن تكون ثلاثة أشهر متتالية ۲۹ يوماً، أى ترى بصورة متتالية فى ۲۹ يوماً «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۹

۲۴ متى كان يوم عاشوراء؟

سؤال: فى أى فصل ويوم من السنة الشمسية كانت واقعة كربلاء؟ الجواب: يتضح من التقاويم أنّ عاشوراء عام ۱۳۹۰ ه. ق يصادف يوم ۲۷/ ۱۲/ ۱۳۴۸ من السنة الهجرية الشمسية ونعلم أنّ واقعة كربلاء كانت عام ۶۱ ه وعليه نقول ۱۹۳۰– ۶۱: ۱۳۲۹. ومن جانب فإنّ مقدار السنة الشمسية حسب العدد العشرى ۲۴۲۲/ ۳۶۵ يوماً، والسنة القمرية حسب العدد العشرى ۳۶۷۰/ ۳۵۴ يوماً، وعليه فالفارق بينهما ۸۷۵۲/ ۱۰. وعلى ضوء هذا الفارق لايام جميع هذه السنوات (۱۳۲۹ سنة) سيكون: ۸۷۵۲/ ۱۰* ۱۳۲۹: ۱۴۰۸/ ۱۴۴۵۳، أى أنّ مبدأ السنة القمرية سيتقدم بمقدار ۱۴۰۸/ ۱۴۴۵۳ يوماً فى مدة ۱۳۲۹ سنة بالنسبة للسنة الشمسية، ولابدّ من الرجوع إلى الوراء لتطبيقها بهذا الشكل: ۱۴/ ۱۴۴۵۳: ۲۴۲۲/ ۳۶۵: ۳۹ سنة+ ۲۰۸ يوم. وعليه لابدّ أن نضيف ۲۰۸ أيّام لعاشوراء عام ۱۳۹۰ ليحصل المطلوب، وحيث أنّ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۰ الأشهر الشمسية بعد اسفند حتى شهريور طبق التعديل القانونى ۳۱ يوماً، إذن ۲۰۸: ۳۱: ۶ شهر+ ۲۲ يوماً، وحيث نضيف ۶ أشهر و ۲۲ يوماً إلى ۲۷ اسفند سنصل إلى ۲۰ مهر. وعليه يمكن القول بنحو التقريب الجزئى أنّ عاشوراء عام ۶۱ يصادف ۲۰ من شهر مهر.

۲۵ من هم أصحاب الكتب الأربعة؟

سؤال: هنالك أربعة كتب معتبرة ومهمّة تعد منذ تدوينها ولحد الآن مرجع الأعلام فى أصول العقائد ومدارك الأحكام والفروع العلمية لمراجع التقليد، فلهذه الكتب الأربعة امتيازات خاصة على سائر كتب الشيعة. رجاء نطلب معلومات مختصرة عن هذه الكتب ومؤلفيها: الجواب: إنهمك شيعة على عليه السلام واقتداء به بعيد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله بضبط وتدوين أحاديث النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام، وقد استفرغوا ما بوسعهم– خلافاً للعامة التى تحفظت ما يقارب تسعين سنة عن تدوين الأحاديث بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله حتى عهد عمر بن عبدالعزيز– لنقل الأحاديث فألّفوا عدّة كتب فى مختلف العلوم الإسلامية خلال ۲۵۰ سنة– منذ وفاة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حتى وفاة الإمام الحسن العسكرى عليه السلام. حتى أثبت كبار المحققين وبالأدلة القاطعة والحية أنّ جميع أو معظم واضعى العلوم الإسلامية كانوا شيعة وكانوا أول من أنار هذا الطريق فى العلوم الإسلامية للبشرية «۱»، ومن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۲ أراد المزيد بشأن أسماء وخصائص هذه الكتب فليراجع الفهارس التى دوّنت من قبل علماء الشيعة فى القرون الإسلامية ولا سيما كتاب «الذريعة» القيم لمؤلفه المرحوم آقا بزرك الطهرانى. وقد استطاع الإمام الصادق عليه السلام حين مطلع قدرة الدولة العباسية من تلمذة أربعة آلاف خلفوا اليوم أربعمائة كتاب. كما تلمذ قبله الإمام الباقر عليه السلام إبان الصراع الأموى العباسى والثورات الكبرى للاطاحة بحكومة بنى أمية نخبة من التلامذة، كما خلف سائر تلامذة الأئمّة كالإمام موسى بن جعفر والرضا عليهما السلام كتباً قيمة أخذوا مضامينها عن أئمّة العصمة عليهم السلام. وهذه الكتب التى

ضمت علوم أهل البيت ونشرت بواسطة علماء الشيعة وألّفوا صفوف الحديث لفهم معانيها وحل رموزها فكانت نسخها عامرة فى مكتبات ايران وبغداد «۱» العامة والخاصة. والآن نحاول التعرف على أصحاب الكتب الأربعة بعد هذه المقدمة المختصرة: ۱- الكلينى المتوفى سنة ۳۲۸ ه. إنّ أول عالم جليل خاض- إبان الغيبة الصغرى- فى جمع وتنظيم أغلب الكتب التى دوّنت فى عصر المعصومين فسطرها مرتبة بكتاب، هو المرحوم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى الرازى. ولد على عهد الإمام الحسن العسكرى عليه السلام وتوفى فى السنة الأخيرة من الغيبة أو قبلها (۳۲۸- ۳۲۹). وكتابه المعروف «الكافى» البالغ الأهمية صحة واتقاناً حيث يعتبر من أهم كتب الشيعة بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة. وقد ذاق الأمرين وعناء السفر فى تأليفه ومجموع أحاديثه ۱۶۶۱۹۹ حديثاً والتى يجاوز عددها أحاديث الصحاح الستة. «۲» والكتاب قسمان؛ قسم يتعلق بأصول العقائد، والآخر بالأحكام والفروع. وأصول هذا الكتاب نموذج واضح لعلوم أهل البيت عليهم السلام اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۳ ومعارفهم وسند حى على إمامتهم وخلافتهم لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله. وقد ورد هنا الكثير من المسائل الفلسفية والكلامية المتعلقة بمعارفنا وعقائدنا من جانب أئمتنا عليهم السلام بأبحاث رائعة. وقد ألّفه المرحوم الكلينى بناءً على طلب بعض الشيعة؛ «۱» وروى النجاشى أنّه كابد عشرين عاماً فى تأليفه. وهنالك كتب أخرى خلفها غير هذا الكتاب اندرست للأسف مع مرور الزمان. ۲- الشيخ الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱) الشخص الثانى الذى جمع أحاديث أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله استاذ الحديث وشيخ الشيعة المرحوم محمد بن بابويه المعروف بالصدوق، ولد الصدوق عام ۳۰۶ وتوفى عام ۳۸۱ وترك العديد من كتبه ومؤلفاته القيمة، وكتابه «من لا يحضره الفقيه» هو الكتاب الثانى من مصادر مراجع الشيعة فى الحديث، كالكافى؛ وحين سافر الشيخ الصدوق إلى بلخ لأخذ الحديث ونشر العلوم والمعارف هناك، طلب منه أحد كبار الشيعة هناك «شريف أبو عبداللَّه نعمة» أن يؤلّف كتاباً فى فقه الشيعة على غرار كتاب «من لا يحضره الطبيب» لأبى بكر الرازى الطبيب المعروف فى زمانه ويسميه «من لا يحضره الفقيه» والهدف من ذلك الكتاب كما يبدو من اسمه جمع الروايات والأحاديث الواردة فى الأحكام والفروع والتى تحضى بالثقة الشيخ الصدوق، والعمل به لمن يتعذر عليه الوصول إلى الصدوق أو سائر العلماء «۲» يشتمل الكتاب على ۵۹۶۳ حديثاً وهو السند الثانى للعلماء والفقهاء فى الحديث. ۳- الشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰) ولد هذا العلم العملاق ومؤسس الجامعة الشيعية القديمة فى النجف المرحوم محمد بن الحسن الطوسى عام ۳۸۵ فى طوس واتجه عام ۴۰۸ لمواصلة درسه فى بغداد، فدرس على يد عالمين بارزين، فى القرن الخامس (المرحوم الشيخ المفيد والسيد المرتضى علم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۴ الهدى) وقد تزعم المرجعية الشيعية بعد وفاة المرحوم السيد المرتضى عام ۴۳۶؛ ويكفيه عظمة فى منزلته العلمية أنّ الخليفة العباسى «القائم بأمر اللَّه» ورغم معارضته للمرحوم الطوسى نصب له كرسياً خاصاً ليتصد للتدريس. وقد قلّ نظير النجاحات التى حققها الشيخ من بين الأعلام؛ وقد خلّف العديد من المؤلفات القيمة فى التفسير والكلام والفقه والأصول وغير ذلك، ولعل تفسيره «التبيان» دليل دامغ على قدرته الفكرية وسعة معلوماته. كما كتب «تهذيب الأحكام» بناءً على طلب تلامذته كشرحه لرسالة «المقنعة» لأستاذه المفيد. وهذا هو ثالث كتاب من الكتب الأربعة. حيث وفق لجمع تلك الأحاديث التى لم يستطع جمعها كل من المرحوم الكلينى والشيخ الصدوق بعد أن دوّنها أصحاب الأئمّة عليهم السلام على عهدهم من الكتب المعروفة لدى الشيعة وأسماها «تهذيب الأحكام» فى ۳۹۳ باباً؛ وعدد أحاديث هذا الكتاب ۱۳۵۹۰ حديثاً. وكتابه الثانى وهو رابع هذه الكتب «الاستبصار» وقد جهد فى هذا الكتاب فى توضيح وشرح الأخبار التى تبدو للوهلة الأولى معقدة الفهم وصعبة الإدراك لمحدث أو مجتهد وربما يشعر بنوع من الاختلاف بين خبرين؛ فقد سعى فى هذا الكتاب ما بفكره العملاق ومعلوماته الجمّة لإزالة أى غموض وإبهام عن الأحاديث، ويشتمل هذا الكتاب على ۹۲۵ باباً و ۶۵۳۱ حديثاً. هذه هى الكتب الاربعة المعروفة للشيعة التى كتبت من قبل هؤلاء الأعلام الثلاثة واسم كل واحد منهم «محمد». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۵

۲۶ خشية اللَّه

سؤال: إننا نعلم بأنّ اللَّه رحمن ورحيم ورؤف بعباده، فلماذا وردت في المصادر الإسلامية كالقرآن والسنّة خشية اللَّه؛ ما سرّ خشية اللَّه العادل الرحيم؟ الجواب: إنّ خشية اللَّه بمكانها وبالصيغة المنطقية والمعقولة في وجود الإنسان من النعم الإلهيّة؛ فالخوف عنصر وقائي يحصن الإنسان من العديد من المخاطر: فلو لم يخشى الإنسان عوامل الخطر من قبيل الوحوش وإنهيار سقوف البيوت والأمراض الخطيرة لوقع في تلك الأخطار وتصدع كيانه. فهذا الخوف يحذر الإنسان من مس المجذوم عبثاً والوقوف على مهاوي الردى ويمده بأسباب القوة إزاء الأخطار المحتملة. ولو لم يشعر الإنسان في هذه الأحوال وما شابهها بالخوف من الضرر والخطر لسار نحو الفناء والزوال. وبالطبع الخوف الذي يدعو إلى حفظ الإنسان وتكامله ذلك الذي يستند إلى المنطق والعقل؛ أي يخشى الإنسان تلك العوامل الخطيرة حقاً، وإلّا فالخشية غير المنطقية والعبثية والتي يعبر عنها بالجبن فهي أساس التخلف والهزيمة والفشل. والخشية العبثية في أن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۶ يخشى شيئاً دون مبرر أو يهرب من حدث دون توجيه ويمارس دوراً سلبياً في مختلف شؤون الحياة؛ فهذه الخشية مذمومة قطعاً وعبثية ومدعاة لتخلف الإنسان. ونعود الآن إلى خشية اللَّه: قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى «۱» ، فقد ورد في هذه الآية خوف مقام اللَّه بدلًا من خوف اللَّه، ولنرى الآن ما المراد بالخوف من مقام اللَّه؟ إنّ المراد هو الخوف من عدالته وقسطه؛ وهل عدالة اللَّه مخيفة؟ جواب هذا السؤال واضح فمن كان حسابه طاهراً لا يخاف عدل اللَّه، وأما من كانت صحيفة أعماله مظلمة فهو يخاف عدل اللَّه طبعاً، فاللَّه لو حمل الآثمين على عدله لأذاقهم أليم العقاب بما قدموا من أعمال، أوَلا يدعو هذا إلى الخوف والرهبة؟ وعليه فالخوف من مقام اللَّه هو الخوف من عدله- الخوف من الذنب والمعصية- وهذا ما ينبغي أن يخشاه الإنسان، فهذا هو المطلوب من خشية اللَّه. وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة فقال: «ولا يخافن إلّاذنبه» «۲». وربّما يقال إنّ خوف اللَّه معناه خوف الذنب، فما بال الأئمّة المعصومين عليهم السلام وأولياء اللَّه على هذه الدرجة من الخوف رغم عصمتهم ومجانبتهم للذنب؟ والجواب أنّ خوف هؤلاء من ترك الأولى الذي لا يعد من الذنوب؛ فالمتوقع منهم عدم القيام بذلك، والمرجو منهم غير المرجو من غيرهم، فلربّما ما كان مباحاً لغيرهم ولعله يعد عبادة، يعتبر مثلبة من أولئك الذين بلغوا مواقع القرب والمقامات الرفيعة! اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۷

۲۷ النية والعمل

سؤال: ما المراد بحديث النبي الأكرم صلى الله عليه و آله: «نيّة المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله» وكيف تكون نيّة العمل خير أو شر منه؟ الجواب: هذا الحديث من الأحاديث النبوية المعروفة التي رواها محدثو الفريقين «۱». وقد ذكر له الأعلام عدّة تفاسير، نورد أوضحها من بين التفاسير. فنية المؤمن وهمته اسمى دائماً مما يفعله، وربّما لا- يوفق للقيام بعشر ما عزم على القيام به، وهذا المطلب (الهمة العالية والنيّة الأسمى من العمل) اثر مباشر للإيمان باللَّه؛ والفرد المؤمن إثر إيمانه بالثواب الاخروى وعقاب يوم القيامة فإنّ وجوده مركز للأفكار القدسية والخيرة والهمة العالية بالنسبة للقيام بالعمل الخير، وإن لم يوفق حين العمل للقليل من نياته. ولكن بالعكس فإنّ وجود الكافر إثر فقدانه الإيمان باللَّه وعدم شعوره بالخوف من عذابه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۸ يكون مركزاً للأفكار الفاسدة والعزم دائماً على الإتيان بالأعمال الطالحة؛ ولكن ربّما لا- يستطيع تفعيل الكثير من عزمه بسبب بعض الموانع الاجتماعية وتوفر الوسائل، وفي هذه الحالة فإنّ نيّته على الإتيان بالأعمال السيئة شر من عمله، ومن هنا قال النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ نيّة الكافر شر من عمله. ما قيل مضمون حديث الباقر عليه السلام حول هذا الحديث «۱».

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – في

تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷. مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذي" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت – عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة في الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التي يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – في آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – في أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتي "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَى ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض في القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين في الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةَ المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد"/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائي"/"بناية"القائميّة" "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فَرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.



مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩